الجمهوريــة الجزائريــة الديمقراطيــة الشعبيــة
République Algérienne Démocratique et Populaire

وزارة الـتعلـيـم الـعـالي والبـحـث الـعلمـي
Ministère de l'Enseignement Supérieur et de la Recherche Scientifique

جامعة مصطفى اسطمبولي
معسكر

Université Mustapha Stambouli
Mascara

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم علم الاجتماع

مخبرالبحوث الاجتماعية والتاريخية

أطروحة لنيل شهادة دكتوراه علوم

تخصصعلم الاجتماع

فرعالعلوم الاجتماعية

العنوان:

تمثلات الحب بين المرأة والرجل في الوسط الحضري

- منطقة معسكر نموذجا-

من إعداد: الطالبةمختار بن ونان حفصة مريم

إشراف: أ. طيبي غماري

أعضاء لجنة المناقشة:

- أ. سوالمية نورية	أستاذة	رئيسا
- أ. طيبي غماري	أستاذ	مشرفا ومقررا
- أ. فكروني زواوي	أستاذ	مناقشا
- أ. نوري دريس	أستاذ	مناقشا
- د. صدراتي كلثوم	أستاذة محاضرة أ	مناقشا
- د. بركات عمر	أستاذ محاضر أ	مناقشا

السنة الجامعية: 2025 / 2026

الإهداء

أهدي هذا العمل إلى كل طالب علم،

إلى عائلتي وأساتذتي وأصدقائي.

كلمة شكر

أحمد الله تعالى على توفيقه لي.

كما أشكر كل من ساعدني، وحفّزني...

أشكر الأستاذطيبي غماري على صبره ومسانداته لي.

أشكر الأستاذ كوبيبي معاشو على تحفيزاته.

وأشكر أعضاء اللجنة الموقرة على قبولهم مناقشة هذا العمل.

الفهرس

المقدمة أ

الفصل الأول، الإطار المنهجي للدراسة:

1. الإشكالية والفرضيات 02
2. تحديد المفاهيم وأجرأتها 12
3. النظريةالمؤطرة للبحث 19
4. المنهج 25
5. وسيلة القياس 26
6. مجتمع البحث والعيّنة 26
7. الإطار المكاني والزماني للدراسة 27
8. صعوبات البحث 27

الفصل الثاني، الحب الرومانسي في سياق الحداثة:

أولا، الحداثة ومظاهرها في السياق المحلي 31

1. تعريف الحب والعلاقة العاطفية 31
2. اختلاف نظرة الجيل الحالي إلى الحب مقارنة بالأجيال السابقة 38
3. استشارة الآخر قبل إنشاء العلاقة العاطفية 42
4. العلاقات عبر الإنترنت 45
5. النظرة إلى العلاقات العاطفية خارج إطار الزواج التقليدي 49

ثانيا، سيولة مفهوم الحب وتعدّد أنماط العلاقات العاطفية 50

1. الحرية الجنسية النسبية 50
2. تعدد الاختيارات والعلاقات 53
3. حرية بدء وإنهاء العلاقة 57

4. الاعتراف بالحب 60
5. مسار رابط الحب 63

الفصل الثالث، الحداثة، الحب والسلطة:

أولا، مظاهر الحداثة والانتقال من الحب الواقعي إلى الحب الافتراضي 71

1. تحولات المشاعر والأسس المرتبطة بتقوية رابط الحب 71
2. استراتيجيات رابط الحب 75
3. الغزل 83
4. خيبة الأمل 85
5. اللايقين في رابط الحب 87

ثانيا،السلطة في سياق رابط الحب 90

1. سلطة الدين 90
   1.1. القرآن 94
   2.1. الوازع الديني والأخلاقي 97
2. سلطة الأسرة 99
3. العادات والتقاليد والأعراف 99
4. السلطة الفردانية 101

الفصل الرابع، تحليل ومناقشة الفرضيات:

1. مناقشة وتحليل الفرضية الأولى 105
2. مناقشة وتحليل الفرضية الثانية 109
3. خلاصة تحليل ومناقشة الفرضيات 111

الخاتمة 115

توصيات واقتراحات 119

قائمة المصادر والمراجع 121
الملاحق 128
1. دليل المقابلة 128
2. التعريف بالمبحوثين 134
الملخص 135

المقدمة

المقدمة

من العنف إلى الحب، كان ذلك أول تعليق تلقيته من أستاذي، الدكتور الطيبي غماري، عندما قدمت مداخلة علمية حول العلاقات العاطفية خلال سنواتي الأولى من مرحلة الدكتوراه.لم يكن هذا التعليق مجرد عبارة عابرة أو تعليقًا شكليًا على مداخلة أكاديمية؛ بل كان بمثابة منعط فمعرفي ومنهجي ونفسي في مساري البحثي، إذ دفعني إلى إعادة النظر في اختياراتي العلمية وموضوعاتي البحثية. فقد شكّل لحظة وعي جديدة جعلتني أتحول من الانشغال بدراسة ظواهر العنف، التي كانت محور رسالة الماجستير، إلى الاهتمام بظاهرة مغايرة تبدو في ظاهرها نقيضة تمامًا لها: ظاهرة الحب.

ومن هنا، كان الانتقال من موضوع رسالتي في الماجستير حول العنف السياسي في الجزائر، باعتباره حالة معقدة من الفوضى والانقسام والعداء، تعبّر عن تمزق في البنية الاجتماعية والسياسية، إلى تناول الحب باعتباره مجالًا يوحي بالانسجام والاتحاد والألفة. إن العنف، بما يمثله من تمزق وانكسار في البنية الاجتماعية، يقف في مقابل الحب الذي يتجلى كعالم موازٍ يقوم على مشاعر الانجذاب والتقارب والانسجام بين الأفراد. وهكذا، فإن لحظة "من العنف إلى الحب" لم تكن مجرد تحول موضوعي في مسار بحثي، بل كانت أيضًا تحوّلًا في الرؤية النظرية وفي زاوية النظر إلى المجتمع.

يمثّل الحب مفهومًا واسعًا ومعقدًا في الآن ذاته، إذ يتخذ صورًا متعددة ومتنوعة تتوزع بين مختلف أنماط العلاقات الإنسانية، إذْ قد يظهر في رابطة الآباء بالأبناء، ويتجلى في روابط الأخوة والأصدقاء، وصولًا إلى الحب الذي يتجسد في العلاقة بين الجنسين، وهو ما يُعرف بالحب الرومانسي. يمثل هذا النوع الأخير من الحب، أي الحب الرومانسي، موضوع دراستنا هذه. وقد شكّل محورًا لاهتمام العديد من التخصصات المعرفية، بدءًا من علم النفس الذي نظر إليه بوصفه تجربة وجدانية وانفعالية عميقة، مرورًا بالفلسفة التي تناولته في إطار التأمل في المعنى الإنساني للوجود، وصولًا إلى الأدب الذي جعله مادة أساسية للسرد الشعري والروائي. أما في السياق العربي، فقد كان حضور الحب، ولا سيما الحب الرومانسي، قويًا في النصوص الأدبية والدينية، إلا أن السوسيولوجيا العربية لم تُعطه المكانة التي يستحقها كظاهرة اجتماعية قائمة بذاتها تحتاج إلى دراسة معمقة. وهذا ما شكل دافعًا رئيسيًا

لاختياره موضوعًا لبحثنا، إذ بدت الحاجة ملحّة لملء هذا الفراغ العلمي، خاصة في ظل التحولات الاجتماعية والثقافية التي تعرفها المجتمعات العربية عامة، والمجتمع الجزائري على وجه الخصوص.

لا يمكن فهم الحب الرومانسي بمعزل عن السياق الاجتماعي والثقافي الذي ينشأ ويتطور داخله. فهو ليس مجرد تجربة فردية أو انفعال وجداني ذاتي، بل بناء اجتماعيا يتأثر بعوامل متعددة، منها الدين وما يحمله من منظومة قيمية تنظم العلاقات بين الجنسين، والعادات والأعراف التي تفرض أنماطًا معينة من السلوك المقبول والمرفوض، وكذا الثقافة والفنون التي تساهم في إعادة إنتاج صور الحب ورموزه. من خلال هذه المؤثرات جميعًا، تتحدد معالم العلاقة العاطفية بين الشريكين، لاسيما حين يتطور الحب الرومانسي إلى علاقة أكثر وضوحًا وثباتًا. وفي هذا السياق، تصبح العلاقة إطارًا مرجعيًا لتشكيل الهوية الفردية والجندرية لكل من الرجل والمرأة، حيث تُسند إلى المرأة صورة الكائن العاطفي المرتبط بالقيم الوجدانية والرومانسية، بينما يُنتظر من الرجل أن يتحلى بالعقلانية وأن يتحمل مسؤولية المبادرة والقيادة داخل العلاقة. إن هذه الثنائية بين "العاطفة" و"العقلانية" ليست سوى انعكاس لتمثلات اجتماعية وثقافية راسخة، إلا أنها تتعرض لإعادة التشكل تحت تأثير الحداثة والتحولات الثقافية الجارية.

وعليه، ارتأينا اعتماد نظرية الجندر بوصفها مقاربة أساسية لفهم كيفية تأثير الحداثة على تمثلات الحب الرومانسي وسلوكياته لدى الشباب، وبشكل خاص في منطقة معسكر. وتسمح لنا هذهالنظرية تسمح بتحليل الأدوار الجندرية المرسومة اجتماعيًا، وكيف يتم التفاوض حولها أو إعادة تعريفها داخل العلاقات العاطفية. وبالإضافة إلى مقاربة الجندر، استعنّا كذلك بالتفاعلية الرمزية، باعتبارها نظرية سوسيولوجية تركز على التفاعلات والأفعال وردود الأفعال في الحياة اليومية. وقد كان لهذه النظرية دور مهم في فهم منطق العلاقة العاطفية من الداخل، أي كيف يُنتج الشريكان أفعالهم وتصوراتهم داخل العلاقة، وكيف يعيدان بناء المعاني من خلال التفاعل المباشر. إن الجمع بين هاتين المقاربتين – الجندرية والتفاعلية الرمزية – أتاح لنا مقاربة مركبة تُبرز من جهة البعد البنيوي المرتبط بالثقافة والقيم الاجتماعية، ومن جهة أخرى البعد التفاعلي الذي يتمثل في أفعال الأفراد وتفاعلاتهم اليومية.

إن الحداثة، بما أنها تحوّل عميق في البنى الاجتماعية والثقافية، لا تقتصر على إعادة تشكيل النظم الاقتصادية والسياسية، بل تمتد إلى كل تفاصيل الحياة الاجتماعية. فهي تعيد صياغة أنماط التفكير والقيم، وتعمل على الانتقال من البنية الجماعية التي ميزت المجتمعات التقليدية إلى نمط أكثر فردانية، حيث يصبح الفرد أكثر استقلالية في خياراته وعلاقاته. ومن هنا، فإن الحب الرومانسي يتأثر بدوره بهذه التحولات، إذ يكتسب أشكالًا جديدة من التعبير والتجسيد تتناسب مع القيم الحداثية. وهكذا، يغدو الحب ليس مجرد إحساس وجداني، بل ظاهرة اجتماعية تعكس ديناميات التحوّل في المجتمع.

تنطوي دراستنا على ثلاثة فصول يؤطرها فصل منهجي اهتم بمعالجة إشكالية البحث من خلال ربط موضوع الحب الرومانسي بسياق الحداثة وتحولاتها، حيث تُطرح الحداثة بوصفها نسقًا فكريًا وثقافيًا غيّر طبيعة العلاقات الاجتماعية، وانتقل بها من الطابع الجماعي التقليدي إلى نزعة أكثر فردانية. وقد أبرز الفصل أهمية العقلانية والفردانية باعتبارهما من أبرز ركائز الحداثة، مستعرضًا مساهمات عدد من المفكرين أمثال ماكس فيبر وهابرماس في توضيح هذا التحول. وانطلاقًا من ذلك، صيغت فرضيات الدراسة التي تتمحور حول أثر الحداثة في إعادة تشكيل تمثلات الشباب لعلاقاتهم العاطفية وسلوكياتهم اليومية، ومدى تفاعل هذه التمثلات مع القيم الدينية والاجتماعية السائدة. كما عرض الفصل الأهداف الرئيسة للبحث، والتي تقوم على تفكيك علاقة الحب الرومانسي بالبنية الاجتماعية، وإبراز التوترات القائمة بين المرجعيات التقليدية والحداثية. ولتحقيق ذلك، تم اعتماد مقاربة سوسيولوجية مزدوجة تقوم على نظرية الجندر لفهم الأبعاد المرتبطة بالأدوار والتمثلات الجندرية، والتفاعلية الرمزية لتحليل دينامية التفاعل داخل العلاقات العاطفية.

يركّز الفصل الثاني على مقاربة الحب والعلاقات العاطفية في السياق المحلي من خلال ربطها بمظاهر الحداثة وتحولاتها الاجتماعية والثقافية. فالحب، الذي يُنظر إليه من زاوية اجتماعية ونفسية، يُعرَّف باعتباره علاقة وجدانية معقدة تحمل في طياتها أبعادًا مؤسساتية، دينية، واقتصادية. وقد أبرزت شهادات المبحوثين الطابع الغامض والملتبس لهذا الشعور، في مقابل مقاربات فكرية حديثة مثل أطروحة زيجمونت باومان حول "الحب السائل"، التي تبيّن هشاشة العلاقات العاطفية في ظل الفردانية المعاصرة. كما أظهر الفصل كيف يسهم السياق الاجتماعي في تشكيل

تمثلات الشباب للحب، حيث تتقاطع المرجعيات الدينية والأعراف التقليدية مع قيم الحرية الفردية والحداثة. وفي هذا الإطار، تبرز ثنائية التوتر بين الامتثال للنصوص والقيود الاجتماعية من جهة، والانفتاح على الفردانية والاختيار الذاتي من جهة أخرى. وتكشف هذه الثنائية عن دينامية معقدة يعيشها الشباب في إدارة علاقاتهم العاطفية، مما يعكس أثر الحداثة في إعادة تشكيل أنماط الحب والارتباط داخل المجتمع المحلي.

جاء الفصل الثالث ليوضح أن مشاعر الحب لا تزال حاضرة بقوة في العلاقات العاطفية للمبحوثين، لاسيما مشاعر الشوق والغيرة، حيث ارتبطت الغيرة في معظم الحالات بالمظهر الخارجي للمرأة، ما جعلها أداة لترسيخ هيمنة الرجل. كما كشف هذا الفصل أن المرأة كثيرًا ما تعدّل في لباسها أو مظهرها استجابة لهذه الغيرة، في سياق اجتماعي يربط لباسها بالحشمة والتدين. وتبيّن أن وسائل التواصل الاجتماعي أدّت دورًا بارزًا في إعادة تشكيل أنماط الغيرة، إذ سهّلت المراقبة وأثارت الشكوك، فضلًا عن تغييرها أسلوب الغزل ليختلف عن التقليدي. أما فيما يخص الجانب المادي، فقد أظهرت الدراسة أن المال لا يُعتبر أداة هيمنة في العلاقة، بل أضحى تبادليًا بين الطرفين، ما ساهم في تقوية الروابط العاطفية. وعلى صعيد المرجعيات القيمية، تبيّن أن المبحوثين لم يخضعوا بشكل صارم لسلطة الدين رغم وعيهم بأحكامه، في حين ظل تأثير العرف والتقاليد أكثر حضورًا. وفي مقابل ذلك، برزت نزعة فردانية نسبية تمنح الشباب حرية في قراراتهم العاطفية، لكنها لا تكتمل نظرًا لاستمرار تأثير المجتمع والأسرة والدين، وهو ما يعكس حداثة هجينة وغير مكتملة في تشكيل العلاقات العاطفية.

يتناول الفصل الرابع تحليل الفرضيتين الرئيسيتين من خلال دراسة التحولات التي طرأت على الحب والعلاقات العاطفية في المجتمع الجزائري المعاصر. وقد كشفت النتائج أن الحداثة أدّت إلى سيولة في مفهوم الحب وتعدد في أنماط العلاقات، بفعل صعود الفردانية وتراجع السلطة التقليدية للدين والعائلة، مما أثر على استقرار هذه العلاقات. كما أظهرت المعطيات أن وسائل التواصل الاجتماعي أصبحت وسيطًا أساسيًا في التعارف والتعبير عن المشاعر، لكنها في الوقت ذاته ساهمت في خلق توقعات غير واقعية، أضعفت عمق العلاقة وزادت من هشاشتها. وتبيّن أن الأفراد يعيشون صراعًا بين الرغبة في الحرية العاطفية والخضوع للضوابط المجتمعية، وهو

ما يعكس توترًا مستمرًا بين القيم التقليدية ومقتضيات التحديث، ويؤكد تحقق الفرضيتين ضمن سياق اجتماعي يتسم بالتغير السريع والتعقيد الرمزي للعاطفة.

بناءً على ما سبق، سعت هذه الدراسة إلى الربط بين الحب الرومانسي والحداثة، من خلال محاولة رصد التحولات التي طرأت على هذا النوع من الحب تحت تأثير التحول الحداثي .وقد تم ذلك عبر تحليل تمثلات الشباب وسلوكياتهم العاطفية في السياق المحلي، بما يسمح بفهم كيف يُعاد تشكيل معنى الحب وأشكاله تحت تأثير التغيرات الاجتماعية والثقافية. وفي سبيل تحقيق هذا الهدف، تم تقسيم الدراسة إلى فصول مستقلة، خُصص كل منها لجانب محدّد من جوانب الظاهرة، لنختم الدراسة بعرض أهم النتائج التي توصلنا إليها، علاوة على جملة من التوصيات والاقتراحات، ثمأرفقنا قائمة المراجع والملاحق التي تضمنت دليل المقابلة والتعريف بالمبحوثين. وبذلك، حاولنا أن نقدم معالجة سوسيولوجية متكاملة للموضوع، تُسهم في إغناء النقاش الأكاديمي حول الحب الرومانسي في السياق العربي.

الفصل الأول، الإطار المنهجي للدراسة:

تمهيد

يتناول الفصل الأول الأسس النظرية والمنهجية للدراسة، من خلال مناقشة العلاقة بين الحداثة والحب الرومانسي في المجتمع الجزائري، مع التركيز على مدينة معسكر كنموذج ميداني، موضحا أن الحداثة بما تتضمنه من قيم الفردانية والعقلنة وسيولة القيم ووسائط التواصل الرقمي، أعادت تشكيل طبيعة العلاقات الاجتماعية، وخصوصًا العلاقات العاطفية، في سياق يختلف عن التجربة الغربية. كما يبرز دور مظاهر الحداثة في الجزائر كانعكاس انتقائي للتأثر بالنموذج الغربي، خاصة على المستويين التكنولوجي والاستهلاكي.

كما يعالج الفصل مفهوم الحب الرومانسي باعتباره حاجة إنسانية ومعنوية تتجسد في الروابط بين الرجل والمرأة، والتي تتأثر بالسياقات الدينية والاجتماعية والثقافية. وقد صيغت الإشكالية البحثية حول مدى تأثير مظاهر الحداثة في إعادة تشكيل تصورات الشباب للحب الرومانسي، مع افتراض وجود علاقة بين الفردانية والتقنيات الرقمية وسيولة مفهوم الحب وتعدد أنماط العلاقات. ولقد اختير المنهج الكيفي والمقابلة النصف الموجّهة كأداة رئيسية لجمع البيانات من عينة قصدية من الشباب، بهدف الكشف عن المعاني التي يمنحونها لتجاربهم العاطفية في ظل تحولات الحداثة.

1- الإشكالية والفرضيات

1-1- الإشكالية

تُعدّ الحداثة نمطًا من أنماط العيش، وطريقة تفكير أثّرت بعمق في طبيعة العلاقات الاجتماعية داخل المجتمعات بشكل عام. فهي قد جاءت مناقِضةً لكل ما هو قديم وتقليدي، وسعت إلى تعويضه بفكر وفلسفة ورؤية جديدة. ذلك لأن الحداثة تُحيل إلى أن يكون الإنسان محور العملية الإبداعية، مما يُشير إلى نشأة نزعة غربية تُعلي من شأن الذات الفردية، وتجعل منها مركزًا ومرجعية، وتُثمن فاعليتها وشفافيتها وعقلانيتها. وهو ما يُعد إعلانًا عن فلسفة جديدة، هي فلسفة الوعي وفلسفة الذات، التي تتأسّس على مبدأ العقل كمقولةٍ أساسية (مقورة، جلول، 2018: 306).

لقد مجّدت الحداثة الفرد والعقل الغربي، واعتُبرت العقلانية إحدى أهم ركائزها، بدءًا من الفلسفة الديكارتية، وصولًا إلى ما هو موضع اهتمامنا سوسيولوجيًّا في فكر Max Weber،إذ أصبحت العقلانية هي المصدر الأساسي لأفعال الذات الحداثية، في مقابل الاستناد إلى مصادر أخرى كالخرافة أو السلطة الدينية. ويُعزز هذا المعنى ما أورده هابرماس حين قال: "لقد بدأت الحداثة هذا الصرح العظيم لتاريخ العقلانية من خلال تصفية الحياة العتيقة وانهيار الأسطورة" (مبروك، مهدي، 1996-1997: 52).

ومن بين المفاهيم المرتبطة ارتباطًا وثيقًا بالحداثة، نجد الذاتية، التي تُعلي من شأن الفرد وتُكرّس قراراته التي لا تستند إلى أي وسائط أو سلطات خارجية غير ذاته. وتُبنى هذه المفاهيم وغيرها على خلفية تحوّلات واقعية شهدتها المجتمعات الغربية، بخلاف المجتمعات العربية التي لم تعرف ثورات سياسية أو اقتصادية مشابهة لتلك التي عرفها الغرب منذ القرن السادس عشر الميلادي، مع تحوّلات كبرى كمَا حدث مع مارتن لوثر كينغ أو في عصر النهضة والثورات الاقتصادية والعلمية، والتي شكّلت مدخلًا لتشكّل المجتمع المدني الغربي.

أما على المستوى المعرفي، فقد تأسست الأسس الفكرية للحداثة على مبدأ الصراع مع الماضي ونقده، والسعي إلى إنتاج عقائد وقيم جديدة. وهذا ما دعا إليه بعض المفكرين العرب الحداثيين، أمثال أدونيس، الذي طالب بثورة عربية شاملة للانتقال إلى الحداثة في مختلف مستويات الحياة. كما دعا محمد عابد الجابري إلى تأصيل الشريعة برؤية حداثية تتلاءم مع متطلبات الحياة المعاصرة الثقافية، والاقتصادية، والسياسية، والدينية.

غير أن الحداثة في السياق العربي تعيش أزمة بنيوية، تتمثّل في محاولة نقل النموذج الحداثي الغربي وتطبيقه على مجتمعات لم تشهد الظروف التاريخية والاجتماعية التي أنتجت هذا النموذج. فلم تعرف المجتمعات العربية ثورات اقتصادية، أو ثقافية، أو سياسية جذرية، ولم تعرف قطيعة مع الدين كمصدر للمعرفة والقيم. ومع ذلك، سعت هذه المجتمعات إلى تطبيق بعض أشكال الحداثة، خاصة في بعدها التكنولوجي، رغم غياب الأساس العلمي والثقافي الذي أنتج هذا التقدم في السياق الغربي. وهنا تظهر ما يمكن تسميته في هذا البحث بـ "مظاهر الحداثة"،

ونقصد بها تلك التجلّيات الخارجية للحداثة الغربية التي تبنّاها المجتمع الجزائري، دون أن يمرّ بمسار الحداثة نفسه، ومن أبرز هذه المظاهر: التقدم التكنولوجي.

ومن ضمن أهم سمات الحداثة التي تستحق الوقوف عندها، نجد الفردانية، التي تؤكد على قيمة الفرد واستقلاله، مقابل انحسار الاعتبارات الجماعية. ويجدر الذكر أن الجماعة تُعدّ بنية أساسية في تكوين المجتمعات العربية والإسلامية، وهي التي تُشكّل العلاقات الاجتماعية وتمنحها معناها، فالفرد في هذه المجتمعات لا يستطيع العيش بمعزل عن الآخرين، ويعتمد في حياته على بناء علاقات إنسانية من مختلف الأنماط، كعلاقات الصداقة، والزواج، والعمل، وغيرها.

وترتكز هذه العلاقات، بمختلف أشكالها، على حاجات إنسانية أساسية. "ففي هذا السياق، يرى صالح الشيكشي أن نشأة العلاقات الاجتماعية تعود إلى حاجتين أساسيتين لدى الإنسان، هما الغذاء واستغلال الطاقة الناتجة عنه. كما يؤكد أن غذاء الإنسان لا يقتصر على العناصر المادية كالغذاء والشراب والهواء، بل يتعداها إلى حاجات معنوية مثل الدين، والحب، والعطف، والثقافة، والفنون وغيرها" (فكرة، عبد العزيز،2017: 496).

ومن بين أبرز هذه الحاجات المعنوية، الحاجة إلى الحب والأمان، والتي غالبًا ما تتحقق من خلال علاقات إنسانية، كالعلاقات الأسرية أو الصداقة. فالشعور بالحب والأمان يُسهم في تحقيق التوازن النفسي، ويجعل الفرد يعيش حالة من الرضا والسعادة والاستقرار النسبي. وتُعتبر العواطف البشرية وسيلة أساسية لتمكين الإنسان من العيش حياةً أكثر رضًا، وتُعد الحاجة إلى تقدير الذات واحدة من الحاجات المركزية التي يُلبّيها الحب، لا سيما الحب الرومانسي، وفقًا لنظرية "الاعتراف" (Reconnaissance)التي ترى أن هذا النوع من الحب يُعزز صورة الفرد عن ذاته، لأنه يشعره بأهميته في حياة الآخر.

وقد عُرّف الحب الرومانسي بأنه العلاقة العاطفية أو الجسدية بين الرجل والمرأة. وله مرادفات عديدة تعكس درجاته المختلفة، منها: الوجد، والهوى، والعشق، والغرام، والصبابة، وغيرها من الألفاظ التي تُعبّر عن تدرّج المشاعر. ويُشكّل الحب عند ابن سينا أساسًا لنظرية فلسفية في العشق، "يجعل الحب فيها ظاهرة كونية، أين يكون لحب الانسان خصوصية في العموم، وهي نظرية فيها سحر واستهواء، تستلهم

من أصول أرسطية، وعليها مسحة أفلاطونية، هي بحق قطعة من الأدب الرفيع، يصف بها وفيها صاحبها انتظام الموجودات في نزوعها إلى الكمال والخير" (خطاب، عبد الحميد، 2004: 77).

حظي الحب، بمختلف أشكاله، باهتمام كبير عبر الحضارات الإنسانية، من الفلسفات القديمة إلى الديانات السماوية، مما منحه معاني متعددة باختلاف السياقات الثقافية والدينية. وفي هذا السياق، نحن بصدد دراسة الحب الرومانسي تحديدًا، كما يتجسّد في العلاقة العاطفية بين الرجل والمرأة. ويقصد به مجموع التصورات والانفعالات والسلوكيات التي يحملها الفرد المُحب تجاه شخص آخر، بما يشمل المشاعر والتعبيرات والمعاني التي تنتج عن تراكمات ثقافية، واجتماعية، وحضارية، إلى جانب الأبعاد النفسية التي تجعل معنى الحب يختلف من فرد إلى آخر.

وتُشير الأدلة التاريخية إلى وجود الحب حتى في أقدم الحضارات، مثل العصر السومري، حيث سُجّلت مشاعر الحب بين الرجل والمرأة في نقوش وآثار شعرية وقصصية، أبرزها قصة عشتار وتموز. وقد عُرف المصريون القدماء أيضًا بهذه المشاعر، بينما تحدّث فلاسفة اليونان والرومان عن الحب، فقد كان للإغريق إله خاص به يُدعى "إيروس"، تمييزًا عن إله الرغبة الجنسية. كما جمع الإغريق بين رمزية الحب والخمر، ومع مرور الزمن، أصبح "الإيروس" يشير إلى العشق الحسي العنيف (نظمي،سيج، فارس كمال، 2007: 33). أما أفلاطون فقد ارتقى بإيروس إلى مستوى خادم للحياة الروحية، مما أضفى عليه بعدًا مثاليًا، وفسّر ظهور مصطلح "الحب الأفلاطوني" الذي يدل على العشق السامي المتحرر من الرغبات الجسدية.

وبالنسبة للثقافة العربية، فقد عرف العرب مشاعر الحب منذ القدم، وتجلّى ذلك في التراث الأدبي واللغوي. ويورد شهاب الدين النويري في "نهاية الأرب" وصفًا دقيقًا لتطور مشاعر الحب، يبدأ بالاستحسان الشخصي، ثم إرادة القرب، فالمودة، فالمحبة، فالهوى، ثم العشق، ثم التتيم، وأخيرًا الوله. تُعبّر هذه المراحل عن تطور المشاعر وتدرّجها، وتدلّ على عمق فهم العرب للحالة العاطفية وتعقيدها.

ومع توالي العصور والحضارات، ظلّ الحب بين المرأة والرجل من أرقى العلاقات التي عرفتها الإنسانية، وغالبًا ما يتجسّد في علاقة عاطفية تعتبر شكلاً من أشكال العلاقات الاجتماعية التي تتولّد عن عملية الاتصال بين الأفراد أو الجماعات.

وتُعرَّف الروابط الاجتماعية بأنها "أيّة صلة بين فردين أو جماعتين أو أكثر، أو بين فرد وجماعة، وقد تقوم هذه العلاقة على التعاون أو عدم التعاون، وقد تكون مباشرة أو غير مباشرة، وقد تكون فورية أو آجلة."

أما العلاقة العاطفية تحديدًا، فهي تلك التي تنشأ بين الرجل والمرأة، وتقوم على تبادل المشاعر والعواطف، وقد تتطوّر إلى علاقة جسدية. وقد تكون هذه العلاقة شرعية، مؤطّرة برابط ديني واجتماعي، أو قد تخرج عن هذا الإطار، مما يعرضها لعدم القبول الاجتماعي أو الأخلاقي. وغالبًا ما تكون العلاقة العاطفية في المجتمعات العربية الإسلامية خاضعة لمنظومة من القيم الدينية والاجتماعية، بالإضافة إلى العوامل النفسية والزمنية والثقافية، التي تؤثّر في الطرفين وتُحدّد سلوكياتهما.

وبعد هذا التمهيد، من الضروري الانتقال إلى توضيح العلاقة بين الحداثة والحب الرومانسي. إذ إنه، ومع بروز الحداثة وانتشار قيم الفردانية، أصبح الفرد أكثر تحررًا من الضوابط التقليدية، وأكثر انشغالًا بذاته، واتخذ قراراته بمعزل عن السلطات الدينية أو الأسرية. فقد أضحى الفرد في المجتمع الحديث يختار شريكه العاطفي بناءً على معاييره الشخصية، كالجاذبية الجسدية، أو الرغبة الجنسية، أو التوافق الاجتماعي، أكثر مما يعتمد على المعايير الجماعية أو الأسس التقليدية للزواج.

ومع مرور الوقت، أصبحت العلاقات بين الرجل والمرأة في المجتمعات الحديثة محكومة بمبادئ الذاتية والاختيار الشخصي، لا بالقوانين الاجتماعية التقليدية. وفي هذا الإطار، يُشير سارج بوقام إلى وجود نمط من الروابط الاجتماعية الذي يُطلق عليه "روابط المشاركة الانتقائية"، والتي يدخل ضمنها الحب، باعتبارها علاقات اختيارية، يُنتقي فيها الشريك الذي يُلبّي حاجتي الحماية والاعتراف (Paugam, Serge, 2015: 64).

إلا أن الدراسة الاستطلاعية التي أجريناها في مدينة معسكر تُظهر أن السلطة الاجتماعية، وبالأخص الأسرة والدين، لا تزالان تلعبان دورًا مؤثرًا في تنظيم العلاقات العاطفية، وفي تحديد مدى القبول بها أو رفضها. وقد شكّلت نتائج هذه الدراسة الاستطلاعية دافعًا نحو التعمق في البحث، لفهم أعمق للعلاقة القائمة بين مظاهر الحداثة والحب الرومانسي في هذا السياق المحلي. وقد نشأ هذا الإشكال السوسيولوجي من رغبة ذاتية في استكشاف هذه الظاهرة، إذ ومن خلال الأدبيّات التي

تناولت الحب الرومانسي، تبادر إلى أذهاننا تساؤل جوهري: هل يمكن دراسة الحب الرومانسي من منظور سوسيولوجي؟ وقد كانت هذه التساؤلات بمثابة نقطة الانطلاق لهذا البحث.

يندرج هذا الموضوع ضمن سوسيولوجيا الروابط الاجتماعية، وهو الحقل الذي ظهر لتأطير التحولات التي طرأت على الروابط الاجتماعية مع الانتقال من المجتمع التقليدي إلى المجتمع الحديث. كما يتقاطع هذا الموضوع مع سوسيولوجيا العواطف، التي برزت خاصة مع المدرسة التفاعلية الرمزية، وأعمال باحثين بارزين مثل Arlie Russell Hochschildو Erving Goffman. وقد تم تأطير هذا المجال نظريًا منذ سبعينيات القرن العشرين، عندما بدأت السوسيولوجيا تهتم بدراسة العواطف الإنسانية مثل الحياء، والكبر، والحب، والكراهية، والرهبة، والدهشة، والملل، والحزن، وغيرها (عبد العزيز، محمد، همست بسيوني، 2022: 489).

وقد تطورت سوسيولوجيا العواطف لتُصبح قادرة على دراسة موضوعات معيّنة، مثل الحب والصداقة وغيرها من المشاعر الإنسانية التي لا تتشكّل في فراغ نفسي، بل ضمن نظام اجتماعي وثقافي معقّد. وهنا برز سؤال محوري في علم الاجتماع: هل يمكن أن تُدرَس العواطف سوسيولوجيًا، أم أنها تظلّ حكرًا على الفلسفة وعلم النفس؟ وقد بيّنت المقاربات الحديثة أن العواطف الإنسانية تُشكّل جزءًا من هويّة الفاعلين الاجتماعيين، وأنها تتكوّن وتُعاد تشكيلها ضمن أطر ثقافية واجتماعية محددة، مما يجعل دراستها السوسيولوجية أمرًا ضروريًا، بل مفيدًا لفهم أعمق للظواهر الإنسانية.

ومن بين الأعمال السوسيولوجية الرائدة التي تناولت الحب الرومانسي بالتحليل، نذكر كتاب "الحب كعاطفة"لـ NiklasLuhmannو"العلاقة الحميمة" لـAnthony Giddens، و"الحب عن بعد" لـ Ulrich Beckو.Elisabeth Beck

لقد قمنا بالبحث في الأدبيات السوسيولوجية، لا سيما تلك التي كُتبت باللغة العربية، فوجدنا ندرة واضحة في الدراسات التي تناولت موضوع الحب الرومانسي من منظور سوسيولوجي، خاصة على مستوى الرسائل الجامعية من ماجستير ودكتوراه. وقد شكّل هذا الغياب تحديًا منهجيًا أمامنا في تحديد الإشكالية البحثية، إذ أن الإشكالية في البحث العلمي غالبًا ما تُستخلص من الفجوات المعرفية في الدراسات

السابقة، لتأتي مساهمة الباحث كتطوير أو امتداد لها. وبناءً عليه، ركزنا على كتابين نعدّهما مرجعين مهمين في فهم العلاقة بين الحب والحداثة، وهو ما يبرّر تأطير موضوع بحثنا ضمن حقل السوسيولوجيا عمومًا، وسوسيولوجيا العواطف بشكل خاص.

إن أول كتاب اعتمدنا عليه هو للمفكّرة السوسيولوجيةEva Illouz**"لماذا يجرح الحب: تجربة الحب في زمن الحداثة"**.وقد قدّمت الكاتبة في هذا العمل مقاربة سوسيولوجية رصينة لتجربة المعاناة الرومانسية، وسعت إلى شرحها وتحليل أبعادها ضمن السياق الحداثي، الذي يتميّز بانهيار التوتر التقليدي بين المجتمع والحب، مما أفقد الحب – في ظل الحداثة – بُعد المعاناة. وفي المقابل، أدّت الحداثة إلى تعزيز الهيمنة الذكورية، حتى داخل تجربة الحب. فقد أصبحت الذكورة هي ما تُحدّد موضوعات الحب، وقواعد المغازلة، وأساليب التواصل العاطفي.

كما أسّست الحداثة لفردانية الحب، التي تجسّدت في حرية اختيار الشريك بناءً على معايير ذاتية، وفي إعلاء قيمة الجنسانية كمكوّن رئيسي للعلاقة العاطفية. بل إن الجنسانية، حسب الكاتبة، أصبحت من السمات الأساسية للهوية الجنسية، وأحد مجالات التنافس الاجتماعي، لا سيما بين الرجال، من أجل ترسيخ مكانتهم الجنسية في الفضاء الرمزي والاجتماعي.

ومن السمات التي أبرزتها الكاتبة أيضًا، مسألة الاعتراف، حيث أن الحب الرومانسي يعزّز الشعور بالرضا عن الذات، بينما يُهدّد الخوف من الرفض هذا الشعور. وقد عبّرت عن ذلك بمفهوم "الحاجة إلى الاعتراف"، وهو مفهوم محوري في تحليل تجربة الحب في زمن الحداثة.

تُضيف إيلوز أن العلاقات الرومانسية المعاصرة باتت تقوم على مبدأَي الاستقلالية والعقلنة، الأمر الذي ساهم في اختفاء ما أسمته بـ"سحر الحب"، ومن ذلك مثلًا الحب من النظرة الأولى. أدّت العقلانية، من جانبها، إلى جعل المنفعة والرفاهية سمات أساسية للحب الحديث، مما أفرغ العلاقات العاطفية من عمقها العاطفي، وجعل المعاناة العاطفية غير متماشية مع المعايير الثقافية الجديدة للحب.

كما تظهر مظاهر العقلانية الحديثة في أشكال المواعدة عبر الإنترنت، حيث يستخدم الأفراد استراتيجيات عقلانية لتحقيق أهدافهم الرومانسية، مما يُنتج نوعًا جديدًا من الحب القائم على التخطيط والمقارنة، وليس على التلقائية والاندفاع العاطفي.

وفي مقطع آخر من الكتاب، تتناول إيلوز مسألة "الخيال" ودوره في تشكيل العلاقات العاطفية، حيث ترى أن الخيال لا يُلغي الواقع، بل يعيد إنتاجه بطريقة رمزية. فالخيال يمكن أن يحلّ محلّ التجربة الواقعية، أو يمنحها بعدًا دراميًا. وهو بذلك يُصبح أداة من أدوات التنشئة الاجتماعية، من خلال ما تنقله القصص والأفلام والمسلسلات من تصوّرات ومشاعر. يُمكن أن يؤدّي هذا التفاعل بين الخيال والواقع إلى "خيبة الأمل"، وهي سمة من سمات الحب في زمن الحداثة، حيث تتعارض التوقّعات المثالية التي يُغذّيها الخيال مع الواقع المُعاش، مما يُنتج شعورًا بالإحباط.

أما الكتاب الثاني فهو**"نهاية الحب: سوسيولوجيا العلاقات السلبية"**، للمؤلفة ذاتها. ويأتي هذا العمل ضمن مقاربة سوسيو-ثقافية تُحلّل شروط "اللاحب" والتحوّلات التي مسّت الحياة العاطفية في ظل الرأسمالية والحداثة. ومن أبرز مفاهيم هذا الكتاب: **اللايقين العاطفي** الذي يُشير إلى الضبابية والتناقض الذي يُميّز العلاقات العاطفية في الزمن الراهن. ويتجلّى هذا اللايقين في صعوبة فهم المشاعر، أو تفسير سلوك الآخر، أو حتى تمييز الحب الحقيقي من الارتباط المؤقّت. وترى الكاتبة أن هذا اللايقين هو نتيجة مباشرة للتفاعل بين سوق الاستهلاك، والصناعة العلاجية، والتكنولوجيا الرقمية، والتي تعمل كلّها ضمن إطار ثقافي جديد قائم على **إيديولوجيا الاختيار الفردي**، التي أصبحت الإطار المرجعي للحرية الشخصية في العصر الحديث.

كما تطرح الكاتبة مفهوم "**اختيار عدم الاختيار**"، وهو ما يُعرف بالاختيار السلبي، ويشمل عدة تجليات، منها: الحق في الانسحاب من العلاقة في أي لحظة، والحق في رفض الدخول في أي علاقة. وقد أدّت هذه الحرية المفرطة إلى آثار اجتماعية سلبية، مثل ارتفاع معدلات الطلاق، وتزايد العلاقات المتعددة، وتدهور قيمة الالتزام في العلاقات العاطفية.

تؤكد الكاتبة أيضًا على دور العولمة والليبرالية في ترسيخ هذا اللايقين، حيث بات يُنظر إلى الجسد كملكية خاصة يُمكن التصرّف فيه بحرية، وأصبح كل من الحب

والجنس محكومين بمنطق الاستهلاك والحرية الفردية. وهنا تطرح المؤلفة مفهوم "**الحداثة العاطفية**" الذي يُشير إلى تحوّل كبير بدأ منذ القرن الثامن عشر، وتحقّق فعليًا في ستينيات القرن العشرين، ويمثّل نقطة انعطاف في فهم العواطف وتنظيمها اجتماعيًا.

ومن أبرز خصائص الحداثة العاطفية، نذكر: اللايقين، والحق في الاختيار، والحرية الجنسية، والتي أدّت مجتمعة إلى اختفاء طقوس الحب التقليدية، مثل الغزل. كما تحوّلت الجنسانية إلى عنصر جوهري في تشكيل الذات، وأصبحت متداخلة مع الثقافة الاستهلاكية، بحيث لم تعد الجنسانية مجرّد سلوك بيولوجي، بل أصبحت مرآة تعكس مبدأ الحرية الفردية، وأداة من أدوات التعبير عن الذات الحديثة.

تُبرز الكاتبة أحد أشكال اللايقين العاطفي فيما يُعرف بـ"الجنس العرضي"، أو العلاقة الجسدية التي تتمّ دون مشاعر أو التزامات، وغالبًا ما تحدث لليلة واحدة فقط. تُنتج هذه العلاقات عالَمًا من **الانفصال العاطفي**، يتجلى أيضًا فيما يُعرف بـ"الرومانسية السريعة"، وهي ظاهرة أصبحت شائعة بفعل تطبيقات المواعدة الرقمية، حيث تُبنى العلاقات بسرعة، وتنتهي بالسهولة نفسها، مما يعكس هشاشة الروابط العاطفية في العصر الحديث.

ومن خلال ما سبق، يتضح أن الكتابين السابقين يُعطيان رؤية متكاملة حول تطور الحب الرومانسي في المجتمعات الغربية في ظل الحداثة، لكن في المقابل، نُلاحظ غيابًا شبه تام للدراسات السوسيولوجية التي تتناول الحب الرومانسي في السياقات العربية. ولهذا السبب، ارتأينا أن نُعيد طرح الإشكاليات التي عالجتها إيفا إيلوز، لكن ضمن سياقنا المحلي، أي المجتمع الجزائري، وبالتحديد مدينة معسكر، التي نعدّها مجتمعًا "بِكرًا" من حيث الدراسات السوسيولوجية حول موضوع الحب الرومانسي.

وقد مثّل هذا الدافع السبب الأول في اختيار موضوع الحب الرومانسي وربطه بالحداثة. ومن خلال دراسة استطلاعية أجريناها حول تصورات الشباب للحب الرومانسي في مدينة معسكر، لاحظنا وجود اختلافات في وجهات النظر، تعكس خصوصية التجارب الفردية من جهة، واختلافات جيليّة عميقة من جهة أخرى، خاصة فيما يخص طرق التعارف، وتصورات الزواج، والتعبير عن الحب.

وفي الوقت الراهن، أصبحت العلاقة العاطفية الوسيلة الأساسية التي يلجأ إليها الشباب للتعبير عن الحب الرومانسي، وغالبًا ما يُنظر إليها على أنها تمهيد للزواج. غير أن هذه العلاقات إذا ما فشلت، لا تؤدي إلى الارتباط، بل إلى الانفصال، وهو ما يعكس هشاشة الروابط، وتأثير الحداثة في تمثلات الحب والعلاقات العاطفية.

انطلاقًا من ذلك، نطرح الإشكالية التالية:

كيف أدّت تحولات الحداثة (مثل الفردانية، والعقلنة، ووسائط التواصل الرقمي، وسيولة القيم) إلى إعادة تشكيل مفهوم الحب وأنماط العلاقات العاطفية لدى الشباب في المجتمع الجزائري؟ وما هي الآثار السوسيولوجية لهذه التحولات على تجربة الحب وعلاقات الأفراد الشخصية؟

1-2- الفرضيات

في ضوء ما تقدّم من تحليل نظري، يصبح من الضروري الانتقال نحو صياغة فرضيات بحثية توضّح كيف تؤثر التحولات الاجتماعية الراهنة في إعادة تشكيل التجربة العاطفية لدى الشباب. فالمجتمعات الحديثة، بما تفرضه من قيم الفردانية والحرية الشخصية، لم تعد تضبط العلاقات العاطفية بالقوانين التقليدية وحدها، بل باتت هذه العلاقات خاضعة لمنطق الاختيار والانتقاء، وما يستتبعه ذلك من هشاشة محتملة في استمراريتها. كما أنّ التطور التكنولوجي وانتشار وسائل التواصل الاجتماعي أضاف بُعدًا جديدًا لهذه العلاقات، إذ فتح المجال أمام أنماط مبتكرة للتعارف والتواصل، غير أنّه في المقابل غذّى توقعات قد لا تتطابق مع الواقع، مما قد ينعكس على عمق الروابط وجودتها. ومن هذا المنطلق، يمكن بلورة فرضيتين أساسيتين موجهتين للبحث الميداني.

- **الفرضية الأولى:** تفضي الحداثة إلى سيولة في مفهوم الحب، وتعدّد في أنماط العلاقات العاطفية، مما يؤثر على استقرار هذه العلاقات.
- **الفرضية الثانية:** يساهم تزايد استخدام وسائل التواصل الاجتماعي في تشكيلأنماط جديدة للتعارف والتعبير عن الحب، لكنه قد يزيد من التوقعات غير الواقعية، ويؤثر على جودة وعمق العلاقات.

يكتسب هذا الطرح السوسيولوجي للحب الرومانسي أهمية كبيرة تنبع من محاولة الكشف عن طبيعة هذا الرابط: هل هو واقع يخضع لتأثير الحداثة ومظاهرها،

أم لا يزال محكومًا بتعاليم الدين الإسلامي وتقاليد المجتمع؟ تمكّننا الإجابة عن هذا التساؤل من الإحاطة بعقليات الأفراد عمومًا، والشباب على وجه الخصوص، وبالتالي تفتح المجال لفهم عدد من الظواهر الاجتماعية الأخرى ذات الصلة، مثل الطلاق، أو تعدد الزوجات، أو الخيانة الزوجية

2- تحديد المفاهيم وأجرأتها

ترتبط المفاهيم المستعملة في هذا البحث ارتباطًا مباشرًا بفرضياته، وعليه، فإننا سنسعى إلى توضيح المفاهيم المحورية التي تم استخدامها، انطلاقًا من فرضيات الدراسة ذاتها. وتُعد عملية تحديد المفاهيم وأجرأتها ركيزة أساسية لأي بحث سوسيولوجي، فهي تضمن الدقة العلمية وتمكن من تحويل الأفكار النظرية المجرّدة إلى متغيرات ومؤشرات قابلة للقياس والتحليل في الواقع الميداني. وفي هذا البحث، ترتبط المفاهيم المستعملة ارتباطاً مباشراً بالإشكالية الرئيسية للبحث بفرضياته، وعليه، سنسعى إلى توضيح المفاهيم المحورية التي تم استخدامها، انطلاقاً من طبيعة الدراسة والأهداف التي تسعى إلى تحقيقها.

تتشكّل الفرضية الأساسية الأولى من المفاهيم التالية: **الحداثة (بمظاهرها)، وسيولة مفهوم الحب وتعدد أنماط العلاقات العاطفية**؛ بينما تتشكل الفرضية الأساسية الثانية من مفاهيم: **مظاهر الحداثة (خاصة وسيط التواصل الرقمي)، وتشكيل أنماط جديدة للتعارف، والتعبير عن الحب، وتأثير ذلك على جودة التواصل وعمق العلاقة**.

2-1-الحداثة ومظاهرها في السياق المحلي

التعريف النظري: يشير مفهوم "الحداثة" إلى مرحلة تاريخية وتحوّلات اجتماعية وفكرية عميقة نشأت في أوروبا واتسمت بالانتقال من التفكير التقليدي القائم على المرجعيات الدينية إلى التفكير العقلاني، وتبنّي العلم والتكنولوجيا، وظهور الفردانية، والتمدّن، وخصائص المجتمع الصناعي وما بعد الصناعي. ويختلف المفكّرون حول بداية الحداثة؛ فيرى ريتشارد رورتي أنها ترتبط بفكر ديكارت، بينما يربطها يورغن هابرماس بعصر الأنوار، ويحدد فريديريك جيمسون تاريخ ميلادها في النصف الأول من القرن العشرين (حمادي، هواري،2014: 02).

ويعتبرها آلان توران "انتشاراً لمنتجات النشاط العقلي العلمية والتكنولوجية والإدارية. فهي تتضمن عملية التمييز المتنامي لعديد من قطاعات الحياة الاجتماعية: السياسية، والاقتصادية، والحياة العائلية، والدين، والفن على وجه الخصوص" (تورين، ألان، 1997: 29). وقد قامت الحداثة على نقض الإرث الاجتماعي التقليدي بكل مظاهره، وطرحت نموذجاً جديداً للرؤية إلى العالم، يتأسّس على التغير والتطور الاجتماعيين.

وترتكز الحداثة على عدد من الأسس الجوهرية، من بينها: العلمانية أو التخلي عن الدين كمرجع مطلق للمجتمع، والانتقال إلى مرجعية العلم بديلاً عنه؛ والتحوّل من المنطق الديني إلى منطق العقلانية؛ وكذلك العولمة، أو ما يُعرف بـ"العالم كقرية واحدة". كما أنّ الحداثة قامت على نقض الإرث الاجتماعي التقليدي بكل مظاهره، وطرحت نموذجًا جديدًا للرؤية إلى العالم، يتأسّس على التغيّر والتطوّر الاجتماعي.

وفي هذا السياق، يذكر مبروك مهدي أنّه "لو أردنا الحفر في طبقات الحداثة المتراكمة، لعثرنا على قاع فني جمالي تأسست عليه، وصاغت من خلاله رؤية فنية للعالم قطعت مع رؤية أخرى قديمة" (مبروك، مهدي، 1996-1997: 34). فالحداثة تمثّل عصرًا جديدًا قُطع فيه مع ما سُمّي بـ"عصر الظلمات"، خاصة على المستوى الفكري في أوروبا، وفي فرنسا على وجه التحديد.

أما من حيث الاصطلاح، فإن تحديد تعريف جامع مانع للحداثة يبدو صعبًا ومعقدًا، إذ تُعدّ الحداثة "مصطلحًا يشير إلى مرحلة تاريخية مرّت بها أوروبا (...) ويختلف الفلاسفة والمفكّرون حول بداية الحداثة؛ إذ يُلحق المفكر الأمريكي البراغماتي ريتشارد رورتي الحداثة بفكر ديكارت (القرنين السادس عشر والسابع عشر ميلاديين)، بينما يربطها المفكر الألماني يورغن هابرماس بعصر الأنوار (القرن الثامن عشر ميلادي)، في حين يحدّد الناقد الأدبي الأمريكي فريديريك جيمسون تاريخ ميلادها في النصف الأول من القرن العشرين" (حمادي، هواري، 2014: 99).

وتدلّ هذه التحديدات المتباينة على أن الحداثة تشير إلى مرحلة مفصلية عاشها المجتمع الأوروبي، حيث عرف ثورات فكرية وسياسية واقتصادية غيّرت من بنيته الفكرية والاجتماعية. وقد عبّر هيغل عن هذه الحداثة بمصطلح "الأزمنة الحديثة"،

حيث "يبدأ هيغل باستخدام مفهوم الحداثة، في سياق تاريخي، ليشير إلى عصر 'الأزمنة الجديدة' أو 'الأزمنة الحديثة'، ويقابلها بالإنكليزية والفرنسية ألفاظ Modern Times أو Temps Moderne، وتشير إلى القرون الثلاثة السابقة، لاكتشاف 'العالم الجديد'، وعصر النهضة، والإصلاح. تشكّل هذه الأحداث الثلاثة الهامة التي حدثت حوالي عام 1500 العتبةَ التاريخية بين العصور الوسطى والأزمنة الحديثة" (باشة، مهور، عبد الحليم، 2018: 05).

ويعتبر هابرماس الحداثة مشروعًا خاصًا بالمجتمعات الغربية، ارتبط بفترات تاريخية حاسمة، مثل الثورة الفرنسية - سياسيًا -، والثورة الصناعية - اقتصاديًا - في إنجلترا وأوروبا. جاء هذا في الوقت الذي لم تعرف فيه المجتمعات العربية مثل هذه التحوّلات الجوهرية، مما يجعل الحديث عن حداثة عربية أمرًا إشكاليًا.

ولقد سعت المجتمعات العربية إلى تبنّي نموذج الحداثة، ولكن بشكل انتقائي، حيث تم التركيز بالدرجة الأولى على الجانب التكنولوجي من هذا المشروع، في حين بقيت أسس الحداثة الأخرى، مثل العقلانية، والعولمة، والعلمانية، غير مُفعّلة أو غير مُتبنّاة بشكل فعلي.وعليه، يمكن القول إن هذه المجتمعات لا تعرف "الحداثة" بصيغتها الكاملة، بل تعرف ما يمكن أن نُطلق عليه اسم "مظاهر الحداثة"، أي شكلًا من أشكال الحداثة السطحية، تمثّلت أساسًا في الحداثة التكنولوجية، دون التأسيس الفكري والاجتماعي والسياسي الذي عرفته المجتمعات الغربية.

خصوصية الحداثة في السياق الجزائري: بالنظر إلى خصوصية المجتمعات العربية، بما فيها المجتمع الجزائري، فإنها لم تعش نفس المسارات التاريخية والتحولات الفكرية والسياسية والاقتصادية الجذرية التي عرفتها المجتمعات الغربية. لقد سعت المجتمعات العربية إلى تبني نموذج الحداثة بشكل انتقائي، مركّزة بالدرجة الأولى على الجانب التكنولوجي ومظاهر الاستهلاك، في حين بقيت أسس الحداثة الأخرى، مثل العقلانية العميقة، والعلمانية، والفردانية، إما غير مفعّلة أو غير متبناة بشكل فعلي.

لذلك، وفي سياق هذه الدراسة، لا نتحدث عن "الحداثة" بصيغتها الكاملة كما في الغرب، بل عن "مظاهر الحداثة" التي وصلت إلى المجتمع الجزائري كنتيجة للتأثر

بالنموذج الغربي عبر مشاريع التحديث، والاستعمار، والانفتاح على التكنولوجيا الحديثة. وتتجلى هذه المظاهر في:

ـ **الفردانية:** تعني حالة استقلالية الفرد وقدرته على اتخاذ قراراته بناءً على ذاته، متحرراً من سلطة الجماعة.

ـ **العقلنة:** التحول من التفكير الأسطوري أو الغيبي إلى التفكير المنطقي والعلمي في فهم الظواهر واتخاذ القرارات.

ـ **وسائط التواصل الرقمي:** انتشار استخدام الإنترنت ووسائل التواصل الاجتماعي كأدوات أساسية للتواصل والتفاعل الاجتماعي.

ـ **سيولة القيم:** تغيّر وتذبذب في المنظومة القيمية التي تحكم العلاقات الاجتماعية، بما في ذلك القيم المتعلقة بالحب والزواج، مما يجعلها أقل ثباتاً وأكثر قابلية للتغير.

المؤشرات الإجرائية: سيتم قياس "مظاهر الحداثة" وتأثيرها على الحب والعلاقات العاطفية من خلال المؤشرات الإجرائية التالية في سياق المقابلات:

ـ **مدى تبني الفرد لخيارات شخصية في الحب:** كالحرية في اختيار الشريك، اتخاذ قرار الارتباط أو الانفصال، بعيداً عن ضغوط الأسرة، أو الأعراف الاجتماعية التقليدية.

ـ **تأثير التقنية الرقمية:** استخدام وسائل التواصل الاجتماعي في التعارف، وبدء العلاقات، والتواصل اليومي، وإنهاء العلاقات.

ـ **تغير في مفهوم الالتزام والاستقرار في العلاقة:** الانفتاح على تعدد العلاقات، والخوف من الالتزام، والبحث المستمر عن بدائل، وسهولة إنهاء العلاقة.

ـ **النظرة إلى العلاقات العاطفية خارج إطار الزواج التقليدي:** مدى تقبل أو ممارسة علاقات عاطفية غير مقننة اجتماعياً أو دينياً.

2-2-سيولة مفهوم الحب وتعدد أنماط العلاقات العاطفية

التعريف النظري: يعرَّف الحب لغوياً بأنه: "ميل وودّ الشيء أو الشخص" (مختار، عمر، 2008: 431)، ويشمل التعلّق العاطفي أو الجسدي بين الرجل والمرأة. وفي سياق هذا البحث، نعتبر الحب "تعلّقاً عاطفياً قد يكون مثالياً أو عابراً بين الأفراد" (خطاب، عبد الحميد، 2004: 24). إنمفهوم "سيولة الحب" مستوحى من أفكار زيجمونت باومان حول "الحب السائل" في المجتمع السائل الحديث. ويشير هذا المفهوم إلى تحول جوهري في طبيعة العلاقات العاطفية، حيث أصبحت أقل ديمومة، وأكثر هشاشة، وتفتقر إلى الالتزام طويل الأمد. وينبع هذا التحول من الفردانية المتزايدة، والرغبة في الحرية القصوى، وتجنب الالتزامات التي قد تحد من "الذات" الفردية. وتعني "سيولة الحب" أنّ العلاقات أصبحت أقرب إلى "الروابط المؤقتة" التي يمكن فكّها بسهولة عند ظهور أي عقبة أو فرصة أفضل.

ـ **المؤشرات الإجرائية:** سيتم قياس "سيولة مفهوم الحب وتعدد أنماط العلاقات العاطفية" من خلال المؤشرات التالية:

ـ مسار رابط الحب المشكّل من:

ـ **البداية:** كيفية بدء العلاقة (تقليدية/عبر الأنترنت، الحب من النظرة الأولى، التعارف المباشر).

ـ **التطور:** مراحل تطور العلاقة (سرعتها، عمقها، مدى الجدية والالتزام).

ـ **النهاية:** أسباب إنهاء العلاقات، سهولة أو صعوبة اتخاذ قرار الانفصال، عدد العلاقات السابقة.

ـ **تعدد الاختيارات والعلاقات:** وجود علاقات متعددة في نفس الوقت، البحث عن بديل أفضل حتى أثناء وجود العلاقة، الانفتاح على علاقات جديدة بعد فترة قصيرة من الانفصال.

ـ **حرية بدء وإنهاء العلاقة:** مدى الشعور بالتحرر من القيود الاجتماعية، أو الأسرية في اختيار الشريك وإنهاء العلاقة.

ـ **مظاهر الحب السائل:** الخوف من الالتزام، التفضيل للعلاقات غير الملزمة، النظرة إلى الزواج كقيد.

2-3- تشكيل أنماط جديدة للتعارف والتعبير عن الحب وتأثيرها على جودة التواصل

التعريف النظري: يشير هذا المفهوم إلى الدور المتزايد لوسائل التواصل الاجتماعي والإنترنت في تغيير ديناميكيات التعارف والتعبير عن المشاعر العاطفية. فبينما كانت العلاقات تُبنى سابقاً على اللقاءات المباشرة والتفاعلات وجهاً لوجه، أصبح اليوم وسيط التواصل الرقمي أداة رئيسية في بناء العلاقات، والتعارف، واستمرار التواصل بين طرفي العلاقة. ينطوي هذا التغيير في الوسيلة على مضامين نفسية واجتماعية مختلفة عن العلاقات التقليدية، منها: سهولة الوصول والتواصل، لكن أيضاً خطر تزايد التوقعات غير الواقعية، وتسطيح العلاقات، وغياب التواصل العميق اللازم لبناء الثقة والتفاهم.

المؤشرات الإجرائية: سيتم قياس هذا المفهوم من خلال المؤشرات التالية:

ـ **طبيعة العلاقات العاطفية عبر الإنترنت:** مدى شيوع التعارف عبر المنصات الرقمية، استخدام تطبيقات المواعدة، التعرف على الشريك عبر وسائل التواصل الاجتماعي.

ـ **تحولات أشكال التعبير عن رابط الحب:** استخدام الرسائل النصية، الرموز التعبيرية، المكالمات المرئية للتعبير عن المشاعر بدلاً من اللقاءات الحضورية.

ـ **الموقف من العلاقة الحضورية (الواقعية):** تفضيل التواصل الرقمي على اللقاءات المباشرة، أو العكس، مدى أهمية اللقاءات وجهاً لوجه في بناء العلاقة.

ـ **تأثير التواصل الرقمي على جودة العلاقة:** هل يشعر المبحوثون أن التواصل عبر الإنترنت يزيد من عمق العلاقة أم يؤثر سلباً على الثقة والتفاهم؟ هل يؤدي إلى توقعات غير واقعية عن الشريك؟

ـ **مظاهر المشاعر المرتبطة بالحب الافتراضي:** الغيرة الناتجة عن المراقبة الرقمية، الشك في هوية الطرف الآخر، طبيعة الشوق والانتظار في العلاقات الافتراضية.

2-4-السلطة في سياق رابط الحب

التعريف النظري: تعرف السلطة لغوياً بأنها "التسلط والسيطرة والتحكم، السيادة والحكم" (مختار،عمر، عبد السلام، 2008: 1193). ومن الناحية السوسيولوجية، يرى ماكس فيبر أنها "إمكانية انصياع مجموعة محددة من الأشخاص لأمر ذي محتوى معين" (فيبر، ماكس،2011: 92). وفي سياق هذه الدراسة، تُفهم السلطة على أنها التأثير الاجتماعي أو الثقافي الذي يمارسه الدين، أو المجتمع، أو الفردانية على تصرفات الأفراد وخياراتهم المتعلقة بالحب والعلاقات العاطفية.

المؤشرات الإجرائية:

ـ سلطة الدين:

ـ **موقف القرآن والسنة:** تأويل شركاء العلاقة لموقف الدين (موقف القرآن والسنة) من الحب خارج إطار الزواج، ومدى تأثيره على سلوكهم.

ـ **الوازع الديني والأخلاقي:** مدى أهمية القيم الدينية والأخلاقية في تشكيل تصورات المبحوثين وسلوكهم تجاه الحب الرومانسي والعلاقات العاطفية.

ـ سلطة المجتمع:

ـ **سلطة الأسرة:** تأثير آراء الأسرة وموافقتها على قرار الارتباط، تدخّل الأسرة في اختيار الشريك، أو في فض العلاقة.

ـ **سلطة العرف والعادات:** مدى التزام الأفراد بالأعراف والتقاليد الاجتماعية المتعلقة بالتعارف والخطوبة والزواج، والعلاقات قبل الزواج.

ـ **النظرة المجتمعية:** تأثير نظرة المجتمع والنميمة، والوصمة الاجتماعية على خيارات الأفراد في الحب والعلاقات.

السلطة الفردانية:

- حرية اتخاذ القرار: مدى استقلالية الفرد في اتخاذ قرارات الارتباط أو الانفصال بعيداً عن إكراهات الجماعة أو المرجعيات التقليدية.

- الذات والآخر: النظرة إلى الذات كمركز للقرار، تأثير نظرة الآخر على الذات، وتقديم المصلحة الشخصية على حساب العلاقة.

- البراغماتية في العلاقات: استخدام العلاقة كوسيلة لتحقيق مصالح شخصية أو مادية، مدى أهمية المنفعة في استمرارية العلاقة.

ستمكّن هذه الأجرأة المفصّلة للمفاهيم من بناء محاور المقابلات وتصميم أدوات البحث بشكل دقيق، مما يضمن جمع بيانات ثريّة وذات صلة بالإشكالية المطروحة، ويسهل عملية تحليل هذه البيانات وتفسيرها في ضوء الإطار النظري المختار.

3-النظريةالمؤطرة للبحث

تتطلب دراسة الإنسان فهمًا متداخلًا يأخذ بعين الاعتبار الأبعاد البيولوجية والثقافية على حد سواء، إذ لا يمكن اختزال سلوكياته وهوياته في جانب واحد دون الآخر. فكل تجربة حياتية، سواء كانت مكتسبة عبر النشأة الأولى أو تشكّلت في السياقات الاجتماعية المعاصرة، تترك أثرها في تشكيل إدراك الفرد وسلوكه، ما يجعل منه كيانًا متفاعلًا بين الجسد والعقل، وبين الفرد والمجتمع. فنحن "نتاج كلٍ من بيولوجياتنا وبيئاتنا السابقة والحالية في آنٍ واحدٍ. بيئاتنا الماضية والحاضرة، في آنٍ واحد وبشكل لا ينفصل؛ نحن أجسادٌ وكذلك عقول في الوقت نفسه." (Wharton, Amy S., 2005:20). نحن، إذن، مخلوقات ثقافية ولسنا بيولوجيين فقط، إذ تحكم ثقافة أجدادنا سلوكياتنا وطريقة تفكيرنا، خاصة في علاقاتنا اليومية بمختلف أشكالها. وبناءً على هذا الفهم، سيتم تأطير هذا البحث بمفاهيم نظرية الجندر، وبالخصوص الجندر كمفهوم مركزي في نضالات الحركة النسوية في القرن التاسع عشر. ومن أبرز رواد هذه النظرية: آن أوكلي، جوديثبتلر، ستيفي جاكسون.

تتجذر أهمية دراسة الجندر في فهم العلاقات الاجتماعية المعقدة التي تتجاوز الاختلاف البيولوجي بين الجنسين، إذ يتيح هذا المفهوم تحليل الطرق التي تتشكل من خلالها الهويات والسلوكيات اليومية داخل الأطر الثقافية والاجتماعية. فالنظرة إلى

الإنسان بوصفه كيانًا متداخل الأبعاد البيولوجية والثقافية تمكّن الباحث من دراسة العلاقة بين الفرد والمجتمع بشكل نقدي، مع التركيز على السياقات التاريخية التي أسهمت في ترسيخ هذه الهويات. ويشكّل الجندر "الجوانب النفسية والاجتماعية والثقافية للذكورة والأنوثة"(Wharton, Amy S., 2005: 07) ، أي إنه يتجسّد في ظهور سمات ثقافية واجتماعية على أساس الجنس باعتباره صفة بيولوجية. فالجنس بيولوجي، أما النوع فهو اجتماعي، ومن ثم تُنتج الأدوار الجندرية من خلال تقسيم ثقافي يجعل النساء مسؤولات عن المهام المنزلية مثلًا، والرجال عن الشأن الخارجي. وتتأسس بذلك الفروقات وعدم المساواة بين الجنسين التي "يتم غرسها في الأسرة".(Etin, Anwarn, 2006:33)

ويعزّز المجتمع هذا التقسيم الجندري، إذ يرتبط الجندر – بحسب هذه النظرية – بالثقافة والدين والعرف، حيث إن توزيع الأدوار بين المرأة والرجل يستند إلى أساس ثقافي لا بيولوجي فقط، ويتغيّر من ثقافة إلى أخرى. ففي السياق الإسلامي مثلًا، "يتم توجيه هذا البناء الشعبي للذكورة والأنوثة من خلال قوى متعدّدة من المؤسسات الاجتماعية، والنظام القانوني، والأعراف، والثقافات المحلية التي تعزز تباعًا إدامة النظام الأبوي في المجتمعات الإسلامية"(Etin, Anwarn, 2006 :94) .

وقد نشأت نظرية الجندر كاستجابة لمتطلبات الحداثة التي أعادت تشكيل أنماط الحياة والعيش، وسعت إلى التحرّر من القيود الاجتماعية والثقافية التقليدية. وتهدف هذه النظرية إلى فهم العلاقة بين المرأة والرجل، باعتبارها علاقة مبنية على التنشئة الاجتماعية والثقافية التي تصنع فروقات اجتماعية تدفع الأفراد للتصرف وفق ما يتوقّعه منهم المجتمع.

وفي سياق العلاقة الرومانسية، يُفترض أن يتصرّف الطرفان – الرجل والمرأة –وفق أدوار مفروضة اجتماعيًا وثقافيًا. وتُجسّد هذه الأدوار في بنى سلطوية، كالسلطة الذكورية التي تظهر من خلال استراتيجيات توجيه الرجل للعلاقة، كأن يكون هو صاحب القرار في بدايتها أو نهايتها. ويُعد النظام الأبوي أحد أهم المؤسسات التي تُكرّس الفروقات الثقافية بين الجنسين، حيث "تتفاقم أوجه عدم المساواة داخل هذا النظام الأبوي، الذي تعمل سلطته في مختلف الأجهزة القانونية والاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية". (Etin, Anwarn, 2006 : 46)

يُعد فهم الجندر مفتاحًا أساسيًا لتحليل العلاقات الاجتماعية والهويات الفردية، إذ يتجاوز النظر إلى الفروق البيولوجية بين الجنسين ليكشف عن العمليات الاجتماعية والثقافية التي تشكّل الخبرات اليومية. فالدراسة الأكاديمية للجندر تمكن من إدراك الطرق التي تُنتج بها المجتمعات الفروقات بين الأفراد، وكيف تتكرر هذه العمليات في سياقات مختلفة، ما يجعل الجندر أكثر من مجرد صفة ثابتة، بل عملية ديناميكية تتفاعل مع التاريخ والثقافة والممارسة اليومية.إن "الجندر هو عملية بقدر ما هو حالة ثابتة. وهذا يعني أن الجندر يتم إنتاجه وإعادة إنتاجه باستمرار. وبعبارة أخرى، يمكننا القول أن الجندر يُسنّ أو "يُفعَل"، وليس فقط يُعبّر عنه، وبالتالي فإن الآليات التي يحدث من خلالها ذلك هو هدف مهم".(Wharton, Amy S., 2005:08)

إن الجندر بهذا المعنى موجود داخل البنية الاجتماعية، ويتم تشكيله من خلال ممارسات الفعل الاجتماعي، سواء من قِبل الرجل أو المرأة، وكذلك من خلال دور المؤسسات الاجتماعية، خاصة في المجتمعات العربية. وسنسعى في هذا البحث إلى فهم الآليات التي تُشكّل علاقة الحب الرومانسي بين المرأة والرجل، استنادًا إلى المفاهيم التالية:

ـ **الهوية الجندرية**: تُشير إلى كيفية تصنيفنا لأنفسنا وللآخرين كذكور أو إناث، ووعي الفرد بالانتماء الجندري وكيف يشعر طرفا العلاقة بنفسيهما، إذ يُعتبر الجندر معطى اجتماعيًا أكثر منه بيولوجيًا. و"تبدأ الهوية الجنوسية بالمعرفة والإدراك، سواء الواعي أو اللاواعي، بأن المرء ينتمي إلى جنس واحد وليس إلى الآخر" (غلوفردفيد، كابلان كورا، 2008: 28). وسنحاول فهم كيف ينظر طرفا العلاقة إلى نفسيهما وإلى الآخر، وما السلوكيات التي تجسد مفهوم الهوية في إطار العلاقة الرومانسية، من خلال مؤشرات معينة، أهمها: تجارب العلاقات السابقة وتقييم الذات والآخر بالنسبة إلى رابط الحب.

ـ **الأدوار الاجتماعية**: يُقصد بها "دور كل من الرجل والمرأة في العلاقة، حسب ما يتوقعه منهما المجتمع وما نشأ عليه من خلال التربية الاجتماعية والظروف الاجتماعية" (مسرد مفاهيم ومصطلحات النوع الاجتماعي، 2006: 10). وسنسعى لفهم سلوك كل من الجنسين من خلال بعض مؤشرات، مثل: الموقف من الجنس، الموقف من العلاقة الحضورية (اللقاء، التواصل).

ـ **التربية الاجتماعية**: نقصد بها دور الأسرة في تحديد وضعية المرأة، لا سيما في علاقتها بالرجل الغريب. وسنحاول فهم كيف قامت أسر المبحوثين بتحديد رؤيتهم للجنس الآخر وعلاقتهم به من خلال مؤشرات معينة، مثل: سلطة المجتمع ورابط الحب، وسلطة الأسرة ورابط الحب، وسلطة العرف والعادات ورابط الحب.

ـ **السلطة الذكورية**: "يقوم حجر الأساس في النظام الأبوي على هيمنة الذكر على الأنثى، واستعباد المرأة، واضطهادها، ونفي وجودها الاجتماعي، وذلك لأنه مجتمع أبوي يسيطر فيه الرجل على المرأة لأنها أقل درجة منه، ويكون ذو ذهنية ذكورية ذات نزعة تسلطية ترفض النقد والحوار وتعاقب كل من يخرج على هذا النظام الأبوي البطريركي" (الحيدري، إبراهيم، 2016: 07). وفي هذه الدراسة، ترتبط السلطة الذكورية بنفوذ الرجل في علاقة الحب على المرأة، ومنحه أدوار القيادة والتملك. وسنحاول فهم الآليات التي تربط بين الجنسين، خصوصًا تلك التي تُجسد سيطرة الرجل وخضوع المرأة، من خلال بعض المؤشرات، مثل: استراتيجيات رابط الحب، كالمجازفات والمتاعب، والتملك، والاختلافات.

ـ **التفاعلية الرمزية:** نتيجة للتحولات التي حصلت في المجتمع الأمريكي المتعلقة بالهجرة، وظهور آفات الانحراف والجريمة اهتمت مدرسة شيكاغو بهذه التحولات والمشاكل الاجتماعية الناتجة عنها خاصة من قِبل رواد التفاعلية الرمزية الذين اهتموا بدراسة الذات الفردية التي تكوّن الذات الاجتماعية، وبالتالي فهم الظواهر الاجتماعية في كلّيتها. وقد " ظهر أول استعمال لمصطلح التفاعلية الرمزية مع عالم الاجتماع هلبرت بلومر سنة 1937" (Grawitz, Madeleine, 1993: 122).

ومن أهم رواد هذه النظريةجورج هربرت ميد، باعتباره من مؤسسي الاتجاه بطرحه لأفكار جوهرية تتعلّق بمسار تكوّن الفرد أو الفاعل الاجتماعي الذي يعبّر عن الذات التي تنشأ عبر مسار التنشئة الاجتماعية والتفاعل مع الآخرين؛ "وبالتالي، تأخذ الذات معنى اجتماعيا. وتعتبر المراحل الأولى للذات اجتماعية بامتياز، إذْ تتكون الذات من بعد نفسي يتعلق بشخصية الفرد وبعد اجتماعي ينطوي على المحيط الاجتماعي الذي يتشكّل بدوره نتيجة للتفاعل مع الآخرين"(Coulon, Alain, 1999: 15). ويمكن تلخيص أهم أفكار ميد من في العناصر التالية:

- إننا نعيش في محيط رمزي وبيولوجي، كما أننا نكوّن أفعالنا في هذا العالم بمساعدة الرموز.

- تؤسس الثقافة التي نحملها والتي تتكون من مجموعة من المعايير معظم أفعالنا.

- إن الرموز والمعاني ليست منفصلة وإنما متشابكة ومعقدة، وهو ما يسمح ببروز دور الفرد من خلال امتزاج الذات مع الأنا.

يؤكدآلان كولون (14 :1999) على ضرورة النظر إلى المعاني التي يمنحها الأفراد للأشياء والرموز، إذ أنّ هذه المعاني تشكّل العالم الاجتماعي. وتتمحور هذه النظرية حول دراسة الفاعل الاجتماعي في علاقته بالواقع الذي يعيشه.تركّز التفاعلية الرمزية على الفاعل الاجتماعي وعلى كيفية تفسيره للعالم والمعاني التي يمنحها الفاعلون لأفعالهم. وترى هذه النظرية أن عملية التفاعل والتواصل تشكّل الأساس الذي يُبنى عليه الفعل الاجتماعي. ويشير ميد إلى أن التفاعل يكوّن هوية الفرد من خلال قيامه بدور معيّن نتيجة وجوده داخل جماعة محددة. ويتحقق التفاعل عبر:

- **الذات**: التي تتشكل نتيجة التفاعل مع الآخرين.

-**الأنا**: الذي يتميز بطابع فردي.

تنتج عملية اتخاذ القرار والقيام بالفعل عن التفاعل بين الأنا والذات، حيث ترتبط الذات بقوانين المجتمع ومعاييره وبالتفاعل مع الآخرين، بينما يتصل الأنا بشخصية الفرد. وتقوم الذات بإنتاج القرار، غير أن الأنا هو الذي يتخذه. وتتكون الذات الاجتماعية من مستويين: فردي واجتماعي، إذ يتشكل المستوى الاجتماعي من التفاعل والمعاني التي يبنيها الفرد عن نفسه وأفعاله، ومن ثم تتحقق العلاقة بين الفرد والمجتمع.ومن بين أهم الرموز التي تمكّن التفاعل، وفقًا لميد، **اللغة**، فهي تؤسس للتواصل ونقل المعاني والأفكار، كما أن "اللغة تؤسس لعلاقة الفاعلين الاجتماعيين مع بعضهم البعض ومع المجتمع من خلال الخطاب، الإشارات وغيرها من أشكال اللغة التي تعتبر وسيطًا بين الفاعلين الاجتماعيين".(Digneffe, Françoise,1993:25)

هربرت بلومر: يعرّف بلومر التفاعل الرمزي بأنه "خاصية مميزة وفريدة للتفاعل الذي يقع بين الناس، وما يجعل هذا التفاعل فريدًا هو أن الناس يفسرون ويؤولون أفعال بعضهم البعض بدلًا من الاستجابة المجردة لها. إن استجابتهم لا تصنع

مباشرة، وبدلًا من ذلك تستند إلى المعنى الذي يلصقونه بأفعالهم" (الحوراني، محمد، عبد الكريم، 2008: 28). ويرى بلومر أن الفرد يقوم بأفعاله تبعًا للمعاني المتكوّنة من خلال عملية التفاعل. كما اهتم بدراسة المشاكل الاجتماعية، مبينًا أنها تمرّ بمسار اجتماعي ومراحل ما حتى تتخذ شكلًا معيّنًا، ابتداءً من التعرف عليها، مرورًا بمنحها الشرعية، ثم بحركية الأفعال حيث تصبح موضوعًا للتعامل والخطاب، وعندما تصب مرحلة النضج، يبحث المجتمع عن طريقة لمعالجتها من خلال التنظيمات الرسمية. وبالتالي، " لابد من موضعة المشاكل الاجتماعية، حيث تختلف درجة خطورة الحالات الاجتماعية من زمن لآخر في نفس المجتمع".(Blumer, Herbert, 2004 :188)

هيوارد بيكر: اهتم هيوارد بيكر بالعلاقات والشبكات التي تربط بين الفاعلين والأفعال، معتبرًا أن الفعل الجماعي ذو أساس فردي. كما تناول الممارسات والأفعال الناتجة عن التواصل بين الأفراد في وضعيات محدّدة، حيث يظهر دور الفرد في تفسير الحالة الاجتماعية ورؤية الآخرين لها، مما يؤدي إلى توافق يتم عبر اللغة التي ينتجها ويتلقاها الفاعلون الاجتماعيون. واهتم بيكر أيضًا بالحياة اليومية داخل الجماعة، حيث يؤسس الاتفاق للتعاون بين الأفراد، وهذا ما يجعل الأفعال تصبح شبه عادة وليست مفروضة. فالاتفاق يسهل الحياة اليومية ويجعلها مرنة ومرتكزة على التعاون، وبالتالي فإن مواقع الأفراد تؤسس للفعل وطريقة الفعل.

إرفنجوفمان: تعتبر إسهامات إرفنجوفمان ذات أهمية كبيرة بالنسبة للتفاعلية الرمزية، إذ اهتم بالحياة اليومية والتفاعلات المباشرة بين الأفراد، حيث تتوضح الأدوار وتظهر "طقوس التفاعل التي تؤسس لتلك العلاقة المهمة بين الوحدات الاجتماعية الصغرى والوحدات الاجتماعية الكبرى."(Grawitz,Madeleine, 1993: 124)). ويمثّل جوفمان الحياة اليومية كمسرح تتشابه فيه الأدوار. وتحدث المواجهة بين الأفراد في الحياة اليومية من خلال رموز التواصل المرتبطة بالجسد والإشارات، فتكوّن هذه الرموز مشهدًا يشبه المشهد المسرحي في رمزيته، لكنه ذو بعد اجتماعي يستدعي الملاحظة والدراسة.

وانطلاقا من ذلك، تسعى هذه الدراسة إلى فهم تمثلات الحب الرومانسي المتجسد في العلاقات العاطفية عبر وحدات اجتماعية صغرى (عينة من عشرين فردًا)، بهدف الوصول إلى ما هو كلي وعام. ويُنظر إلى الفعل الاجتماعي بوصفه

نتاجًا لتفاعل وامتزاج شخصية الفرد بالمحيط الاجتماعي، مما ينتج أفعال العلاقات العاطفية.ويرى ميد في هذا الصدد أن "الدراسة السوسيولوجية تتطلب تحليل المسارات التي يقوم الفاعلون عن طريقها بأفعالهم نتيجة رؤيتهم للمحيط الاجتماعي" (Coulon, Alain, 1999: 15). ووفقًا لهذه الرؤية، تحاول الدراسة تحديد مسار العلاقة العاطفية، وكيفية تشكّلها ومراحلها، كما تهتم التفاعلية الرمزية بدراسة المعاني المرتبطة بالفاعلين الاجتماعيين، ومن ثم معرفة أهم المعاني التي تخلق الحب الرومانسي وتنتج عنه. وتعتبر الدراسة أن التواصل والتفاعل من أبرز العوامل التي تشكل العلاقات العاطفية، حيث تؤثر طريقة التواصل بين الشريكين من جهة، وبينهما والمجتمع من جهة أخرى، في مسار العلاقة. كما أن المعاني التي يمنحها الشباب المبحوثون للحب الرومانسي والعلاقة العاطفية تحدّد أفعالهم داخل هذه العلاقة.

4- المنهج

سيتم اعتماد **المنهج الكيفي** في هذه الدراسة نظرًا لما يتيحه من قدرة على فهم الظواهر الاجتماعية المعقدة من خلال التعمق في السياقات المحلية وتجارب الأفراد. ويُقصد بالبحث النوعي أو الكيفي إجراء دراسات بحثية اعتمادًا على الملاحظات الميدانية والمقابلات للحصول على المعلومات دون اللجوء إلى الاستخدامات الإحصائية، وهو منهج يركّز على استكشاف المعاني التي يمنحها المشاركون لأفعالهم وتجاربهم الشخصية، بدلاً من الاقتصار على الأرقام والبيانات الكمية. يتطلب هذا النهج غالبًا مشاركة الباحث في الفعاليات الاجتماعية للمجتمع قيد الدراسة، بما يُعرف بالملاحظة بالمشاركة، إذ يختلف مستوى مشاركة الباحث وفق طبيعة الدراسة والأهداف البحثية، مما يتيح له فهمًا أعمق للأنماط السلوكية والدوافع الثقافية والاجتماعية التي تتحكم في سلوك الأفراد.

ويكتسب هذا المنهج أهميته في دراسة موضوع الحب الرومانسي والعلاقات العاطفية، إذ لا يمكن اختزال هذه الظواهر في معايير كمية بحتة، بل تحتاج إلى تحليل معمّق للتجارب الشخصية والرسائل الاجتماعية والثقافية المتضمنة فيها. ومن ثم، يتيح المنهج الوصفي التحليلي رصد التفاصيل الدقيقة والتفاعلات اليومية التي يعبر من خلالها الأفراد عن مشاعرهم وتجاربهم العاطفية، مع تفسير هذه المعاني وتأويلها سوسيولوجيًا في ضوء الإطار النظري للجندر والعلاقات الاجتماعية. بهذا، يُمكّننا

هذاالمنهج من الوصول إلى فهم شامل للظاهرة المدروسة، مع تقديم استنتاجات تراعي التعقيد الثقافي والاجتماعي، بما يعزز إمكانية استخلاص نتائج قابلة للتعميم ضمن حدود السياق المحلي.

5تقنيات البحث

سنعتمد على **المقابلة** في قياس المؤشرات وجمع المعطيات الميدانية التي تمثّل لقاء بين الباحث والمبحوث تُحدّد فيه محاور الأسئلة الموجهة للحوار بهدف جمع بيانات تخص الموضوع المدروس والتحقق من فرضيات البحث. ويعرّف معن خليل العمر المقابلة "على أنها سبر غور حياة فرد غير معروف للباحث، بواسطة تحفيز ذاكرته حول معلومات ترجع إلى الماضي أو تتعلق بحياته الشخصية أو محيطه الاجتماعي، عن طريق طرح أسئلة تتعلق بشكل مباشر بحياة وآراء ومواقف وقيم المبحوث، وتكون هذه العملية وجهًا لوجه، وتُقدَّم الإجابات فيها بشكل شفهي دون إلزام" (عجابي أسماء، 2022: 92). وسيتم الاعتماد على **المقابلة النصف الموجهة** التي تستند إلى دليل يحتوي على محاور أو أسئلة موجهة للحوار بين الباحث والمبحوث، بالإضافة إلى **تقنية الملاحظة المباشرة** لرصد أفعال وردّات فعل المبحوثين أثناء المقابلة.

6مجتمع البحث والعينة

يمثل **مجتمع البحث** المجموع الكلي للأفراد الذين يرتبطون بموضوع الدراسة ويظهرون اهتمامًا أو خبرة في مجالها، ويتمثل هنا في جميع الأفراد الذين يمتلكون رؤى محددة حول الحب الرومانسي، سواء عبر تجاربهم الشخصية المباشرة أو من خلال ملاحظاتهم لتجارب الآخرين المحيطين بهم. ويتيح تحديد مجتمع البحث وضع إطار شامل لفهم تنوع التجارب والتصورات المرتبطة بالظاهرة المدروسة، مع مراعاة السياقات الاجتماعية والثقافية التي تشكل هذه الخبرات.

أما **العينة**، فهي تمثل نسخة مصغرة عن مجتمع البحث الكلي، تهدف إلى تسهيل الدراسة وتحقيق تحليل معمّق قادر على الوصول إلى فهم نوعي غني للأنماط والسلوكيات والمعتقدات التي يشاركها الأفراد. وفي هذا السياق، تم اعتماد العينة القصدية، إذ اختير المبحوثون وفق معايير محددة تتعلق بخبرتهم وتجاربهم في الحب الرومانسي، بما يسمح بالتركيز على الحالات الأكثر صلة بموضوع الدراسة. وتتكون

عينة البحث من عشرة أفراد يعيشون قصص حب رومانسي متجسدة في علاقات عاطفية فعلية، مما يمكّننا من جمع بيانات نوعية دقيقة وتحليلها وتأويلها ضمن الإطار النظري المعتمد، للوصول إلى استنتاجات تعكس فهمًا عميقًا للظاهرة المدروسة وتسمح بتسليط الضوء على التفاعلات بين الفرد والمجتمع في سياق الحب الرومانسي.ولقد كان اختيارنا لعشرة مبحوثين نتيجة رؤيتنا للموضوع أن البحث كيفيّ ولا يبتغي التعميم الكلّي.

7-الإطار المكاني والزماني للدراسة

لقد تمت الدراسة الميدانية في مدينة معسكر، الواقعة في شمال غرب الجزائر، حيث تحدها شمالًا ولايتا وهران ومستغانم، وجنوبًا ولاية سعيدة، وشرقًا ولايتا تيارت وغليزان، بينما تحدها غربًا ولاية سيدي بلعباس، ما يمنحها بعدًا جغرافيًا متنوعًا يمكن من خلاله دراسة الظواهر الاجتماعية في سياقات مختلفة. وتبلغ مساحة هذه المدينة 5.135 كلم²، مما يتيح للباحث إمكانيات متعددة لجمع البيانات الميدانية من مختلف الأحياء والمناطق السكانية، بما يعكس التنوع الاجتماعي والثقافي للسكان المحليين.

أما الإطار الزماني للدراسة، فقد تمت الدراسة على مراحل متباينة زمنياً، حيث بدأنا منذ التسجيل فيالدكتوراه عام 2014 بالتركيز على الدراسات النظرية وجمع المراجع والمصادر ذات الصلة بموضوع البحث، ما أتاح تأسيس قاعدة معرفية صلبة للدراسة الميدانية المستقبلية. بعد ذلك، حدثت فترة انقطاع لسنوات، قبل أن يتم استئناف العمل البحثي سنة 2023، مع إعادة تنظيم خطة البحث وجمع البيانات بشكل متكامل، بما يضمن استمرار استكمال الدراسة ضمن الإطار الزماني المخطط له، وتحقيق أهداف الدراسة المرجوة.

8صعوبات البحث

تُعدّ عملية إنجاز هذا البحث تحدّيًا علميًا ومنهجيًا نظرًا لعدة صعوبات موضوعية وذاتية واجهتنا أثناء مراحل الإعداد. أولى هذه الصعوبات تتجلى في ندرة المراجع باللغة العربية التي تناولت موضوع الحب الرومانسي من منظور سوسيولوجي، حيث تبيّن من خلال مراجعة الأدبيات السابقة أن أغلب الدراسات المتوفرة إمّا تنتمي إلى الحقل الفلسفي أو النفسي، أو كُتبت باللغات الأجنبية، خاصة الفرنسية والإنجليزية. وهو ما فرض علينا مضاعفة الجهد في البحث عن نصوص

ومراجع نظرية مترابطة مع موضوع الدراسة، والاعتماد على بعض الترجمات أو المقاربات القريبة من الإطار السوسيولوجي.

أما الصعوبة الثانية فتكمن في حساسية الموضوع المطروح، إذ أن تناول مسألة الحب والعلاقات العاطفية في السياق العربي الإسلامي يُعتبر موضوعًا ذا حمولة ثقافية ودينية قوية، قد يُثير تحفظات أخلاقية واجتماعية. وقد واجهنا خلال المقابلات الميدانية نوعًا من التردد والحرج لدى بعض المبحوثين في الإجابة عن الأسئلة المرتبطة بعلاقاتهم العاطفية أو بتصوراتهم للحب، وهو ما تطلّب جهداً إضافياً لتهيئة جو من الثقة والسرية، يضمن صدق الإجابات ويقلّل من الانحياز الاجتماعي في التصريحات. كما أن طبيعة الموضوع تمسّ مباشرة البنى القيمية للأفراد وللمجتمع، مما فرض علينا الالتزام بدرجة عالية من الحياد الأكاديمي والتوازن بين الاعتبارات العلمية والمعايير الثقافية.

أما الصعوبة الثالثة، فهي ذات طابع عملي وتتعلق بالتوفيق بين مهام التدريس الجامعي ومتطلبات تحضير الأطروحة، إذ أن الالتزامات المهنية المتعددة كمتابعة الطلبة، والمشاركة في الأنشطة العلمية والإدارية يتطلب الكثير من الوقت والجهد. وقد انعكس ذلك على وتيرة التقدم في إنجاز البحث، حيث تطلّب منا تنظيمًا للوقت وإدارة مزدوجة للمهام الأكاديمية والبحثية، بغية ضمان الاستمرارية في التحضير للأطروحة.

في ضوء ما سبق، يمكن القول إن هذه الصعوبات لم تُشكل عوائق مانعة بقدر ما مثلت محفزات على الإبداع العلمي والصرامة المنهجية. فقد دفعتنا إلى توسيع دائرة الاطلاع على المراجع الأجنبية، واعتماد مقاربة ميدانية دقيقة تراعي الخصوصية الثقافية، وإلى تطوير استراتيجيات ذاتية لإدارة الوقت. وبهذا المعنى، أسهمت التحديات في تعزيز القيمة العلمية للبحث وفي إغنائه بمقاربات متعددة، مما يمنحه طابعًا أكاديميًا أصيلًا ومتماسكًا.

خلاصة الفصل الأول

خلص الفصل الأول إلى أن فهم الحب الرومانسي في المجتمع الجزائري لا يمكن أن يتم خارج سياق الحداثة وما أفرزته من تحولات قيمية وثقافية. فقد بيّن أن الحداثة لم تُستوعب في الجزائر كمسار تاريخي كامل، بل كـ"مظاهر" سطحية

مرتبطة أساسًا بالتكنولوجيا والاستهلاك، وهو ما انعكس مباشرة على طبيعة العلاقات العاطفية. كما أظهر هذا الفصل أن الحب، بوصفه حاجة إنسانية وعاطفة مركزية في بناء الروابط الاجتماعية، قد أصبح في ظل الفردانية وسيولة القيم أكثر هشاشة وأقصر عمرًا، في مقابل خضوعه المستمر لتأثير الدين والعرف والأسرة.

وعلى المستوى المنهجي، وضّح الفصل أن دراسة الظاهرة تقتضي الجمع بين مقاربات متعددة: سوسيولوجيا العواطف لفهم البعد الشعوري، نظرية الجندر لتحليل علاقات القوة بين الجنسين، والتفاعلية الرمزية لتفكيك المعاني التي يمنحها الفاعلون لتجاربهم العاطفية. وقد تم تحديد المفاهيم الإجرائية وصياغة فرضيات تنطلق من أثر الفردانية والتقنية الرقمية في تشكّل أنماط جديدة للحب والتعارف. بذلك يضع الفصل الأساس النظري والمنهجي الذي يسمح بإنجاز الدراسة الميدانية وتحليل النتائج ضمن منظور سوسيولوجي شامل.

الفصل الثاني، الحب الرومانسي في سياقالحداثة:

تمهيد

يستعرض هذا الفصل مظاهر الحداثة وانعكاساتها على الحب والعلاقات العاطفية في السياق المحلي، من خلال الجمع بين التحليل النظري والسوسيولوجي من جهة، وروايات المبحوثين من جهة أخرى، إذ يتناول بدايةً تعريفات متعددة للحب، تراوحت بين اعتباره شعورًا وجدانيًا غامضًا، أو علاقة صادقة خالية من المصالح، أو مشروعًا يقوم على الالتزام والجدية، مع إبراز التناقضات بين التصورات الفردية التي تتأرجح بين المثاليات والواقع المعيش. كما يناقش الفصل دلالات الحب في وعي الشباب، مثل الثقة، الاحترام، الوفاء، والدعم المعنوي، وربطها بمفاهيم المساواة والحرية، في مقابل استمرار بعض التصورات التقليدية التي تردّ الحب إلى إطار الزواج فقط.

ويتطرّق الفصل إلى دور وسائل التواصل الاجتماعي في إعادة تشكيل العلاقات العاطفية، سواء من حيث الاستعراض العاطفي العلني أو من حيث تسهيل التواصل والتعارف، بما أفرز أشكالًا جديدة من التفاعل لا تخلو من تناقضات، مشيرا إلى الفجوة بين الحداثة المادية والتكنولوجية والحداثة القيمية والثقافية في المجتمعات العربية، وما يترتب عنها من تحولات في السلطة الأبوية ودور المرأة ومكانتها في العلاقات.وفي جانب آخر، يتطرّق الفصل إلى قضايا حساسة مثل الحرية الجنسية النسبية وتعدد العلاقات، مبينًا كيف يتأرجح الشباب بين الارتباط بالقيم الدينية والاجتماعية التقليدية، وبين الانفتاح على أنماط حداثية متأثرة بالعولمة.

أولا: الحداثة ومظاهرها في السياق المحلي

1- تعريف الحب والعلاقات العاطفية

يُعرَّف الحب في سياقه الاجتماعي والثقافي بوصفه علاقة متعددة الأبعاد، تحكمها مؤسسات المجتمع المختلفة كالدين والاقتصاد والثقافة؛ كما يمثّل علاقة اجتماعية تولد في إطار هذه المؤسسات، وفي الوقت نفسه تحمل بعدًا وجدانيًا يشمل مشاعر وسلوكيات تعبيرية مختلفة. ومن الجانب النفسي، يتفق غالبية المبحوثين، الذين تم استطلاع آرائهم، على تعريف الحب باعتباره عاطفة تدفع الفرد إلى التفكير في الآخر، والتقرب منه، والرغبة في مشاركة الحياة معه. صورت المبحوثة الأولى(أنثى

21 سنة) مثلا الحب بأنه: "شعور ليس له تعبير، لا تستطيعين التعبير عنه، من الداخل وفقط". يُعدّ الحب في هذا الإطار شعورًا غامضًا يخالجه الإبهام وعدم القدرة على تبسيطه للطرف الآخر. ويُعبّر علي حرب عن هذه التعقيدات بقوله أن الحب هو: "أكثر العواطف الإنسانية تعقيدًا وغموضًا، ففيه من الأسرار والألغاز والأحاجي أكثر مما في العواطف الإنسانية الأخرى كلها مجتمعة" (حرب، علي، 2009: 13).

وعرّف المبحوث السابع(ذكر 18 سنة)، الحب بأنه "مشاعر صادقة بدون أي مصالح مع تقبل الآخر بكل نقائصه"، وقد لفت انتباهي كباحثة استخدام مفردة "المصالح"، التي تعكس بشكل واضح تحوّل العلاقات في العصر الحديث نحو تأسيسها على مصلحة الفرد الذاتية. إذ يشير Zygmunt Bauman فيكتابه الحب السائل إلى هشاشة الحب وتحوّله السريع كما هو حال معظم العلاقات المعاصرة، موضحًا أن "عهد الحب الرومانسي القائم على مقولة ((تعاهدنا ألا يفرقنا إلا الموت)) قد انقضى (...) بسبب التفكيك الجذري لأبنية القرابة التي كانت تدعمه" (زيجمونت،باومان، 2016: 39). فقد تحولت الأسرة والجماعة إلى فردانية صارمة مع الحداثة، مما أفضى إلى انحلال العلاقات الاجتماعية ـ بما فيها الحب والزواج ـ بسرعة غير مسبوقة، دون اعتبار للمؤسسات الاجتماعية التي كانت تحكم هذه العلاقات. وأضحى الحب، بهذا المفهوم، نمطًا استهلاكيًا بامتياز، يُتخلى عنه بسهولة بمجرد ظهور شريك آخر. إذ بات الفرد في زمن الحداثة يتنقل من علاقة إلى أخرى بكل يسر، متجاهلًا مشاعر الطرف الآخر، وباتت القصص الرومانسية الكلاسيكية مثل "روميو وجولييت" و"قيس وليلى" من الماضي، ولا تعبّر إلا عن أوهام وأحلام بعيدة عن الواقع.

غير أن المبحوث الأخير ينفي وجود المصالح في الحب، كما أشرنا سابقًا. فقد قدم المبحوث العاشر تعريفًا مفاده أن "الحب الرومانسي هو شعور أو إحساس يعيشه الرجل تجاه المرأة أو العكس، وقد يكون متبادلًا أو من طرف واحد ضمن علاقة عاطفية خالية من المصالح، بشرط أن يكون المحبوب فيه صفات تجعل من المحب متعلقًا به كليًا". وبغض النظر عن وجهة نظره حول المصالح، أضاف شرطًا آخر للحب يتمثل في توافر صفات إيجابية تجذب المحبّ وتجعله متعلقًا بالمحبوب .

في ذات السياق، يعرف المبحوث السابع(ذكر 18 سنة) الحب بأنه "تفاهم طرف مع آخر ومشاعر صادقة بدون أي مصالح، وتقبله مع كل نقائصه". وهنا نواجه مفارقتين ظاهرتين: الأولى هي التوافر على النقائص والتقبّل لها من طرف المحب، والثانية هي اشتراط توفر المحبوب على صفات تجذب المحب وتجعله يتعلق به. وفيما يتعلق بمسألة النقائص، التي تعاكس الكمال، فإن المبحوث السابع يبدو كأنه يبحث عن الكمال في الشريك، وهو أمر مستحيل التحقيق. إذ إن من أهم شروط الحب تقبّل نقائص الطرف الآخر والتعايش معها.

ويدعم Erich Fromm هذا المعنى في كتابه *فن الحب* حين يميّز بين الحب الناضج والحب الطفولي، حيث يشير إلى أن الحب الناضج هو ذلك الذي يقبل الآخر بعيوبه ونقائصه، ويعترف الطرفان بهذه النقائص، ويتكاملا معًا، مما يمنح للحياة معنى ويطيل من أمد العلاقة التي تكتمل بالزواج وتستمر بالعشرة والمودة(فروم، أريك،2000 : 26). وهذا تقريبًا ما عبّر عنه المبحوث التاسع (ذكر 19 سنة) بقوله: "الحب لا يكون من طرف واحد، بل من طرفين، أكيد لا أتخلى عنها"، في إشارة ضمنية إلى استمراريته رغم العقبات والنقائص.من ناحية أخرى، عرّف المبحوث الثامن(ذكر 20 سنة) الحب بأنه يرتبط بالجدية والالتزام، وأن عدم التلاعب بمشاعر الطرف الآخر من شروطه الأساسية، حيث يُرتبط الالتزام العاطفي غالبًا بالبنية الثقافية وبالتصورات الاجتماعية للأفراد عن الحب الرومانسي

أما عن دلالات الحب، فقد ربطها المبحوثون بصفات أهمها: الثقة، والصبر، والوفاء بالوعود وخاصة وعد الزواج. عبّرت عن ذلك المبحوثة الثانية(أنثى 25 سنة) بصفات أهمها: "الاحترام: يحترمان بعضهما البعض في مختلف المواقف حتى ولو يكونا متشاجرين، الاهتمام: يسأل عنك ويفرح لفرحك. الصدق: لا يكذب عليك ويشاركك أفكاره ومشاعره بكل صراحة. الدعم المعنوي: يشجعك ويدفعك إلى الأمام. الاستقرار: يفكّر في بناء علاقة جدية ومستقبلية. يغار عليك بطريقة محترمة، ليس بالشك أو التملك". تحمل هاته التعريفات لدلالة الحب أبعادا سوسيلوجية مهمة لتصورات المبحوثين للحب؛ فالوفاء بالوعود، وخاصة وعد الزواج وجدية العلاقة يرتبط بالنظرة إلى الحب كمشروع أبدي وليس مجرّد عاطفة مؤقتة، بل على الحب أن يرتبط بمؤسسة الزواج التي تعتبر تتويجا رمزيا يعبر عن نجاح العلاقة العاطفية. أما

الاحترام وقت الخلاف فإنه يرتبط حسب وجهة نظرنا بفكرة المساواة بين الجنسين في العلاقة ويشير أيضا إلى وعي المرأة بحقوقها في العلاقة، إذ على الرجل -حسب المبحوثة - أن يأخذ رأيها مأخذ الجد ولا يعتبره رأيا ناقصا.

أما عن الاهتمام والمشاركة فإنها تعبر عن نظرة المبحوثين للعلاقة العاطفية على توفير الاكتفاء العاطفي والانسجام والتلاحم وليس فقط التوصل إلى الزواج دون الأخذ بعين الاعتبار الجانب العاطفي. ويجب أن ترتبط هاته المشاركة بالصدق حسب المبحوثة، فالكذب يؤدي إلى فقدان الثقة في كلام الطرف الثاني وردود أفعاله، وهذا ما يؤدي بالعلاقة إلى التآكل والهشاشة. كما يجب أن توفّر العلاقة دعما معنويا، خاصة للمرأة ويؤيد نجاحها من خلال دراستها أو عملها أو حتى أشياء بسيطة كنجاحها في تربية أبنائها. فيجب أن يكون الشريك حسب الرؤية الحداثية داعما معنويا - ولم لا ماديا - حتى تتكلّل العلاقة بالنجاح. كما ربطت المبحوثة صفة أخرى بدلالات الحب، وهي الغيرةالمقبولة التي تدعم الثقة في الطرف الثاني وتعطي مساحة حرية له بدل تطويقه بالتساؤلات والشك والمرضي. تدعم هذه النظرة الحداثية للغيرة الحرية النسبية وترفض الغيرة التقليدية. كما تدعّم دلالات الحب حسب المبحوثين نظرة مختلفة عن الماضي، أكثر حداثة ترتبط بوعي المرأة والمبحوثين بأهمية الحرية والمساواة في العلاقة وضرورة اتجاهها نحو مؤسسة الزواج.

من جهة أخرى عبّرت المبحوثة الرابعة (أنثى 20سنة) عن دلالات الحب عن كونها "مجرد كذبة اخترعها ناس وآمن بها ناس، حيث إن الحب لم يعد موجودا، ولكني أؤمن به". وعرّفت نفس المبحوثة الحب –كما ذكرنا سابقا - بأنه يتجسد في المواقف' إذ أنها لا ترى أنه ليس موجودا، ولكنها حصرته وضيقت مجاله؛ فهو غير موجود بكثرة كونه يتطلب البرهنة عليه بالمواقف لا الكلمات. ولكنها في هذا التصريح تعبّر عن تناقضات واضحة، فهي ترى أن الحب غير موجود في أفعال البشر، ولكنها تؤمن به ذهنيا وتحاول أن تكون محبّة للطرف الآخر ومخلصة من جهتها. فالحب الذي عبرت عنه تأسَّس من خلال السينما والروايات، وهي طرق مثالية وفنية وفقط للتعبير عن الحب لا تعكس الواقع؛ غير أنّ المبحوثة تؤمن في حقيقة الأمر بالحب، وهذا ما يشير إلى عدم إيمانها بقيم الحب، ولكنها لا تستطيع

الاستغناء عنها في المقابل. وبذلك، نتوصّل إلى أن البعد الفردي والنفسي للذات الاجتماعية يحتاج للحب ولا تستطيع الاستغناء عنه، باعتباره شكلا من أشكال العيش.

ويوافق تصريح المبحوث العاشر(ذكر 28 سنة) تقريبا تصريح المبحوثة الرابعة؛ فرغم كونه في علاقة حب إلا أنه صرّح قائلا: " الدلالة بأن الحب موجود في وقتنا هي أنه ليس هناك من يحب بطريقة صحيحة، الباب موجود، اذهب واخطب حتى لا يشكّل لها وصمة اجتماعية ويحرقها ويعيشها في أوهام، وغدا إذا تزوج بها، تقارن حالتها قبل الزواج وبعد الزواج، هنا تدخل في صراع داخلي وخارجي، وهو ما يعرف بالاغتراب".

وفي تعريف العلاقة العاطفية، وردت آراء متباينة، من بينها وصفها بأنها "نزعة لدى الطلاب لإقامة علاقة بهدف الإشباع العاطفي، والحديث، والتسلية، تبدأ عادة برغبة الطرفين وبمعيار الوسامة والمظهر، وتنتهي عادة بالفشل. ويؤمن ممارسو هذا النوع من العلاقة بضرورة تجنبها أو تأجيلها، بينما يرى القليل منهم ضرورة إشباعها بسبب وجود غريزة مسيطرة يزكيها إثبات الرجولة والأنوثة، وضعف الوازع الديني، وينمّيها التقليد، والاستعراض، ولفت النظر، وتعويض النقص لدى كثير من الطلاب، كما يدعمها الاحتياج النفسي والروحي المشوب بالتحدي وإثبات الذات" (قنيفة، نورة، 2017: 146). يتعارض هذا التعريف مع تمثّلات المبحوثين عن علاقاتهم العاطفية، حيث أجمع معظمهم على أن هدف العلاقة الأسمى هو الزواج، وليس التسلية أو الاستعراض.

ويبدو أن الاستعراض في العلاقات العاطفية قد يؤثر على المكانة الاجتماعية، إذ كشفت ملاحظاتنا ومعارفنا المسبقة لأوضاع الطلبة عن وجود فئة منهم يدخلون في علاقات عاطفية بهدف إظهار مكانتهم الاجتماعية أمام زملائهم، من خلال كونهم محبوبين أو ذوي قيمة خاصة، لا سيما إذا كان الشريك يحمل صفات معيّنة، كالجمال أو الغنى، التي تعزز مكانة الفرد لدى هذا الجيل. كما عززت وسائل التواصل الاجتماعي ظاهرة الاستعراض، حيث بات الشباب يعرضون حياتهم العاطفية ـ وأحيانًا بشكل تفصيلي ـ عبر هذه الوسائل، من خلال نشر صور الخرجات والهدايا والغزل.

يرى عالم الاجتماع إيرفين غوفمان أن هذا الاستعراض يشبه "اللعب المسرحي على خشبة الحياة"، إذ يُبرز من خلاله الأفراد أدوارهم المتعددة في سياق التفاعلات الاجتماعية، ويُظهِرون تفاصيل العلاقة العاطفية بطريقة يمكن قراءتها وتحليلها من منظور سلوكي واجتماعي. يشير هذا التشبيه المسرحي إلى أن العلاقات العاطفية ليست مجرد تجارب فردية خالصة، بل هي مظاهر اجتماعية تتشكل ضمن قواعد وأعراف معينة، ويقوم الأفراد فيها بأداء أدوار محددة تعكس توقعاتهم الثقافية والشخصية على حد سواء. ومن هنا ينبثق السؤال البحثي المركزي الذي طرحناه على المبحوثين، وهو: "هل العلاقة العاطفية هي نفسها الحب؟" و "هل من الضروري أن تحمل العلاقة العاطفية معاني الحب؟"، إذ يعكس هذا التساؤل محاولة لفكّ الفروق بين الأداء الاجتماعي المتمثل في العلاقة العاطفية، والتجربة الذاتية والأحاسيس الداخلية المرتبطة بالحب. تسعى هذه الأسئلة إلى الكشف عن كيفية إدراك الأفراد لعلاقاتهم العاطفية، وما إذا كانت تمثل مجرد أدوار اجتماعية تتبع قواعد محددة أم أنها تجسيد لمشاعر وعواطف ذاتية تحمل معانٍ عميقة، مما يتيح لنا استكشاف التفاعلات بين الأداء الاجتماعي والخبرة العاطفية بشكل منهجي وعميق.

بحسب المبحوثة الأولى(أنثى 21 سنة)، لا تُعتبر العلاقة العاطفية حبًا، كما صرّحت إحدى المبحوثات بأنها ليست في علاقة عاطفية لأنها لم تمارس علاقة جنسية، بل في علاقة حب مؤطرة رسميًا بين الأسر. وتُظهر هذه المبحوثة التزامها الديني من خلال كلامها ومظهرها، كما صرّحت بأن الطرف الآخر ملتزم دينيًا. فالدين هنا يعمل كعامل من عوامل ضبط السلوك الاجتماعي، خاصة فيما يتعلق بالجسد والمحافظة عليه باعتباره مقدسًا، لا سيما بالنسبة للمرأة، حيث " يتّسم الفكر الديني بتقسيم العالم إلى مجالين: يحتوي أحدهما بكل ما هو مقدس، بينما يشمل الآخر كل ما هو دنيوي" (دوركايم،أميل، 60:2019). ويعتبر الجسد، وفقًا للمبحوثة، من ضمن المجال المقدس الذي يجب المحافظة عليه، كما أن الدخول في علاقة عاطفية قد يدنّس جسد المرأة، وهو أمر محظور بالنسبة لها. وسنتناول رؤيتها للعلاقة الجنسية لاحقًا.

من جهة أخرى، قدّمت المبحوثة الرابعة (أنثى 20 سنة) تعريفًا للعلاقة العاطفية بوصفها "ممرًا يمر به شخصان لديهما نفس الميول ويتشاركان نفس تجارب،

هي أحاسيس نحس بها وليس كلمات للتعبير". وضمن نفس الإطار المفاهيمي، عبّرت المبحوثة عن الحب قائلة: "لا نستطيع التعبير عنه في كلمات، بل في مواقف". يعكس هذا التصور فهماً للحب بوصفه ظاهرة تتجلى أساسًا من خلال التجربة الحسية والتفاعل الواقعي، أكثر من كونه مجرد لفظ أو تعبير لغوي. فالمواقف والتجارب المشتركة تمنح العلاقة العاطفية معناها الفعلي، حيث يتجسد الحب في الفعل الاجتماعي، وهو ما سيبرز لاحقًا في حديث المبحوثة من خلال عناصر الصبر، والتضحية، وغيرها من المواقف التي عاشتها خلال ست سنوات من العلاقة المستمرة مع الطرف الثاني.

لا يركّز المنهج السوسيولوجي، بطبيعته، على النوايا أو الدوافع الباطنية، بل يهتمّ بالسلوك الظاهر وبالأفعال الاجتماعية الملموسة التي تعكس تصورات الأفراد وتمثّلاتهم. وبناءً على هذا المنظور، يتحقق الحب ويُقاس من هذا المدخل، من خلال أفعال قابلة للملاحظة والاستيعاب والاستجابة، أي من خلال الفعل وردّ الفعل اللذان يُشكّلان، في جوهرهما، نسيج العلاقات الاجتماعية.

وقد لفت انتباهنا، في سياق تحليل روايات المبحوثين، تمثّلاتهم للعلاقة العاطفية التي ترتبط بشكل قوي بمفاهيم الجدية والالتزام، مع تأطير اجتماعي ورسمي يتجسّد في تواصل الأسرتين. وتجلّى ذلك في تعبيرات منها "هادر عليّا" أو "هادر عليها"، والتي تفيد وجود حديث شبه رسمي بين عائلتي الطرفين بعد علاقة حب امتدت لسنوات. ويدلّ هذا الشكل من العلاقات على انخراط مبكّر في التزامات أسرية واجتماعية بالرغم من حداثة سنّ المبحوثين، وهو ما لم يكن متوقعًا في البداية. إذ كنا نتصوّر، في ضوء ما يُشاع عن العلاقات العاطفية الحديثة، أن السمات الغالبة عليها هي اللامبالاة، وعدم الجدية، والانفصال عن الأطر الأسرية.

غير أننا، كما أشرنا في مرحلة اختيار العيّنة، أننا تعمّدنا استهداف علاقات تقوم على الحب الحقيقي وليست علاقات عابرة، وهو ما لا يعكس بالضرورة النموذج السائد في المجتمع المعاصر. فالعلاقات الجادة، كما عبّرت عنها عيّنة الدراسة، لا تزال قائمة، وهي تعبّر عن دينامية اجتماعية معقّدة. وقد تفسَّر هذه النزعة نحو الجدية إمّا استنادًا إلى الخلفية الدينية للمبحوثين، أو على ضوء التنشئة الاجتماعية التي تلقّوها. غير أننا، من زاوية تحليل سوسيولوجي أوسع، نميل إلى ربط هذه النزعة

بتغيّرات اجتماعية وثقافية أعمق تخصّ جيل الألفية، الذي ينتمي إليه المبحوثون، لما يشهده من تحوّلات نوعية وسريعة على المستويين التكنولوجي والاجتماعي.

2ـاختلاف نظرة الجيل الحالي إلى الحب مقارنة بالأجيال السابقة

اختلفت آراء المبحوثين بشأن تصورهم لمفهوم الحب مقارنة بالأجيال السابقة؛ إذ يرى بعضهم أن جيل الآباء والأجداد لم يعرفوا الحب ولم تتح لهم الفرصة للتعبير عنه، نظراً تجسّده في مؤسسة الزواج – التي كانت تجمع بين الرجل والمرأة في إطار شرعي وديني وعرفي – تمثل النمط السائد آنذاك. وقد كانت مؤسسة الزواج، وفقاً لما طرحه Emile Durkheim، تخدم منظومة من القيم والأعراف الاجتماعية، أبرزها الحفاظ على شرف المرأة. كما ساهم تقسيم الأدوار بين الجنسين في تكريس هذا النمط، حيث كانت المرأة تبقى في البيت لخدمته وخدمة أفراده، في حين يُنظر إلى الرجل باعتباره المعيل، والمسؤول عن العمل خارج المنزل. ولم تكن المرأة في تلك المرحلة تمارس أي مهنة أو تسعى لنيل حريتها وحقوقها. أما بعد أن بدأت المرأة بالخروج للعمل والمطالبة بحقوقها، طرأ تحول في نمط الارتباط؛ إذ أصبحت تتعرف على الرجل في بيئة العمل أو الدراسة، أو عبر وسائل التواصل الاجتماعي. وقد أسهمت هذه العوامل في جعل المرأة محوراً للتحول الثقافي والاجتماعي، إذ بات وجودها خارج المنزل من بين أبرز العوامل المؤثرة في تحوّل نمط الزواج، من زواج تقليدي يقوم على أسس دينية وعرفية كمؤسسة اجتماعية، إلى زواج قائم على الحب الرومانسي، ينشأ من خلال تجربة فردية وعلاقة عاطفية.

في المقابل، عبّر الاتجاه الثاني من آراء المبحوثين عن إقرارهم بوجود الحب لدى الأجيال السابقة، غير أنّ هذا الحب كان يتميّز بالنقاء، إذ كان يخلو من مظاهر الخيانة والخداع، وهي الخصائص التي، بحسبهم، جعلته حباً طاهراً وناجحاً. ويقابل ذلك، في نظرهم، الحب المعاصر الذي يتّسم بالخداع والخيانة. فالحب في الماضي لم يكن مجرد علاقة وجدانية، بل كان ممارسة ترتكز على قيم الوفاء والالتزام، تجذّرت داخل المنظومة الثقافية المحكومة بالدين والعادات والتقاليد والأعراف، لا سيما تلك المرتبطة بالصدق والأمانة والالتزام. ومن هذا المنطلق، شكّل الحب امتداداً لتلك

المنظومة، يعكس احتراماً للقيم، وتجلّى ذلك من خلال تأثير الدين والعرف في كيفية تمثّله.

أما في الجيل الحالي، فيرى المبحوثون أنّ الحب لم يعد يرتبط بقيم الوفاء والإخلاص والالتزام، بل أصبح أكثر عرضة للهشاشة، وفقاً لما طرحه باومان؛ حيث تتّسم العلاقات العاطفية في الحداثة بقدرٍ أكبر من المرونة نتيجة تفكّك الروابط الاجتماعية الصلبة، وظهور النزعة الفردانية. ووفقاً لتحليله، لم تعد العلاقة العاطفية الحديثة قائمة على الالتزام طويل الأمد، بل أضحت عرضة لتعدد الخيارات والإشباع اللحظي، وهو ما يجعلها أكثر هشاشة.

من جهة أخرى، أشار المبحوثون بأن التعبير عن الحب في الماضي كان يتم بشكل خفي أو ضمني، سواء عن طريق الرسائل أو من خلال وسيط ينقل مشاعر الرجل إلى المرأة. كما ساهمت الرقابة الاجتماعية آنذاك في كبح مظاهر الخيانة والخداع. أما في المجتمع الحديث، فقد أصبحت الخيارات أكثر تنوعاً، كما أشارت المبحوثة الثانية، الأمر الذي سهّل من تعدّد العلاقات وانتشار الخيانة، بالتوازي مع تراجع الرقابة الاجتماعية، لاسيما الرقابة الأسرية، في ظل توفّر وسائل تواصل مباشرة بين الجنسين عبر الهاتف الشخصي ومواقع المواعدة والتعارف، ووسائل التواصل الاجتماعي مثل إنستغرام وفيسبوك. وقد عكس هذا الرأي خيبة أمل للمبحوثين إزاء واقع الحب المعاصر الناتجة عن تغيّر الأدوار والبنى الاجتماعية التقليدية، والتحوّل الناشئ في منظومة القيم.

أقرّت المبحوثة الخامسة (أنثى 26 سنة) بوجود فارق واضح بين تصورها السابق للعلاقات العاطفية والواقع الحالي، حيث صرّحت بقولها: "نعم هناك تغير جذري كبير جدا. لقد أصبحت العلاقات كثيرة وعائلات الثنائي لها علم بذلك، أيضا في القديم كان يحبها ويقول لا أبين للناس أنني أحبها فهو يخاف عليها، الآن كل الناس يعرفون أنه يحبها أي يرفع شأنه بيها" يشنّ روحه بيها". في القديم كانت الرسائل موجودة، الآن الهاتف ومواقع التواصل الاجتماعي، عن طريقها تعرّفن صديقاتي على شركائهن."

تُلفت المبحوثة الانتباه إلى مسألة جوهرية تتعلق بطبيعة العلاقة العاطفية في الماضي، التي كانت تُمارس في الخفاء، ربما خشية "الوصم الاجتماعي" الذي كان

يُلحق بالمرأة بشكل خاص، في مقابل الوضع الراهن، حيث أصبح الإفصاح عن العلاقة بمثابة مطلب اجتماعي. وقد لاحظ الباحثون هذا التحول في مجتمعهم، وعبّر عنه المبحوثون كذلك، من خلال الإشارة إلى أن عدداً من العلاقات العاطفية المعاصرة، والتي قد تفتقر إلى الحب الحقيقي، تُخاض بدافع التقليد الاجتماعي أو بغرض رفع القيمة الذاتية. إذ يرى بعض الشباب أنّ الشاب الذي يرتبط بعلاقة عاطفية يُعتبر مواكباً للحداثة والتطور، وشخصاً يعيش الحاضر دون قيود دينية أو عقد نفسية.

كما أشار المبحوثون إلى تراجع السلطة الأبوية، وهو ما يتجلى في قبول بعض الأسر للعلاقات العاطفية، حيث صرّح جميع المبحوثين بأن أسرهم على علم بعلاقاتهم العاطفية. ففي حين كانت الأسرة في الماضي تمارس دوراً ضبطياً للسلوك والقيم، وكانت ترفض الحب قبل الزواج، لا سيما العلاقات العاطفية، أصبحت اليوم مساندة لأبنائها في تلك العلاقات. ويؤثر هذا التحول في طبيعة التنشئة الاجتماعية وفي بنية السلطة الأبوية داخل الأسرة.

وقد أشار إلى هذا التحول جقاوة الشيخ ولعلى بوكميش، بقولهما: "هذا التحول الذي عرفته العائلة الجزائرية استدعى تحولا في نظام السلطة وفي منظومة العلاقات من أبوية إلى زواجية ومن مركزية إلى تفاوضية، فنجد أن المرأة قد أصبحت تقرر مثل الرجل أو أكثر في مجالات النفقات واختيار مستلزمات الأطفال، كما نجد الأبناء، خاصة الشباب، يتمتعون بحريات واسعة في اختيار اللباس واختيار شريك الحياة، كما أصبحوا يميلون إلى الانفراد بالقرارات التي تخص حياتهم المهنية". (جقاوة الشيخ، بوكميش، لعلى، 2017 : 731). يبرز ذلك إحدى أهم التحولات البنيوية التي عرفتها العائلة الجزائرية في سياق التغيرات الاجتماعية الحديثة، حيث لم يعد النظام الأسري قائمًا على السلطة الأبوية المطلقة، بل أصبح يميل إلى أنماط أكثر تفاوضية تقوم على تبادل الأدوار والمشاركة في صنع القرار. فالمرأة لم تعد محصورة في الأدوار التقليدية المرتبطة بالفضاء المنزلي، بل أصبحت فاعلًا مؤثرًا في القرارات الاقتصادية والاجتماعية للأسرة، وهو ما يعكس صعود مكانتها داخل البنية الأسرية. كما يكشف النص عن التحولات العميقة في علاقة الأبناء بالسلطة الأبوية، إذ بات الشباب يتمتعون بقدر أكبر من الحرية في اختياراتهم الشخصية والمهنية، بما يعكس انتقال الأسرة من إطار قيمي تقليدي قائم على الامتثال والطاعة، إلى نموذج أكثر فردانية

يتيح مساحات أوسع للتعبير عن الذات. ويعكس هذا التحول في جوهره تداخل البنى الاجتماعية مع التحولات الثقافية والاقتصادية، ويؤشر إلى إعادة صياغة العلاقات الأسرية على أسس جديدة تتسم بالتفاوض والمساواة النسبية، بدل الخضوع الهرمي الصارم الذي طبع الأسرة التقليدية.

يواجه هذا الجيل تسارعًا غير مسبوق في التحول الاجتماعي، إذ بات يشاهد من خلال وسائل الإعلام ووسائط التواصل الاجتماعي مظاهر من الحياة الحميمية التي لم تكن معروضة بهذا الشكل سابقًا. كما أصبح يتعرّف على ظواهر جديدة، تتناقض في كثير من الأحيان مع منظومته الثقافية والدينية، من قبيل العلاقات المثلية، والخيانة، والتنقل السريع من شريك إلى آخر، خاصة ضمن السياقات الغربية. ومع ذلك، فإن هذا الجيل، المنتمي إلى مجتمع عربي إسلامي، لا يسعى إلى تكرار تلك التجارب، بل يحاول تأسيس علاقات حب تتسم بقدر أكبر من الصدق والخصوصية، وهو ما تم رصده بوضوح في تصورات الشباب الذين شملتهم المقابلات.

وقد ظهرت مؤشرات هذا التوجه نحو الحب الرومانسي من خلال النقاشات التي أُجريت، بالإضافة إلى بعض المظاهر الميدانية ـ مثل الرسم على الجدران والطاولات لقلوب وأسماء الأحبة ـ التي تعكس سعياً حقيقياً نحو تجربة الحب، وربما بدرجة تفوق ما شهدته الأجيال السابقة. ويبدو أن رغبة هؤلاء الشباب في الحفاظ على الخصوصية والابتعاد عن نماذج الاستعراض الحديثة تمثل جزءًا من وعي اجتماعي جديد. ففي هذا السياق، عبّر المبحوثون السابع(ذكر 18 سنة) والثامن (ذكر 20سنة) والتاسع (ذكر 19 سنة) عن رفضهم التام لإجراء المقابلة بحضور زملائهم، وفضّل كلٌّ منهم الجلوس على انفراد أثناء اللقاء، وهو ما يعكس إدراكًا عميقًا لخصوصية المشاعر العاطفية.

وفي هذا الإطار، تمثل التحولات التي تشهدها القيم، بما في ذلك القيم العاطفية، عملية أساسية ترافق التغيرات البنيوية في المجتمع. يشكل التغير في القيم عمليّة أساسية تصاحب التغير في بناء المجتمع، وتعني تغيرًا في تسلسل القيم داخل النسق القيمي، وكذلك تغير مضمون القيمة وتوجهاتها، فنجد أن القيم ترتفع وتنخفض، وتتبدل المراتب فيما بينها، إلا أنها تختلف في سرعة التغير، فبعضها يتغير ببطء مثل القيم

الأخلاقية والروحية، وبعضها يتغير بسرعة كالقيم الاقتصادية (المرتبطة بالمال، الملبس...)

وبناءً على هذا التصور، يمكن اعتبار التغير في علاقات الحب ضمن دائرة القيم الروحية، وبالتالي فهو تغيير يتم ببطء نسبيًا. غير أن الساحة الاجتماعية تشهد، في الوقت ذاته، بروز عدد كبير من العلاقات العاطفية، خاصة بين فئة الشباب والمراهقين، والتي تتسم بغياب الالتزام أو الجدية، بل وأحيانًا بتجريد العلاقة من أي مضمون عاطفي حقيقي، وهو ما تناوله زيجمونت باومان في كتابه الحب السائل.

3ـاستشارة الآخر قبل إنشاء العلاقة العاطفية

يندرج طرح سؤال الاستشارة على المبحوثين ضمن إطار دراسة مسألة حرية الاختيار، وحرية الدخول في علاقة حب، وهو ما يدخل ضمن الافتراض الذي يتناول تأثير الحداثة على علاقة الحب الرومانسي في المجتمعات العربية؛ "فأن تملك ذاتًا حديثة أو حديثة متأخرة يعني أن تمارس حقك في الاختيار من جهة، وأن تزيد من التجربة الذاتية للاختيار من جهة أخرى" (أيلوز، إيفا، 2020: 34).

صرّح ستة مبحوثين من أصل تسعة بعدم استشارتهم لأي أحد قبل الدخول في العلاقة العاطفية، حيث كانوا يملكون كامل الحرية في إنشاء علاقة الحب تلك. فلم تشكّل القيود الاجتماعية، سواء الدينية أو الأسرية، عائقًا أمامهم. في المقابل، صرّح ثلاثة مبحوثين آخرين بأنهم قاموا باستشارة أحدهم قبل الخوض في العلاقة. فوضّح المبحوث التاسع(ذكر 19 سنة) (أنه استشار شقيقته التي أخبرته بأن الفتاة التي يعجب بها "إنسانة جيدة"، بينما استشار المبحوث السابع صديقتها المقرّبة ليتأكد من مدى جديّتها، كما صرّح بأنه كان خائفًا من أن تكون نرجسية في العلاقة. أما المبحوثة الثالثة فقد استشارت أختها الكبرى لتزويدها بنصائح، على اعتبار أنها متزوجة وتملك خبرة في هذا المجال.

يرتبط الاختيار، من منظورنا، بتفكك بنية الجماعة – نوعيًا – وهي التي كانت تشكّل إحدى السمات المركزية في تكوين المجتمعات العربية، وقد حلّت محلها ملامح الفردانية، التي تُعرّف في أبسط أشكالها على أنها استقلال الفرد بآرائه وميوله وعلاقاته، بشكل خاص، عن الجماعة. ومع ذلك، فإن الذات العربية لا تزال في طور

التشكّل وفق نمط الحداثة والعولمة، ولا يمكن القول بعد بتفكك بنية الجماعة بشكل كامل، أو التحول النهائي نحو الفردانية، كما هو الحال في المجتمعات الغربية التي شهدت الحداثة كنتيجة طبيعية لأحداث سياسية واقتصادية ودينية غابت، في معظمها، عن السياقات العربية. ولذلك، أقرّ بعض الباحثين بتبنّي المجتمعات لـ"حداثة هجينة" تراعي الخصوصية الثقافية والاجتماعية لهذه المجتمعات.

إن تباين إجابات المبحوثين حول مسألة الاستشارة من عدمها يعكس تصورًا يفيد بأن الشباب المشاركين في الدراسة (والشباب المعسكري عمومًا) ما زالوا مرتبطين بمؤسسات تقليدية مثل الأسرة والدين، إلا أنهم في الوقت نفسه يسعون إلى التحرر من قيود هذه المؤسسات. "فمن وجهة نظر سوسيولوجيا الثقافة، الاختيار هو طريقة لفهم العلاقة بين اقتصاد الرغبة والبُنى الاجتماعية التقليدية" (أيلوز، إيفا، 2020: 35). بالتالي، فإن هذا الفرد يعيش نوعًا من التوتر بين تبنٍّ جزئي لذات حديثة، وبين ارتباطه المستمر بمؤسسات تقليدية مثل الدين والعرف والأسرة، (وهو ما سيتضح لاحقًا حين يصرّح المبحوثون بعدم اهتمامهم بالعرف والعادات والتقاليد، رغم إقرارهم بعدم ممارسة سلوكيات معينة تُعد خارجة عنها.)

من جهة أخرى، لم يُلاحظ وجود فرق بين المرأة والرجل في مسألة حرية الاختيار، ما يدفع إلى الاستنتاج بأن الدخول في علاقة حب لا يستند بالضرورة إلى فوارق جندرية. وبعكس ما هو شائع اجتماعيًا وسوسيولوجيًا من أن دخول المرأة في علاقة عاطفية يُعدّ مسألة حساسة لأنها ترتبط بمفهوم الشرف وشرف العائلة، في حين يتمتع الذكر بقدر من الحرية حتى في إقامة علاقات متعددة؛ فإن معطيات الميدان البحثي تشير إلى غياب هذا الفارق. وقد تجلّى ذلك، مثلًا، في مواقف بعض الأمهات، حيث عبّرن عن رفضهن القاطع لأن تتعرف بناتهن على رجال أجانب أو يقمن بعلاقات عاطفية، في الوقت الذي أعربت فيه بعضهن عن فخرهن بعلاقات أبنائهن الذكور مع نساء، سواء كانت علاقات صداقة أو عاطفة. ومع ذلك، فإن المعطيات الميدانية للدراسة تشير إلى أنه لا يوجد اختلاف فعلي في مستوى الحرية بين الجنسين فيما يخص مسألة الحرية هذه.

وترتبط مسألة حرية الاختيار في مجتمع البحث بالتحوّل القيمي الذي يشهده الشباب العربي، إذ لا يمكن فهم هذه الحرية بمعزل عن السياقات الثقافية والاجتماعية

التي تتشكل فيها القيم وتعيد صياغة المعايير السلوكية. وتُعرّف القيم بأنها "أفكار معيارية توجّه السلوك وتزوّده بمعايير خارجية وداخلية، على نحو ما يكافح الناس من أجله وتزوّد السلوك بالأساس الأخلاقي" (جودي، حمزة، علي الطالب، مبارك، 2002: 309)، ما يعني أن القيم ليست مجرد قواعد ثابتة، بل أطر تنظيمية توجه التصرفات الإنسانية وتمنحها الإطار الأخلاقي الذي يمكّن الفرد من اتخاذ قراراته ضمن سياق اجتماعي محدد. وفي هذا السياق، تصبح القيم أداة لفهم كيفية ممارسة الشباب لحقهم في الاختيار، وكيف يعكس هذا الاختيار التوازن بين المعايير التقليدية والطموحات الفردية المتجددة.

وبهذا المعنى، فإن القيم هي التي توجّه السلوك وترشده، لكنها أيضًا عرضة للتحوّل مع التغيرات الاجتماعية والثقافية، حيث "يوسّع البعض من استخدام المفهوم ليحتوي على كل التحولات في القيم الثقافية للمجتمع. من المعروف أن بعض أجزاء النسق القيمي سرعان ما يلحقها الفتور نتيجة ظروف اجتماعية واقتصادية متجددة، وكما كانت هذه الظروف تخضع لقانون التغير فإن القيم بدورها لا تسلم من هذا التغير، وحتى وإن كانت تتسم بالثبات والديمومة" (بلمادي، أحلام، 2016: 14). ويعكس هذا الطابع الديناميكي للقيم كيف يمكن للمعايير الأخلاقية والاجتماعية أن تتطور استجابة للتحولات المجتمعية، بحيث يصبح ما كان يعتبر "عارًا" أو "محرمًا" قابلاً للنقاش وإعادة التقييم. وفي هذا السياق، تظهر حرية الشباب في اختيار شركائهم العاطفيين كجزء من هذا التحول القيمي، حيث لم تعد العلاقات العاطفية مجرد التزام تقليدي، بل أصبحت مسرحًا لممارسة الحقوق الفردية وإعادة تفسير المعايير الاجتماعية بما يتوافق مع تطلعات الشباب نحو الحرية الشخصية والمساواة في العلاقات.

كما تُعد النسبية من أبرز خصائص القيم، فالقيمة تختلف باختلاف الزمان والمكان، بل وحتى حسب الأفراد ونشأتهم الاجتماعية، وهو ما يفسّر اختلاف مواقف المبحوثين من مسألة حرية الدخول في علاقة عاطفية؛ إذ عبّر بعضهم عن امتلاكهم لهذه الحرية بشكل كامل، في حين أقرّ البعض الآخر باللجوء إلى استشارة أفراد آخرين.ومن أهم عوامل تغير القيم تغير شكل الإعلام ومحتواه الناتج عن أسباب عدة، أهمها العولمة، فتوجه الشباب نحو الإعلام الرقمي، وخاصة وسائل التواصل

الاجتماعي، التي أصبحت هي الأخرى مصدرًا للمعلومة والأفكار عند الشباب (نقصد بالفكرة هنا تبادر الأفكار والحلول إلى ذهن الشاب من خلال هذه الوسائل، كفكرة الهجرة غير الشرعية واعتبارها حلا نهائيا وبديلا عن نمط حياة الشباب في الوطن العربي).

وبالعودة إلى حديثنا عن الإعلام البديل وتوجيهه لتصورات وسلوكيات الشباب العربي، "يلخّص طلال عتيريسي مكامن خطورة العولمة على الجانب القيمي والأخلاقي، حيث يقول إن مسألة نقد العولمة في مسألة القيم والمفاهيم ترتكز على قضيتين، هما: ثنائية العنف والجنس في وسائل الإعلام والسينما العالمية وفي القنوات الفضائية" (بلمادي، أحلام، 2016: 15). فوسائل الإعلام بمختلف أشكالها تُكرّس العنف بمختلف أنواعه، وتعرِض الجنس، وتُصوّر السلوك الجنسي على الرغم من أعراف وتقاليد المجتمعات العربية المحافظة، كما تروّج لقيم وحرية يتبناها الشباب العربي، بل ويقاوم جيل الآباء لأجلها. "فمن الظواهر الجديرة بالانتباه في هذا الصدد، ظاهرة الرفض، والتي تتبدى في رفض الشباب للمعايير والسلطة والتوجيه الذي يمارسه الكبار. بل إن هذا الرفض أصبح يشكل موقفًا عامًا موحدًا، يظهر بصورة سافرة في مواقف عديدة ومجتمعات مختلفة... من حيث درجة تقدّمها الحضاري، وطبيعة النظام السياسي السائد فيها" (الساعاتي، سامية، 2003: 21).

4ـالعلاقات عبر الأنترنت

لقد ألغت وسائل التواصل الحواجز واختصرت المسافات، خاصة وأن معظم المبحوثين يعيشون متباعدين عن بعضهم البعض. وقد أشارت المبحوثات إلى أن طبيعة عمل الطرف الثاني تجعل من هذه الوسائل بديلًا للحوار شبه اليومي. ويعكس هذا النمط من الاتصال اليومي ثقافة جديدة تختلف عن الثقافة التي كانت سائدة قبل انتشار وسائل التواصل والهاتف النقال، والتي امتدت إلى تفاصيل الحياة اليومية وأثرت في العلاقات الاجتماعية داخل الأسرة وبين المتحابين، إذ جعلت التواصل متحررًا من قيود المجتمع، وبالأخص بالنسبة للمرأة، التي أصبحت قادرة على أن تتحدّث مع رجل غريب لساعات طويلة وتبوح له بمشاعرها، وهو ما يُعدّ محظورًا دينيًا وأخلاقيًا في المجتمعات العربية والإسلامية.

كما أن هذه الوسائل لا تفرض تابوهات أو محرّمات، ما يجعل المتحدث أكثر ارتياحًا. غير أن بحث نورة قنيفة يشير إلى أن لجوء المراهقات إلى هذه الوسائل غالبًا ما يرتبط بانشغال الأم، والفراغ العاطفي، فضلًا عن العنف الأسري الذي يُعدّ أحد أبرز الأسباب.

أما بالنسبة للمبحوثين، ومع تطور العلاقات بينهم، فإن اعتمادهم على وسائل التواصل لا يرتبط بمثل هذه الدوافع، بل يُعزى – بحسب تصورهم – إلى مشاعر الحب المتبادلة. كما أن هذه الوسائط سهلة الاستخدام لكونها لا تخضع لرقابة أسرية، خصوصًا وأن الهاتف النقال أصبح ملكية شخصية بامتياز، مما سهّل المحادثات والتعارف بين الجنسين، خاصة لدى فئة الشباب.

وبالرغم من أن بعض الأسر تراقب أبناءها، لا سيما المراهقين، إلا أن هناك أسرًا أخرى تعتبر هذه المسألة شأنًا فرديًا لا يحق لها التدخل فيه؛ وهو ما قد يؤدي إلى انحراف بالمعنى الاجتماعي، أي الخروج عن معايير، وأعراف، الأسرة والجماعة والمجتمع. ومن هنا ينشأ صراع بين الأجيال وفجوة بينهما، تجعل الشباب يعيشون مفارقة واضحة بين الانتشار الواسع للتكنولوجيا – الذي اعتُبر أهم مظهر من مظاهر الحداثة في المجتمعات العربية – وبين البنية التقليدية المحافظة التي ترفض المحادثة السرية بين الجنسين. لكن بالعودة إلى معطيات الدراسة الميدانية، يتضح أن المبحوثين لا يواجهون صعوبات ولا رقابة أسرية مباشرة أثناء أحاديثهم، وإن كانوا بالمقابل يخضعون لرقابة ذاتية متجسّدة في الضمير الفردي، وهو ما يجعل حديثهم مضبوطًا بمعايير أخلاقية.

صرح المبحوثون العشرة باستنادهم على وسيلة الأنترنت في التواصل، مع اختلاف وتيرة التواصل لكل ثنائي، أي هناك من يستخدمه بكثرة ويوميًا وأكثر من مرة في اليوم، وهناك من يستخدمه بوتيرة أقل، خاصة وسائل التواصل الاجتماعي كالفايسبوك والواتساب اللذين يعتبران أكثر المنصات استخدامًا. وصرّح المبحوثون أيضا أنهم يستعملون نفس وسائل التواصل الاجتماعي للتعارف عن طريق إرسال دعوة، إلى جانب المحيط الدراسي أو مقرّ العمل أو الأماكن العمومية كالحدائق والشواطئ، وكذا المناسبات العائلية التي مازالت تشكّل فرصا سانحة للتعارف. ويعتبر "الإقبال الكبير على مواقع التواصل الاجتماعي، لا سيما الفايسبوك الذي عرف

انتشارًا كبيرًا في وسط المراهقات وفتح أبوابًا لا حدود لها لإقامة علاقات افتراضية وتأسيس حرية مطلقة في التفاعل مع استمرارية الاتصال في أي وقت ومع أي شخص دون أدنى التزام بقواعد الضبط والمعايير الاجتماعية" (قنيفة، نورة، 2017: 150-151).

صرّح المبحوث العاشر (ذكر 28 سنة) من جهته قائلا: "أكيد نتواصل عبر الأنترنت وخاصة فايسبوك لأنه كان سبب لقائنا، وهنا تعرف أن الفايسبوك يمكنه أن يصنع العجب، كما يمكن أن يكون فضاءً للالتقاء والتعارف، وهذا ما حدث في قصتنا، كما أن أغلبية تواصلنا عبر الفايسبوك لأنه وسيلة سهلة الاستعمال". فخصائص المحادثات والتعارف عبر الفايسبوك والماسنجر سهّلت عملية التواصل وحرّرته من القيود الاجتماعية، كما ساعدت فئة من المبحوثين على التغلّب على الخجل ومكّنتهم من التعبير عن مشاعرهم.

عبّر المبحوثون أيضا عن استعمالات عدة للأنترنت ووسائل التواصل الاجتماعي، حيث قالت المبحوثة الثانية: "أنها وسيلة تواصل دائمة مع الشريك، حتى لو المسافات بعيدة، أتابع نشاطه، وأعبر عن مشاعري. هي سلاح ذو حدين يمكن أن تكون سببا في الخلافات إذا لم يتم استعمالها بعقلانية". وتضيف مصرّحة عن الدور الذي تضطلع به هاته الوسائل في العلاقة قائلة: " نحن وكيف نستخدمها يمكن أن تجعل العلاقة أقوى أو سطحية؛ تكون أقوى إذا توفرت الثقة، الصدق، التواصل المنتظم تكون وسيلة التقرب من بعض. ويمكن أن تجعل العلاقة سطحية إذا استخدمت الرسائل والصور دون لقاءات بالإضافة إلى تزييف المشاعر والتلاعب بالكلام وتضييع الوقت". حاولت المبحوثة الثانية تلخيص ما عبّر عنه المبحوثون الآخرون، حيث أوضحت أن وسائل التواصل تُعدّ في الوقت الراهن وسيلة أساسية تقرّب الشريكين من بعضهما عبر سرعة الاتصال رغم البعد الجغرافي، غير أن غياب اللقاءات الواقعية يجعل المشاعر محصورة في إطار الشوق والتعلّق. فاللقاءات المباشرة تسمح باجتماع الجسدين وتخفّف من حدّة المشاعر، إذ تُعبّر عنها بطريقة أكثر واقعية. ومن منظور التفاعلية الرمزية، تُعتبر اللقاءات الحقيقية عنصرًا جوهريًا في تكوين التفاعلات والمشاعر، على نحو يختلف عن تلك الناتجة عن التوقعات واللقاءات الافتراضية.

وعليه، فإن المبحوثين، باعتبارهم ممثلين لمجتمع الدراسة، يكشفون أن الاستخدام شبه اليومي لوسائل التواصل الاجتماعي يمثل أهم سمة حداثية في المجتمعات العربية. ولقد دفع هذا الانتشار الواسع للتكنولوجيا الحديثة المجتمعات العربية إلى تبني حداثة تكنولوجية انعكست على البنى الاجتماعية والثقافية. وقد بيّن التحليل مسألة الضبط والرقابة السرية أو الفردية، فيما لم يظهر لدى المبحوثين حضور فعلي للرقابة الأسرية. بالمقابل، وجدت رقابة اجتماعية وذاتية تتجسد في الأخلاق والدين. ومن خلال تصريحات المبحوثين، تبيّن أنهم تناولوا موضوع الممارسة الجنسية فقط بغرض التوضيح ووضع النقاط على الحروف، أما أحاديثهم اليومية فلا تتخذ طابعًا جنسيًا ولا تتضمن ألفاظًا سوقية أو مخلّة بـ (الحشمة).

تمكّنت الحداثة إذن من التغلغل في مؤسسات مجتمع البحث، لكنها لم تتمكن من الوصول إلى البنية الثقافية أو الاجتماعية بشكل كبير، وهو ما يطلق عليه بعض الباحثين "الحداثة الأداتية"، أي حداثة تستخدم الوسائل، لا المعايير والقيم الناتجة عنها. وقد أنتجت هذه الحداثة آفات أهمها "العقلانية الأداتية". إذ تعتبر الحداثة حسب يورغن هابرماس، مشروعًا لم يكتمل بعد، وهو ما يدفعنا للسعي لتقويم الحداثة بخلق فضاءات للتواصل.

تطرح مسألة تقويم الحداثة نفسها مجددًا على المجتمعات العربية، حيث يظهر التباين الكبير والواضح بين التحديث المادي من جهة، والتحديث الثقافي والاجتماعي من جهة أخرى. فنحن لا ندعو هنا إلى تبنّي نموذج الحداثة الغربية بشكل كامل، إذ نرى أن ذلك لا يتناسب مع خصوصية المجتمعات العربية القائمة على الدين وبنيتها الاجتماعية المختلفة. غير أنه وبما أن هذه المجتمعات قد تبنّت الحداثة المادية والتكنولوجية، فمن الضروري أن تعيد النظر في بعض القيم الثقافية والاجتماعية، وفي مقدمتها موقع المرأة ودورها. صحيح أن المرأة أصبحت اليوم تخرج للعمل والدراسة، إلا أنّ ما لمسناه من خلال ملاحظاتنا ومعايشتنا للمجتمع العربي المسلم يكشف أن بعض الأسر لا تزال تمنع بناتها من مواصلة الدراسة بحكم العادات والأعراف والتقاليد.

ويمثل ذلك مثالًا واضحًا على الفجوة القائمة بين الحداثة المادية والحداثة الثقافية في المجتمعات العربية. وقد أشار إليها مالك بن نبي ضمن حديثه عن "القابلية

للاستعمار"، باعتبار أن المجتمعات العربية غيّرت في المظاهر والماديّات دون أن تطال التغييرات منظومة الأفكار. ومن هذا المنطلق، دعا بن نبي إلى نهضة فكرية تنطلق من الفرد والأسرة لتشمل مختلف شرائح المجتمعات العربية، إذ وحدها النهضة الفكرية قادرة على تغذية العقول العربية بحداثة أصيلة تنبع من خصوصيتها، لا مجرد نموذج غربي نقتبس شكله ونترك جوهره جانبًا.

5ـالنظرة إلى العلاقات العاطفية خارج إطار الزواج التقليدي

إن العلاقة العاطفية رباط غير رسمي تتأسس على الانجذاب ولا تتطلب الإطار الرسمي أو القانوني. ويُعدّ هذا الأخير عاملا أساسيا في الزواج ويساعد على استدامته، لصعوبة تفكيك مؤسسة الزواج كونه يتقيد بالعرف والقانون والأسرة وغيرها من العوامل التي تؤدي به للنجاح أو الفشل. كما أن الزواج – حسب رأي المبحوثين – يقوم على مسؤولية واتزام أكبر من العلاقة العاطفية (يسهل أحيانا التواصل مع شريك آخر في إطار العلاقة العاطفية، أما ذلك يعتبر خيانة في الزواج). وبذلك، يجعل الالتزام هنا الزواج أكثر جدية من العلاقة العاطفية.

أدلى المبحوثون بحقيقة الاختلاف بين العلاقة العاطفية والزواج، إذ لخّصت ذلك المبحوثة الثانية في قولها: "نعم تختلف العلاقة العاطفية عن الزواج، فهي تقوم على التعارف والانجذاب وممكن أن تنتهي بسهولة. أما الزواج فهو رابط ديني وقانوني واجتماعي يقوم على الالتزام والمسؤولية المشتركة، ويتطلب أكثر من الحب؛ أي القدرة على التفاهم وتحمل المسؤولية حتى ينجح".

صرحت المبحوثة الأولى (أنثى 21 سنة) أن الزواج يختلف عن العلاقة العاطفية في العديد من الجوانب، أهمها أن المسؤوليات تكثر في الزواج، كما ينسى الطرفان عامل الحب الذي يعتبر أساس العلاقة العاطفية، (فكثيرا ما سمعنا حكايات عن قصص حب انتهت بالزواج، وبعد الزواج لم يعد الحب موجودا بين الطرفين. تعبّر النساء عن ذلك باستبدال الحب بالمودة والرحمة). ما نلاحظه في هاته التعريفات من طرف المبحوثين أنهم قدموا تعريفا تقليديا لمؤسسة الزواج المؤطر بالمجتمع والدين؛ فالزواج يشكّل مؤسسة أكثر التزاما ومسؤولية ينبني على المودة والرحمة، كما أشار الدين الإسلامي في أسس العلاقة بين الزوجين.

ثانيا، سيولة مفهوم الحب وتعدد أنماط العلاقات العاطفية

1- الحرية الجنسية النسبية

لم نواجه صعوبة تُذكر في طرح السؤال المتعلّق بالعلاقات الجنسية على المبحوثين رغم حساسيته الاجتماعية، وكونه لا يزال يُعد من المواضيع الطابوهية في الثقافة العربية. ومن أبرز ما سجّلته أن المبحوث الثامن، رغم خجله الواضح، وافق على إجراء المقابلة بحضور أصدقائه، على خلاف باقي المبحوثين (السادس (ذكر 21 سنة) ، السابع (ذكر 18 سنة) ، التاسع (ذكر 19 سنة) الذين رفضوا ذلك وفضّلوا إجراء المقابلة على انفراد. وقد بدا التوتر جليًا في نظرات أصدقائه عندما صرّح بأنه يمارس سلوكيات جنسية مع شريكته العاطفية، مبرّرًا ذلك بالقول إنّ "جميع المتحابين يقومون بهذه السلوكيات"، وهو ما يُظهر وجود تمثّلات مهيمنة حول ارتباط الحب بالممارسة الجنسية، ولو في حدود معينة.

أما المبحوث التاسع (ذكر 19 سنة)، فقد أكّد بدوره ممارسته لسلوكيات جنسية، مشددًا على أنها لا تصل إلى درجة العلاقة الجنسية الكاملة. ويبدو من خلال هذه التصريحات أن بعض الأفراد يرون الجنس كامتداد طبيعي لعلاقة الحب، بل كوسيلة للتعبير عنه. وهو ما ينسجم مع الطرح الذي يرى أن "الحب ظاهرة أولية أساسية شأنها شأن الجنس، والجنس من الناحية السّوية أسلوب للتعبير عن الحب"، بحيث يُصبح "تعبيرًا مقدسًا طالما أنه أداة للحب" (نظمي، فارس، كمال، 2016: ص112). وفي هذا الإطار، يؤكد إيريك فروم أن "الرغبة الجنسية يمكن أن تختلط بسهولة ويبعثها أي انفعال قوي، وليس الحب إلا انفعالا من هذه الانفعالات" (فروم، إريك، 2000: 53)؛ ما يعني أن الجنس، بالنسبة لمن يمارسونه، يُعدّ تأكيدًا عاطفيًا على صدق مشاعر الحب.

على الجانب الآخر، عبّرت المبحوثات الخمس عن رفضهنّ لممارسة الجنس قبل الزواج، وهو موقف يُعزى في الغالب إلى النظام الرمزي المرتبط بالنوع الاجتماعي. إذ تطرح مسألة الممارسة الجنسية تساؤلات جندرية تتعلق بحق المرأة في المبادرة، أو شرعية طلبها للممارسة الجنسية خارج إطار الزواج. وفي هذا السياق، تستحضر نوال السعداوي بُعدًا إنسانيًا للعلاقة الجنسية، حين تقول: "هي عملية إنسانية بالدرجة الأولى... وتحتاج من الاثنين معًا التبادل الإنساني بحيث ينظر كل منهما إلى

الآخر على أنه إنسان مثله تمامًا، وليس هناك من هو أقل من الآخر أو أدنى" (خنيفر، هاجر، 2017: 43).

ورغم أن الشريعة الإسلامية قد نظّمت العلاقة الجنسية بين الزوجين على أسس واضحة، فإن الواقع الثقافي لا يزال يحمل تابوهات راسخة تمنع مناقشة أو ممارسة الجنس خارج مؤسسة الزواج، خاصة بالنسبة للمرأة. فالمبحوث السابع، على سبيل المثال، يرى أن "العلاقة الجنسية يمكن أن تكون هي السبب في فشل العلاقة وإنهائها"، أما المبحوثة الأولى فتعتبر أن "المرأة لا يجب عليها ممارسة الجنس معه، وإلا فسينظر إليها نظرة سيئة. وحتى مجتمعنا يقول نفس الشيء". يعكس ذلك كيف يرتبط جسد المرأة، في التمثلات الاجتماعية السائدة، ارتباطًا وثيقًا بالشرف، وقد يمتد ذلك إلى ما أبعد من شرفها الشخصي، ويمسّ شرف عائلتها، وخصوصًا الذكور من أقاربها (الأب، الأخ، العم،...).

تضطلع الثقافة الذكورية بدور حاسم في ترسيخ هذه التصورات، إذْ ورغم أن التحريم الديني يطال كلا الجنسين فيما يتعلق بالجنس قبل الزواج، إلا أن الواقع الاجتماعي يفرض قيودًا صارمة على النساء فقط، في حين يُغضّ الطرف عن ممارسات الرجال، أو يتمّ التسامح معها نسبيًا. بذلك، تُنتج هذه الثقافة اختلالًا في التعامل مع المسألة الجنسية، يعكس تفاوتًا عميقًا بين الجنسين فيما يتعلق بالحرية والمساءلة الأخلاقية.

وقد بيّنت نتائج الدراسة أن موضوع الجنس لا يُناقش بالضرورة في كل علاقة عاطفية. فبينما تحدّثت ثلاث حالات من أصل عشرة عن ممارسات جنسية – ولو محدودة – فإن ست حالات لم تتطرّق إلى الموضوع أو صرّحت بعدم الخوض فيه. إذْ أكدت المبحوثة الرابعة (أنثى 20 سنة)، على سبيل المثال، أنه لم يحدث أي حديث حول الجنس، كما لم يُمارس في علاقتها مع الطرف الآخر.

ويرتبط هذا التباين في الممارسات والتمثلات بتغيرات ثقافية عميقة شهدها المجتمع العربي، بفعل التأثير المتزايد للعولمة، وانتشار وسائل التواصل الاجتماعي التي سهّلت تداخل الثقافات وأسهمت في تصدير نماذج جديدة للعلاقات، بما فيها النموذج الغربي المتحرر من القيود الدينية والأخلاقية. فالجنس، في هذا النموذج، يُعتبر نشاطًا طبيعيًا لا يستدعي تبريرًا اجتماعيًا أو دينيًا، بل ويُمارس خارج إطار

الزواج بشكل واسع دون أن يُعد وصمة. لقد أصبحت رموز الحياة اليومية الغربية – من ألبسة، وموسيقى، وصور إعلامية – أدوات لترويج خطاب جنسي منفتح، "أوجد حالة من التظافر والائتلاف في جو يطبعه التحرر والحرية" (أيلوز، إيفا:95:2022)

ومن هذا المنطلق، فإن البحث عن الحرية، بما في ذلك الحرية الجنسية، بات أحد الأهداف الأساسية للشباب العربي، وهو ما يفسر، في جانب منه، الرغبة في الهجرة والعيش في مجتمعات أكثر تحررًا. ومع ذلك، فإن هذا الانفتاح يُقابله، في المجتمعات الغربية، نظام قانوني صارم، مما يُنتج أحيانًا أزمة هويّاتية لدى الشاب المهاجر، الذي يجد نفسه ممزقًا بين قيمه الأصلية وقيم المجتمع الجديد، كما ناقشنا ذلك ضمن مقياس سوسيولوجيا الهجرة مع طلبة السنة الثالثة.

وتُعد العلاقات الجنسية قبل الزواج في المجتمعات العربية محورًا إشكاليًا، ليس فقط لأنها ترتبط بالدين والقرابة والأخلاق، ولكن أيضًا بسبب التحوّلات الاقتصادية والثقافية. فقد ربطت الباحثة إيفا إيلوز بين الرأسمالية والتحولات في الحب الرومانسي، مشيرة إلى أن الحب أصبح سلعة استهلاكية، تخضع لمنطق العرض والطلب، وتُمارس الحرية الجنسية ضمن هذا الإطار كمظهر حداثي. وفي هذا السياق، تقول إن "سلطة الجنس والجنسانية، وتغلغلهم في قلب المحرك الرأسمالي، حوّلا الجنسانية إلى سمة وتجربة منفصلة بشكل متزايد عن التكاثر والزواج والروابط طويلة الأمد وحتى الانفعالية" (إيلوز، إيفا،89:2022).

غيرأن هذه "الحرية الجنسانية"، حسب رأي إيلوز، لا تخلو من مفارقات، فهي تُنتج في ذاتها أشكالًا جديدة من المعاناة. فمن بين تجليات ذلك، انتقال مفهوم الهوية من "الهوية الجندرية" إلى "الهوية الجنسية"، والتي ترتبط غالبًا بعدم المساواة، فتُشبّه الباحثة "الحرية الجنسية" بـ"الحرية الاقتصادية"، إذ تنظّم وتشرعن في الوقت نفسه صورًا من عدم المساواة، بل وتعيد إنتاج الخضوع البنيوي للمرأة للرجل" (إيلوز إيفا، 2020: 118).

من جهة أخرى، أدّت الحداثة إلى ظهور الجنسي العرضي بقوة (وهو جنس ليلة واحدة دون عواطف أو مشاعر أو حتى آفاق)؛ "بعبارة أخرى، فجنسنة العلاقات تعني أن نقطة بدايتها جنسية، والتي يمكن أيضًا أن تعني نهايتها" (أيلوز، إيفا، 2020: 139). لكننا لم نجد هذا النوع من العلاقة الجنسانية عند المبحوثين، فحسب ما فهمناه

منهم، أن ممارسة العلاقة الجنسية لم تكن مع بداية العلاقة، وإنما تشكّلت بتطور العلاقة مع الوقت.

يفسر غياب الجنس العرضي نهائيًا عند المبحوثين أيضا أنه لا يزال هناك ارتباط نوعي بقيم الدين والأخلاق وخوف المرأة على شرفها، والذكر على سمعته، كما أن ممارسة علاقة جنسية كاملة، ولو ليلة واحدة، قد ينتج عنه حمل المرأة، وهو ما يتعارض نهائيًا مع قيم المجتمعات الإسلامية والعربية. وهذا ما يؤكّد لنا أن الارتباط بمؤسستي الدين والقرابة لا يزال موجودًا، وإن بدا أنهما قد فقدا سيطرتهما نهائيًا على هذه المجتمعات.

2ـتعدد الاختيارات والعلاقات

تؤثر مسألة الفردانية على تعدد الاختيارات بشكل كبير، إذ لم يعد الحب مع الحداثة مرتبطا بواجب أخلاقي واجتماعي، بل أصبح مرتبطا بتلبية الرغبات الفردية. فعكس ما وجدناه عند المبحوثين من التزام، ومن خلال ملاحظاتنا واستماعنا لقصص الشباب فإنهم يدخلون في أكثر من علاقة عاطفية واحدة في الوقت نفسه. وتعتبر سهولة التعارف والتخلي عبر وسائل التواصل الاجتماعي من أهم الأسباب التي تشجع الشباب على إقامة علاقات متعددة، إذ يسهل على الفرد أن يفتح حسابات متعددة على فضاءات مختلفة، والتواصل من خلالها مع الشركاء دون وجوب التقيد بالضوابط الاجتماعية التي تلزم الفرد على الالتزام والإخلاص.

صرّح المبحوثون أنهم يفضلون العلاقة طويلة الأمد والالتزام في العلاقة، فالمبحوثة الخامسة (أنثى 26 سنة) في علاقة مع شريكها منذ سنة 2015 ولم تملّ منه ولم يمل منها، وهي تنتظر بعد أن تخرجت أن يتقدّم لخطبتها حتى تتخلص من كلام الناس. يوضح كلام المبحوثة جدّيتها في العلاقة العاطفية، كما أنها تحاول من خلال التزامها هذا التخلّص من الوصم الاجتماعي تجاه علاقتها التي تعتبر طويلة زمنيا. وبالتالي فإن التزامها هذا يأخذ بعدا زمنيا، لكنّه لا يأخذ طابعا شرعيا. وهو ما يدفع المبحوثة إلى تقديم خطاب جندري يركّز على خشية المرأة من كلام الناس عن شرفها.

في المقابل، صرّح المبحوثون أنهم لا يخافون من الجدّية والالتزام، لكن المبحوثة الرابعة (أنثى 20 سنة) أبدت رأيا مخالفا، بقولها أن الالتزام يأتي بعد الزواج فهو باعتباره رباطا شرعيا وقانونيا يجعلك تلتزم. يعكس هذا الخطاب أيضا الفرق بين الرجل والمرأة، إذ يرى الرجل أن الالتزام ممكن في العلاقة قبل الزواج، لكن المرأة تفضل ارتباطا شرعيا وقانونيا يخوّل لها الالتزام.

كما صرّح المبحوثون أن الشباب اليوم يملكون خيارات متعددة جدا في العلاقات العاطفية. وعبرت عن ذلك المبحوثة الرابعة بقولها "كلهم هكذا: الاناث والذكور...الفراغ تملأه بذلك".

وقد أدلى المبحوثون بعدم قبولهم لأن يكون شريكهم أو هم في علاقة ثانية أو علاقات أخرى. كما يُعد الشخص الذي يقوم بذلك متلاعبا وكذابا ومخادعا. وتكون العلاقات من هذا الشكل مبنية على الكذب والخداع، إذ يضطر الفرد في هاته الحالة إلى الكذب على جميع الأطراف. قد يعزى تعدد العلاقات إلى تجربة سابقة تعرض فيها هذا الشخص المخادع لخيانة من طرف شريكه، وهو ما يدفعه إلى إعادة التجربة ذاتها على شركائه الحاليين. ويرتبط رفض العلاقات الثنائية أو المتعددة بقيم ومعايير ترى في هذا النوع من العلاقات أنه منافي لقوانين الجماعة. كما يرتبط رفض هذا النوع من العلاقات أيضا بمسألة الثقة، إذ ترى المبحوثة الثانية (أنثى 25 سنة) أن شريكها محل ثقة على الرغم من أنها لا تملك كلمة المرور لجميع حساباته الافتراضية، ولكنها لم تشك فيه يوما ولا تراودها هذه الفكرة إلا نادرا جدا. ولكن في الوقت نفسه ومن خلال ملاحظاتنا وتصريح المبحوث العاشر، أصبح هذا الشكل من العلاقات منتشرا بشكل كبير جدا، إذْ عبّر عنه المبحوث العاشر (ذكر 28 سنة) بقوله أن " شباب اليوم أصبح (خلاط بروماكس) سواء البنت أو الولد". فقد ظهرت قيم جديدة كالحرية الفردية حلّت محل القيم القديمة عند الكثير من الشباب. وحسب تصريح المبحوث أصبحت العلاقات المتعددة مألوفة في الوعي الجمعي لأغلبية الشباب رغم رفضها من طرف البعض، وهو ما قد مثله مجتمع بحثنا.

نفى المبحوثون التسعة أن يكون لهم علاقات أخرى غير التي هم فيها. وتعبّر المبحوثة الأولى عن صدق مشاعرها قائلة: "لا، حتى لو يذهب هو لن أكون لغيره، هو أول وآخر شخص أحببته"، أما المبحوث العاشر فصرّح قائلًا: "كان عندي اختيارات عندما كنت معها، ولكن لم أرد أن أخدعها، لأني مع الوقت أدركت أن هذه

الفتاة أستطيع أن أذهب معها بعيدًا (يقصد الزواج)، بعيدا عن التفاهات، هي جدية، ومتحجبة، وخجولة، بالإضافة إلى أنها لا تستحق أن أخدعها لأنني وعدتها من أول العلاقة ألا أفعل ذلك."

من جهة أخرى، صرّحت المبحوثة الخامسة أنها أقامت علاقة أخرى وهي في علاقة مع الشخص الأول، وذلك بسبب شجارهما وغيرته القوية عليها، ما تسبب في ضغط كبير لها، حيث لم تعد تحسّ بالارتياح معه. ولهذا لجأت لصديق لها وكوّنت معه علاقة عاطفية. ولكنها الآن لم تعد تقيم علاقة أخرى مع غيره، حيث أصبحت مشاعرها أكثر صدقًا.

أنتجت الحداثة خصائص مختلفة في إطار الحب الرومانسي، أهمها وفرة الاختيارات وتعددها، إذ أنتج خروج المرأة للدراسة والعمل، ورواج وسائل التواصل الاجتماعي وفرة في الفرص وكثرتها، إذْ يستطيع أي فرد التحدث مع أكثر من شخص واحد في نفس الفترة دون أن يعرف الأفراد المعنيون بذلك خلال الهاتف أو الفايسبوك أو الأنستغرام. كما يستطيع الفرد اقتناء شريحتين، أو فتح حسابين على الفايسبوك، وهو ما يسهّل تعدد الاختيارات والعلاقات.

لكن ومن خلال ما وجدناه عند عينة البحث – ما عدا مبحوثة واحدة كما أشرنا سابقا – فإن مسألة تعدد العلاقات غير واردة نهائيًا. فبرغم وجود الاختيارات باعتبار أن عينة البحث منفتحين على العالم الخارجي، بفضل مزاولتهم للدراسة والعمل، وامتلاكهم لحسابات شخصية على وسائل التواصل الاجتماعي، إلا أنهم لا يعدّدون العلاقات، ما عدا علاقة الحب التي هم فيها. ويتعلق ذلك بمعايير الحب حسب تصوراتهم؛ فالحب يقتضي الالتزام، الذي يمثل شرطا أساسيا لضمان استقرار العلاقة ونجاحها. كما يمثّل الالتزام قيمة ثقافية مرتبطة بالحب الصادق والحقيقي يُعبّر عن أخلاق صاحبه. فالمبحوثة الرابعة، مثلًا، ترى أن ذلك يرتبط بقيمها وأخلاقها، وأنها ستخدع نفسها قبل أن تخدعه.

ترتبط هذه الرؤية للحب بثقافة الحب الرومانسي في بداياته، فمن خلال قصص الحب الرومانسي القديمة تتضح لنا قيمة الالتزام والصدق كأهم خاصيتين في الحب. والمبحوثون يريدون، وبدون وعي، تكرار نفس العلاقات (أي أنهم يريدون أن يعيشوا الحب الرومانسي كما سمعوا عنه ويتصورونه). إذ أن جلّ المبحوثين، ومن خلال

سؤالنا عن القصص الدينية، يذكرون إخلاص النبي محمد عليه الصلاة والسلام للسيدة خديجة.

وما أثار انتباهنا هو أن هذه المعطيات لم ترتبط بالنوع الاجتماعي، أي أن الالتزام والإخلاص في الحب لم يرتبطا بالنساء فقط (ركّزت الباحثتان نوال السعداوي وفاطمة المرنيسي على هذه الرؤية في دراساتهما)، إذ يؤكد المبحوثون الخمس من الذكور التزامهم عاطفيًا؛ غير أن هذا الالتزام في الحقيقة يؤخذ طابعا اجتماعيا وثقافيا مؤطرا بثقافة عربية تربط الرجل العربي بالالتزام والإخلاص.

فالالتزام ليس حالة فردية بقدر ما هو نمط اجتماعي يريد أن يصوّر الرجل في مظهر المخلص والمتّسم بالأخلاق النبيلة. ومنه، قد يرتبط عدم تعدد العلاقات والالتزام العاطفي هنا بمسألة "الهابيتوس" الذي أشار إليه Pierre Bourdieu فيدراساته، "كمبادئ مولدة ومنظمة للممارسات والتمثلات، قادرة على التكيف موضوعيًا بأهدافها دون وعي مفترض مسبقًا، ودون التحكم في العمليات الضرورية لتحقيق تلك الأهداف. كل هذا ينتظم موضوعيًا وبطريقة منتظمة، بعيدًا عن أن يكون ذلك نتيجة الخضوع لقواعد ما، أو لفعل ما منتظم ناتج عن مصدر ما" (لعريني، صلاح الدين، 2014: 66).

إذن ومن خلال التنشئة الاجتماعية للطفل، يتشرب الفرد معاني الإخلاص والوفاء والقيم الدينية والأخلاقية، ليصدر بعد ذلك سلوكا معينا بطريقة آلية. فالمواقف والسلوكات التي يتبناها الأفراد أو التي يقومون بها ليست تلقائية، بل تعبّر عن شكل من أشكال الاستظهار، فهو، أي "الهابيتوس"، بنية تحدد سلوك الأفراد وتوجهاتهم وتمثلاتهم ومواقفهم. ويندرج الالتزام، حسب رؤيتنا، ضمن "الهابيتوس" الجماعي الذي يجمع تصورات وأفعال جماعة ما، كما أنه مجموعة من "الهابيتوسات" الفردية التي تشترك في خصائص معينة. فالمبحوثون العشرة (باعتبار أن المبحوثة الخامسة لم تعد تعدّد في العلاقات، رغم وجود الاختيارات والفرص) يشتركون في ربطهم للحب بقيَم الإخلاص ووفاء، وهو ما يندرج عنه سلوك الالتزام والامتناع عن إنشاء علاقات مختلفة في نفس الوقت.

ويمكننا أن نلخص آراءهم بتصريح المبحوث السابع(ذكر 18 سنة) القائل: "من يفكر في خداع الطرف الثاني وإنشاء علاقات مختلفة، فهذا تفكير مرضيّ"؛ أي

نمط تفكير غير سويوسليم. وقد شدّ انتباهنا هنا مفارقة مهمة، إذ أن ما هو شائع حسب منتجات الحداثة هو وفرة الاختيارات وتعدد العلاقات، كما أشرنا سابقًا، لكن المبحوثين يدلُون بآراء مناقضة لذلك.

يستدعي منا ذلك القول إن الالتزام في الحب الرومانسي ما زال موجودًا في بنية المجتمع المعسكري، وخاصة عند فئة الشباب. - إنهم، كما ذكرنا سابقًا - لا يعيشون حاضرهم برفاهية بسبب الظروف الاقتصادية والسياسية، ولكنهم يأملون بمستقبل مشرق من خلال الزواج من شركائهم العاطفيين، وهو ما يجعلهم يتصرفون وفق هذه الرؤية المستقبلية التي تساعدهم على النجاح في الحب؛ كما أن إمكانية فشلهم في الدراسة أو في إيجاد عمل أو سكن يدفعهم إلى السعي جاهدين للنجاح في الحب.

3ـحرية بدء وإنهاء العلاقة

يرتبط اليقين في العلاقات العاطفية بمجموعة من المؤثرات المتنوعة، من بينها حرية إنشاء العلاقة وحرية الخروج منها، ما يجعل هذه الحرية عنصرًا أساسيًا في فهم الديناميات الحديثة للروابط العاطفية. ومن هذا المنطلق، دعت طبيعة الدراسة الباحث إلى طرح تساؤلات محددة على المبحوثين حول إمكانية إنهاء العلاقة من جانب أحد الطرفين دون مبرر محدد، ومدى شعورهم بالحرية في اتخاذ هذا القرار. وقد نفى المبحوثون إمكانية ممارسة هذه الحرية المطلقة، مؤكدين أن العلاقة العاطفية تستلزم التزامًا متبادلًا ومسؤولية تجاه الطرف الآخر، وهو ما يعكس إدراكهم لطبيعة الحميمية الحديثة في إطار التفاهم والاحترام المتبادل.

وعليه، يرى المبحوثون، كما يشير أنتوني غيدنز، أن الحميمية الحديثة تأخذ شكل العقد، إذ تتأسس العلاقة الخالصة على أساس من الاختيار المتبادل والمكاسب المتبادلة لكل طرف، حيث "تُباشر من تلقاء نفسها من أجل ما يمكن أن يكسبه كل طرف من ارتباطه الدائم بشخص آخر، إنها تستمر طالما يرى الشريكان أنها تُرضي كليهما بشكل كاف حتى يقتنع بالبقاء" (أيلوز، إيفا، 2022: 249). ويشير هذا التوصيف إلى أن العلاقات العاطفية الحديثة ليست مجرد التزام تقليدي قائم على الواجب أو التقاليد الاجتماعية، بل هي علاقات تتشكل وفق مبدأ المنفعة المتبادلة والرضا المشترك، ما يجعل استمرارها مرهونًا بتقييم مستمر لكل طرف لمدى تلبيتها لاحتياجاته العاطفية والشخصية. ومن هذا المنظور، يمكن فهم العلاقة العاطفية على

أنها مساحة تفاوضية ديناميكية، حيث تتقاطع فيها الحرية الشخصية مع الالتزام الأخلاقي والاجتماعي، ما يتيح قراءة دقيقة لمفهوم الحميمية في السياق المعاصر وفهم طبيعة الاستمرارية والارتباط في العلاقات الرومانسية الحديثة.

فالدخول في العلاقة والخروج منها يُعتبر عقدًا بالنسبة له، حيث تُحدد أدوار وواجبات كل من الطرفين، وامتيازات لكل طرف. ومنه، وبما أن مسألة الدخول في العلاقة كانت برأي واستشارة كل طرف للآخر، فإن الخروج من العلاقة يكون باستشارة كل منها للآخر أيضا، إلا إذا كان هناك سبب وجيه لعدم فعل ذلك، كالخيانة مثلًا التي تؤدي إلى انعدام الاستشارة وتجاهل الطرف الثاني، ثم الخروج من العلاقة.

ترى المبحوثة الرابعة (لأنثى 20 سنة) أن "العلاقة المبنية على الحب لا تنتهي، حيث أن هناك اختيارات عدة، كأن نبحث عن حلول لمشاكلنا". ولقد لاحظنا في هذا الصدد عدم تقبل للسؤال من طرف المبحوثين حتى وضحنا لهم الأمر. وبسؤالنا لهم عن حرية إنهاء العلاقة، وضّح المبحوثون عن عدم قدرتهم على إنهاء العلاقة بسبب الحب الخالص. ولكن عندما وضّحنا لهم المسألة، مثلًا في حال وجود سبب مقنع لإنهاء العلاقة، اختلفت إجاباتهم؛ فمنهم من يفضّل الابتعاد، ومنهم من يستشير الطرف الثاني ويوضح له سبب الإنهاء.

يُعتبر اليقين في هذا المقام سمة مهمّة في علاقات المبحوثين، حيث تخلق حرية الدخول في علاقة والخروج منها بحرية الشعور باللايقين، والذي يفسر بدوره كيف ولماذا يميل الناس إلى الانسحاب بسرعة من العلاقة. فمن أهم مميزات الحب السائل، كما أشار زيجمونت باومان، إنهاء العلاقة في أي لحظة دون الأخذ بعين الاعتبار آراء الطرف الثاني وماضي ومستقبل العلاقة، غير أن هذه الخاصية لم تتواجد عند عينة بحثنا.

يخلق اللايقين نوعًا من عدم الاستقرار النفسي، وهو حاجة طبيعية تدفع الأفراد إلى إنتاج أدوار إيجابية في العلاقة، كالتضحية والإخلاص. وفي حين أن اختفاء الاستقرار يُنتج هوّة وجودية ونفسية ترتبط بانعدام الثقة، يصبح الفرد في بحث دائم عن أجوبة لأسئلة مرتبطة بذلك؛ هل لم أكن كافيًا في العلاقة حتى تركني الطرف الآخر؟ لم يكن السبب واضحًا في تركه لي؟ وغيرها من الإشكالات التي يطرحها المرء في هذا الوضع.

يُعتبر اليقين عاملا جوهريا في العلاقة؛ لأنه، وكما أشرنا، يدفع المرء للقيام بتضحيات من أجل العلاقة، ويزيد قوة وصلابة العلاقة من الداخل، ويحسّن اتّزانها من الخارج (حيث نلاحظ أن للعلاقات العاطفية مظهرين؛ مظهر داخلي، وهو حقيقي يُعبّر عن أدوار الطرفين وامتيازاتهما، وتاريخ العلاقة، والتجارب المختلفة، وغيرها من الأسس المهمة لبناء العلاقة، وتختلف هذه الأسس من علاقة لأخرى، فلكل علاقة مسارها وامتيازاتها. أما المظهر الخارجي، فيبدو متشابهًا في أغلبه مع معظم العلاقات؛ إذ تبدو العلاقات العاطفية في الوقت الحالي أكثر عرضة للهشاشة وأقل تعبيرًا عن الحب. إننا هنا بصدد التعبير عن شكل العلاقة من الخارج؛ فقد تبدو علاقة صلبة، ولكنها في الحقيقة عكس ذلك).

يشكّل اليقين - من خلال التحليل وملاحظاتنا واحتكاكنا مع الشباب ولكوننا فردًا من المجتمع العربي الحديث يعنيه أمر الحب واليقين – أحد حاجيات الإنسان الحديث الذي أنهكته الحياة غير المستقرة والسريعة والمادية، والذي هو بحاجة ماسة إلى علاقة معنوية "غير مشروطة" يتّكئ عليها بعد يوم شاق في الخارج. وقد تتخذ هذه العلاقة شكلا روحيا أو معنويا مع شريك الحياة.

وفي هذا السياق، تصبح علاقات الحب الرومانسي بمثابة المأوى والملجأ في معترك الحياة الحديثة. ويرى فيكتور فرانكل، مؤسس العلاج بالمعنى، من خلال كتابه *الإنسان يبحث عن المعنى*، أن الإنسان، ولكي ينفلت من الشعور بالضياع أو الأزمات الوجودية، عليه أن يقيم علاقات تحمل معنى في بعدها الروحي أو المعنوي، وليس المادي، كما هو في ظل الحداثة التي سرّعت من الحب، وأصبح الهجر وكأنه ممارسة لا غبار عليها أو خيارًا سهلًا، بغض النظر عن مدى قوة أو حميمية الرابطة العاطفية.

ومع الحداثة، أصبح الهجر سهلًا، لا يُعبّر عن مشاعر الذنب أو تأنيب الضمير، بل حلا لأبسط المشاكل بين الطرفين، أو طريقة للعبور إلى علاقة أخرى والانفلات من تداعيات الدخول في العلاقة الأولى، وما يصحبها من التزامات معنوية بشكل خاص، كالوفاء والإخلاص. وقد يتم إنهاء العلاقة بسبب الملل من العلاقة والروتين اليومي. غير أن المبحوثة الخامسة، وبرغم أنها أصبحت تشعر بالملل والروتين بسبب عامل الوقت الذي يشكل عاملا مهما، حيث إن مدة علاقتها مع الطرف الثاني دامت لإحدى عشرة سنة، غير أن ذلك لم يدفعها لإنهاء العلاقة، لأنها صادقة في مشاعرها.

يؤكد لنا هذا الرأي ما طرحناه سابقًا حول اليقين في علاقات الحب عند المبحوثين وعند مجتمع البحث، المتمثل في الشباب في مدينة معسكر. فعلاقات "الجيب العلوي"، كما أسماها زيجمونت باومان، تتميز باللايقين وتشبه الأشياء التي نضعها في جيبنا العلوي، نجلبها بسرعة متى احتجنا لها، ونعيدها إلى مكانها متى انتهينا من استخدامها، وهو ما يُعد غائبًا عند عينة ومجتمع البحث.

4ـالاعتراف بالحب

يرتبط الاعتراف بالأفعال لا بالأقوال، أي أن الاعتراف بالحب كما ذكر زيجمونت باومان يجعل الطرفين يدخلان في علاقة حب تشبه العقد، تنجرّ عنها أدوار وواجبات وامتيازات لكل طرف.وفي هذا الصدد،صرح كل المبحوثين أنهم اعترفوا بحبهم للطرف الآخر، ومنهم من اعترف عبر الهاتف ومنهم من اعترف حضورياً؛ إذ لا يبدو الاعتراف حسب رؤيتهم صعبًا، بل أمرا سهلا وغير معقد.لخص المبحوث العاشر (دكر 28 سنة) ذلك بقوله: "الاعتراف بالحب ليس صعبًا، كان كذلك عندما كان الخجل منتشراً وعندما كان الحب من بعيد، كان الفرد يفكر سنة كاملة ومع ذلك قد لا يعبر عن حبه، أما اليوم يتكلم معها ساعة يقول لها أحبك"، ويضيف قائلاً: "الاعتراف بالحب لا يكون بالأقوال وإنما بالأفعال، وهذا من يجعل المرأة تحبك وتثق فيك... لكن يفضل ألا يعبّر الرجل كثيرًا عن مشاعره، بل يعبّر بالفعل."

يحمل هذان القولان أبعادًا سوسيولوجية مهمة؛ بداية، يمكننا القول إن التغير الاجتماعي أثّر على مسألة الاعتراف بالحب، الذي كان يرتبط في الماضي بالخجل بشكل كبير، أما اليوم فقد سهّلت عملية التواصل عبر الهاتف خطوة الاعتراف، وأصبحت كلمة "أنا أحبك" تقال عن طريق هذه الوسائل وحضورياً، كما يسبق الاعتراف في الوقت الراهن سهولة التواصل الحرّ والشبه يومي وغير المقيد.

عبرت المبحوثة الرابعة (أنثى 20 سنة) عن نفس الشيء أيضًا بقولها أن الاعتراف يكون بالأفعال لا بالأقوال. وكما سنرى في العنصر اللاحق، عبّر المبحوثون عن وجود بعض الالتزامات بينهم، كالتضحية في المواقف.

من جهته، يبرز Axel Honneth أهمية علاقة الاعتراف بالهوية في تشكيل الذات، إذ يساهم هذا الاعتراف في تأسيس صورة ذاتية متينة مرتبطة بالشعور بالرضا عن النفس وارتفاع قيمتها الذاتية. ويصبح الحب المتبادل في هذا السياق أداة رئيسية لإثبات التفرد والاعتراف بالقيمة الذاتية لدى كل طرف، حيث "في الحب المتبادل، يثبت العشاق تفرد وقيمة بعضهم البعض، إنهم يؤكدون حرفياً وجود وقيمة ذاتية كل واحد منهم" (إيلوز، إيفا، 2020: 208). ويشير هذا الاقتباس إلى أن العلاقات العاطفية لا تقتصر على التفاعل العاطفي بين الأفراد فحسب، بل تتجاوز ذلك لتصبح إطارًا يعزز الهوية الذاتية، ويمنح الأفراد شعورًا بالاعتراف المتبادل بقيمتهم وأهميتهم. ومن هذا المنطلق، يمكن فهم الحب المتبادل كعملية تفاعلية تعكس مدى قدرة العلاقة على دعم الذات وتعزيز ثقة الفرد بنفسه، ما يجعل الاعتراف بالهوية والاحترام المتبادل ركائز أساسية لفهم طبيعة العلاقات العاطفية الحديثة ودورها في تعزيز الاستقرار النفسي والاجتماعي للأفراد.

يشعر الطرف المحبوب بقيمة وأهمية أكبر، كما يحسّ بتفرده كونه يشارك مساحة من حياته مع شخص آخر، أي أنه مرئي، بل وأكثر من ذلك محبوب في شكله وتصرفاته وكلامه، وهذا هو ما يحتاج إليه الإنسان الحداثي بشكل كبير؛ إذ أصبح يعيش في ظل عالم متسارع رقمي ومتطور في نفس القرية مع الإنسان الآخر. جعل انتشار وسائل وعمليات وأدوات التجميل مثلا كثيرًا من النساء تتشابهن في الشكل، وهذا ما يجعل إحساس المرأة بتفردها أمرًا مهمًا. فالاعتراف يزيد من مسألة التقدير الاجتماعي حسب رأي أكسل هونيث.

ويمكننا تلخيص أهم أفكار نظرية الاعتراف فيما يلي:

ـ تركّز هذه النظرية تصورها على العلاقة بين المحب والمحبوب من جهة (الثنائي طرفي العلاقة)، وبين هذا الثنائي والمجتمع من جهة ثانية. يعطي حب الآخر للإنسان المحب نظرة ذات بعد إيجابي، وهذا ما يقوّي قيمتنا لدى ذواتنا ومن قيمتنا لدى أفراد المجتمع. فالحب الرومانسي يجعل الفرد يحس بأنه ذو قيمة وأهمية في الجماعة ولدى فرد معين.

ـ يرى أكسل هونيث، أن الاعتراف "هو مسار اجتماعي مستمر يتوقف على الفهم الإيجابي الذي يشكله الأفراد عن أنفسهم (أيلوز، أيفا، 2012: 199).

ـ يتحقق الاعتراف من خلال عملية معقدة وطقوس مكررة.

ـ يمكن للاعتراف أن يلغي الأنا إذا لم يتحقق (الاعتراف) كما يجب أن يكون.

ـ تدخل عوامل عدة في مسار الاعتراف، منها المعاناة، والجنس، واللقاء، والتحكم في العواطف والموازنة بين الأنا والآخر. ففي المجتمعات العربية، يرتبط التقدير الاجتماعي بقيم ومعايير خاصة، أهمها إيجاد شريك حياة، وخاصة بالنسبة للمرأة التي تُمنح تقديرًا اجتماعيًا إذا ارتبطت ووجدت زوجًا لها. ويزداد التقدير كلما كان يتسم الشريك بصفات جيدة ومقبولة اجتماعيًا مرتبطة إما بالوظيفة أو المظهر الخارجي، وغيرها من معايير نجاح اختيار الشريك حسب هذه المجتمعات.

ويشير المبحوث العاشر (ذكر 28 سنة) في تصريحه الثاني أنّ على الرجل أن يتجنب إظهار مشاعره وأن يثبت الحب من خلال المواقف. ويمكن أن نفهم من كلامه أنّ المرأة، بخلاف الرجل، ليست مطالبة بكتمان مشاعرها. ويكشف هذا الخطاب الجندري عن الحدود الفاصلة بين المرأة والرجل في علاقة الحب الرومانسي؛ حيث تُصوَّر المرأة بوصفها أكثر انفعالًا وأقل عقلانية، في مقابل الرجل الذي يُقدَّم باعتباره أكثر عقلانية ويتجه نحو الفعل بدلًا من الإفراط في الكلام. وفي هذا السياق، تطرح جوديثبتلر، الباحثة في دراسات الجندر، مسألة الأدوار الاجتماعية المرتبطة بالنوع، حيث يُطلب من الرجل أن يكون أقل انفعالًا وأن يعبّر عن رجولته عبر القوة والفعل لا عبر الخطاب.

قد يؤدي هذا التصور إلى نشوء فجوة في علاقة الحب بين الرجل والمرأة؛ فبينما يُتوقَّع من الرجل الامتناع عن التعبير المباشر عن مشاعره، تميل المرأة إلى الرغبة في سماع تعابير الحب بشكل متكرر، تبعًا لطبيعة تفكيرها وفطرتها، وهو ما قد يولّد اختلافًا في أساليب التعبير الذي يؤثر بدوره على عملية التواصل بين الطرفين. غير أنّه، وفقًا لأنتوني غيدنز، يتطلب الحب في سياق الحداثة الوضوح لا الغموض.

وفي المقابل، قد يؤثر رفض الطرف الآخر بعد الاعتراف بالحب على القيمة الاجتماعية للفرد. ويُلاحظ في هذا الإطار أنّ المبحوثين غالبًا ما قاموا بالاعتراف بحبهم بعد فترة زمنية غير قصيرة، وهو ما يعود، في نظرهم، إلى ارتباط الاعتراف بصدق المشاعر، إذ لم يكن الحب قد تبلور بعد في بدايات العلاقة. كما يمكن أن يُعزى هذا التأخر النسبي في الاعتراف بالحب من كلا الطرفين إلى سعيهما للتأكد من مشاعر الآخر. فالخوف من الرفض كان عاملًا رئيسًا في إرجاء الاعتراف، ذلك أنّ "الخوف من الرفض هو خطر يلوح في أفق العلاقات لأنه يهدد الصرح الكامل لتقدير الذات" (أيلوز، إيفا، 2020: 226).

5مسار رابط الحب

لكل علاقة منطقها الخاص، وحكايتها، وتاريخها؛ كما لا يدرك طبيعة العلاقة وتفاصيلها إلا أطرافها، تمامًا كالنفس البشرية التي لا يعرف خباياها إلا صاحبها. وقد عرض المبحوثون معطيات متباينة تتعلق ببداية العلاقة، وتطورها، ونهايتها؛ حيث تبيّن أنّ التعارف والاختيار منذ البداية كانا قائمين على عوامل اجتماعية أكثر من كونهما نتيجة صدفة. فالحب الرومانسي، كما توضّح هيلين فيشر في كتابها لماذا نحب؟ طبيعة الحب وكيمياؤه، يرتبط بجملة من العوامل الاجتماعية مثل الدين والجنس والطبقة الاجتماعية والوقت والقرب، بالإضافة إلى العوامل الكيميائية التي لم يتم التطرق إليها في هذا العمل، نظرًا لتركيز إشكاليته وفرضياته على البعد الاجتماعي في سياقاته النفسية والفلسفية.

وقد أشار معظم المبحوثين إلى أنّ بداية الحب عندهم كانت مبنية على علاقات صداقة سابقة، أي على عامل القرب: "فنحن في الحقيقة نميل أن نختار من هم حولنا" (فيشر، هيلين، 2015: 129). فالمعرفة المسبقة بالشخص، وخاصة من خلال علاقة الصداقة، تتيح التعرف عليه عبر المواقف المختلفة. فالصداقة، بما تتضمنه من لقاءات، ومحادثات، واختلافات في الرأي، تمكّن الفرد من تكوين صورة واضحة عن الآخر. وإذا ما تحولت هذه العلاقة إلى حب رومانسي، يصبح الحب أكثر ارتباطًا بالتفاهم والعقلانية منه بالعاطفة المجردة.

ويؤكد Anthony Giddens أنّهذا النموذج، أي الحب الذي ينشأ عن علاقة صداقة سابقة ويتحول إلى علاقة عاطفية رومانسية، يُعدّ من أبرز سمات الحب الحديث. وقد

تجسّد هذا التصور في المبحوثة الخامسة (أنثى 26 سنة) ، إذ صرّحت بأنّها، من خلال تواصلها مع الطرف الثاني الذي كانت تجمعها به معرفة سابقة، اكتشفت حجم التشابه والتوافق بينهما. ويُعزى ذلك إلى ما تسميه فيشر "بالتماثل"، والذي يمثل "تذوقا بيولوجيا آخر توارثناه من المملكة الحيوانية، ألا وهو ميلنا لاختيار الرفيق المتناسب" (فيشر، هيلين، 2015: 132). فحسب هذه المبحوثة، يرتبط التناسب بالتوافق الفكري والأخلاقي.

في المقابل، أشار المبحوث السابع (ذكر 18 سنة) إلى أنّ الطرف الآخر كان خائفًافي بداية العلاقة، قائلا: "إذاً، سيكون حبي لها ليس جديًا". ويُظهر هذا الطرح أنّه ورغم وجود التعارف المسبق، تبقى العلاقات العاطفية محاطة بتوجّسات تتعلق بالمستقبل ومدى جدية العلاقة، لاسيما بالنسبة للمرأة. ويعود ذلك إلى أن الخيانة، في الثقافة العربية، غالبًا ما تُنسب إلى الرجل أكثر من المرأة، لاعتباره قادرًا على إقامة علاقات متعددة في آن واحد، في حين تُعدّ خيانة المرأة مساسًا بسمعتها وتشويهًا لصورتها الاجتماعية.

وعلى صعيد آخر، ترتبط بدايات علاقات الحب الرومانسي بتوزيع الأدوار الجندرية. ويعود اعتماد هذا العمل على النظرية الجندرية في تحليل المعطيات الميدانية إلى قناعة مفادها أنّ الحب الرومانسي، حين يتجسد في علاقة عاطفية، يعيد إنتاج الاختلافات الجندرية بين الجنسين. وفي هذا الإطار، يُلاحظ أنّ الرجل غالبًا ما يبادر بالتصريح بالحب أو بطرح فكرة الدخول في علاقة عاطفية. فقد أشار المبحوث التاسع قائلًا: "البداية كانت علاقة أخوة، ثم في رمضان صارحتها."

ففي الثقافة العربية، يُنظر إلى مبادرة المرأة بالتصريح بإعجابها أو بحبها للرجل على أنّها تقليل من أنوثتها ومكانتها، في حين يُعتبر التصريح مهمة أوكلت للرجل، الذي لا يُتوقع أن يولِي أهمية مفرطة لمشاعره، ولا تتأثر رجولته بالرفض، وفقًا لما تقتضيه الثقافة السائدة. غير أنّ إيفا إيلوز ترى أنّ الرفض يمثل عاملًا مؤثرًا في مسألة الاعتراف، إذ إنّ الحب، والاعتراف المتبادل به، يسهمان في تقدير الذات كما في تقدير الآخرين لنا.

وجبت الإشارة في هذا الصدد أنّ علاقات الحب لدى المبحوثين العشرة لم تبدأ مباشرة بالحب؛ إذ كما أوضحوا، نشأت هذه العلاقات أولًا من خلال روابط صداقة أو

أخوّة (كما وصفها بعضهم)، ثم تطورت إلى علاقة عاطفية دون وجود مشاعر حب في بدايتها، قبل أن تتشكل هذه المشاعر تدريجيًا لتتحول العلاقة فيما بعد إلى علاقة حب.

وقد يلاحظ القارئ استخدامنا أحيانًا لمصطلح "علاقة الحب" وأحيانًا أخرى لمصطلح "العلاقة العاطفية". ويعود ذلك إلى أنّ المصطلحين متكاملان تقريبًا، فالخاصية المميزة لعلاقات المبحوثين أنّها علاقات عاطفية تتضمن مشاعر الحب. في المقابل، ينخرط العديد من الشباب ـ وفقًا لملاحظاتنا ومعرفتنا ـ في علاقات عاطفية تخلو من الحب ولا تهدف بالضرورة إلى الزواج، بل قد تقوم على اعتبارات أخرى مثل الحاجة إلى الاعتراف أو الرغبة في التباهي بالعلاقة، غير أن هذا النوع من العلاقات يظل خارج إطار بحثنا.

تتميز علاقات المبحوثين أيضًا بأنّها بدأت من خلال تعارف واقعي، وليس عبر الفضاء الافتراضي. فالتعارف عبر وسائط الاتصال الحديثة مثل الهاتف أو الفايسبوك قد يؤدي إلى نشوء علاقات غير واقعية لا تُظهر الفرد على حقيقته. ووفقًا لإرفينغ غوفمان، يؤدي الأفراد في الحياة اليومية أدوارًا مسرحية لأغراض متعددة، والغرض في سياق العلاقات العاطفية هو استمالة الطرف الآخر والظهور بصورة جذابة، قد تكون غير واقعية في معظم الأحيان. فمن خلال الصور والمحادثات، يظهر الأفراد بزوايا مغايرة لتلك التي يُكشف عنها في التفاعل الواقعي.

وتؤكد المبحوثة الرابعة (أنثى 20 سنة) هذه الرؤية في تصورها لعلاقتها، حيث تصفها بأنها تخلو من التزييف والتصنع، وكل ما فيها حقيقي. ومع مرور الوقت، تتبلور بنية العلاقة لتصبح لكل علاقة خصوصيتها وأحداثها وتاريخها الذي يُروى، وأدوارها بين الثنائي، وكلماتها ومواقفها الخاصة. فلكل علاقة سياقها الاجتماعي الخاص، وهو ما عبّر عنه المبحوثون في تصريحاتهم وحواراتهم. وهكذا نجد علاقات هشّة، وأخرى تقاوم التصدع، وعلاقات ناضجة، وأخرى أكثر التزامًا عاطفيًا.

وبناءً على ملاحظاتنا وتحليل أقوال المبحوثين، يمكن وصف علاقاتهم إجمالًا بأنها ليست هشّة تماما، حيث بدا الحب صادقًا في رواياتهم وفي المواقف والتضحيات التي أشاروا إليها. غير أنّ هذه البنية تظل خاضعة للتغير مع مرور الوقت، باعتبار

أنّ التغير قانون شامل لكل الأشياء. وحسب المبحوثين، فإنّ النهاية المتوقعة للعلاقة هي الزواج، كما سبق التطرق إلى ذلك في عنصر اللايقين.

ومن موقعنا الخارجي كمحللين، يمكن القول إنّ الدراسة لو أُنجزت في وقت أبكر مع تتبع مسار المبحوثين وتطور علاقاتهم مع الزمن، لكان بالإمكان إضفاء بعد سوسيولوجي أعمق. غير أنّ تحديات التدريس شكّلت عائقًا أمامنا، ولم نتمكن من الموازنة بين الالتزامات الأكاديمية والبحث العلمي، وهو تقصير نقرّ به، بهدف إبراز أهمية البعد السوسيولوجي للزمن وكيفية التعامل معه بشكل أفضل.

وقد عبّر المبحوثون عن توقعاتهم لنهاية العلاقة بعبارة "أكيد الزواج"، ما يعكس رؤية واضحة لمؤسسة الزواج بوصفها الحاضن الرئيسي للحب الرومانسي والمُشرعن للعلاقة العاطفية بين الطرفين. وتُظهر هذه التوقعات أن الحب الرومانسي لدى الشباب لا يُنظر إليه كغاية بحد ذاته، بل كوسيلة لتحقيق شكل من أشكال الاستقرار الاجتماعي والعاطفي المرتبط بالزواج. وفي هذا الإطار، يُبرز النص أن الحب الرومانسي يهدف، في جوهره، إلى تحقيق الزواج، إذ "يمثل وسيلة للارتقاء نحو السعادة الشخصية للطرفين من خلال تلبية حاجاتهما النفسية والجسدية والاجتماعية" (عبد الإله، فرح، 2019: 06). ويشير هذا الاقتباس إلى أن الزواج لا يُنظر إليه فقط كمؤسسة قانونية أو اجتماعية، بل كإطار يتيح تحقيق التوازن بين الاحتياجات النفسية والجسدية والاجتماعية للأفراد، ويضمن استمرارية العلاقة العاطفية في سياق متوافق مع التوقعات الثقافية والاجتماعية. ومن هذا المنظور، يمكن فهم الحب الرومانسي كعملية تتجه نحو التكامل والشراكة، حيث تصبح أهداف العلاقة مرتبطة بالاستقرار والارتقاء الشخصي والاجتماعي للطرفين، مما يعكس عمق ارتباط الحب بالهياكل المجتمعية التقليدية التي تشرعن العلاقة وتحدد مسارها النهائي نحو الزواج.

لقد شكّل مفهوم الزمن محور اهتمام الفلاسفة والعلماء منذ العصور القديمة، إذ ارتبطت دراسة الزمن بمحاولات فهم طبيعة الكون والحركة والوجود الإنساني. فقد وصف أرسطو طاليس (384-322 ق.م) الزمن بأنه تعداد للحركة، معبّرًا بذلك عن العلاقة الجوهرية بين مرور الزمن وتتابع الأحداث الحركية في العالم المادي، حيث يُفهم الزمن كنتيجة مباشرة للتغير والتحول في الظواهر الطبيعية. وفي المقابل، اعتبر

إسحاق نيوتن (1642-1727) في القرون الوسطى الزمن شيئًا مطلقًا ومستقلًا، يتدفق دومًا بنفس الاتساق والثبات، بغض النظر عن العوامل الخارجية أو التغيرات المحيطة، ما يعكس رؤية ميكانيكية للكون تقوم على الثبات والاستمرارية.

ومع ظهور التحولات الفلسفية في العصور الحديثة، جاء رأي كانط (1724-1804) ليقدّم منظورًا مختلفًا، إذ لم يعتبر الزمن على أنه ليس شيئًا موضوعيًا قائمًا بذاته، بل هو إطار إدراكي يعود في أساسه إلى ملكات العقل، حيث يتم تنظيم التجارب الإنسانية داخله وتصنيفها وفق تسلسل منطقي ومعقول" (بن تامي، رضا، 2013: 76). ويعكس هذا التطور في التفكير الفلسفي حول الزمن الانتقال من فهمه كظاهرة طبيعية موضوعية إلى إدراكه كإطار مفهومي وتجريبي مرتبط بتجربة الإنسان وعقله، مما يفتح آفاقًا لدراسة تأثير الزمن على السلوك البشري والتفاعلات الاجتماعية، بما في ذلك فهم كيفية تشكيل التجارب العاطفية والاجتماعية ضمن أطر زمنية متغيرة ومتصلة بالوعي الفردي والجمعي.

ما يعنينا في هذا السياق هو البعد الاجتماعي والنفسي للزمن، كما يرتبط بنظرة المبحوثين وتقييمهم لمدى تأثير مدة العلاقة على الحب. إذ يشكل الزمن عاملًا حاسمًا في العلاقات، فهو الكفيل بكشف المواقف التي تُعدّ تعبيرًا عن المشاعر. وقد عبّر المبحوثون بطرق مختلفة عن هذا التأثير: فبينما اعتبر اثنان منهم أنّ طول مدة العلاقة يسبّب المشاكل، أكد الباقون أنّ مرور الوقت أتاح لهم فرصة أعمق للتعرف على شركائهم. وقد قال المبحوث العاشر (ذكر 28 سنة): "أنا أسمي الوقت هو أحسن اختبار للإنسان، لأن العشرة تخبرنا عن كل شيء، اليوم الذي تعرفت عليها لم أقل لها ادخلي معي في علاقة، تركتها للوقت والوقت هو الذي جعلنا نكن مع بعض، لأنني تكلمت معها عن طريق الفايسبوك قرابة ثلاثة أشهر من دون أن نلتقي، تعرفنا على بعضنا جيدًا ثم بعدها دخلنا في العلاقة بدون أن نوافق على علاقتنا، لأن الوقت هو الذي فصل في القبول وكان إيجابيًا لأننا لم نتسرع."

أخذ المبحوث، مع شريكته، الوقت الكافي في مرحلة التعارف، وكان أثر الزمن إيجابيًا على علاقتهما. أما المبحوثة الخامسة (أنثى 26 سنة) فترى أنّ الزمن كان ذا أثر مزدوج، إذ قالت: "بالنسبة للإيجابيات أصبحت أعرفه أكثر من نفسي، والسلبيات تمثلت في الروتين، أصبحت العلاقة مملة، نفس الكلام كل يوم، روتين، أحيانًا لا أجد

ما أقول، وحين نلتقي أمر جميل". أتاح طول العلاقة لهذه المبحوثة فرصة التعرف على شريكها بشكل عميق، إلى درجة عبّرت عنها بقولها "أكثر من نفسي"، لكنه في المقابل أدخل على العلاقة شيئًا من الملل والرتابة. وهذا ما يفسر، حسب رأي بعض أفراد المجتمع، تجنب إطالة فترة الخطوبة، لأنها قد تجلب الروتين والمشكلات بين الطرفين.

غير أنّ اللقاء المباشر مع الطرف الآخر ـ وفقًا للمبحوثة نفسها ـ يكسر هذا الروتين ويعيد للعلاقة حيويتها، حيث يختلف التواصل الحضوري عن التواصل الإلكتروني، بما يجعل الوحدة أقل وطأة. وفي هذا الصدد، يشير هارتموت روزا في كتابه *الاغتراب والتسارع، نحو نظرية نقدية للحداثة المتأخرة* إلى أنّ "تسارع إيقاع الحياة" يجعل الأفراد يختبرون تجربة الافتقار إلى الزمن واستنزاف الذات في اللهث المستمر وراء الوقت، حيث تحول الزمن إلى سلعة نادرة. ومن ثَمّ، يُعتبر التسارع الاجتماعي مفهومًا محوريًا في نقد البنى الحداثية المتأخرة، لما يخلّفه ـ في صورته الكونية الراهنة ـ من أشكال اغتراب اجتماعي عنيفة وقابلة للرصد التجريبي" (معافة، هشام، 2024: 76).

غير أنّه، ومن خلال أقوال المبحوثين، يتضح أنّ عامل الزمن قد أدّى دورًا إيجابيًا في معظم الحالات. كما أنّهم لم يبدوا ملاحظات أو انطباعات حول سرعة انقضائه. فعلى خلاف ما أفرزته الحداثة من تسارع في وتيرة الزمن، فإن قضاء الوقت مع المحبوب يُعدّ زمنًا ثمينًا لا يُدرك المرء كيف يمضي، إذ إنّ الزمن نسبي؛ نشعر بثقله أحيانًا وبمروره السريع أحيانًا أخرى.

وفي السياق ذاته، صرّح المبحوثون بأنّهم لا يعانون كثيرًا من الشعور بالوحدة، باستثناء لحظات الفراغ أو فترات الانفصال الناتجة في الغالب عن الخلافات بين الطرفين. ففي هذا الصدد يقول المبحوث العاشر (ذكر 28 سنة) : "اليوم الذي تشاجرنا فيه وبقينا لمدة شهر دون أن نتحدث، أحسست نفسي وحيدًا لأنها تركت فراغًا، حيث كنت أتحدث معها في معظم الأوقات، وخاصة عندما كنت أذهب إلى الجامعة، كنت أتذكرها".

ويمكن القول إنّ ما أتاحته وسائل الاتصال الحديثة من سهولة التواصل أسهم في تقليص الإحساس بالوحدة. غير أنّ المبحوثين أشاروا، في المقابل، إلى أنّ هذا الشعور

لا يختفي تمامًا، لأنّ المشاعر المتولّدة عبر الوسائط الإلكترونية لا تُجسّد بشكل فعلي، فهي *مشاعر مرقمنة* تتّسم بالكثافة والاندفاع بدل التدرّج. فقد يعبّر المحب عن مشاعره، مثل الاشتياق أو الإحساس بالوحدة، عبر رسالة يرسلها بضغط زر، فيقرؤها الطرف الآخر ويجيبه، بل قد يمتدّ التواصل إلى المكالمات المسموعة. إلا أنّ ذلك، في نظرهم، لا يخفّف كثيرًا من وطأة الوحدة، إذ يظلّ الأنس مشروطًا بالحضور الفعلي للشخص، وهو ما أشرنا إليه سابقًا عند تناول مسألة العلاقات عبر الإنترنت. كما أورد المبحوثون روايات مختلفة حول حضور الطرف الآخر عند حاجته، سواء كان حضورًا مادّيًا أو معنويًا، وهو ما يعزّز ما توصّلنا إليه بخصوص قوة الترابط بين المتحابين وضعف إحساسهم بالوحدة.

خلاصة الفصل الثاني:

بيّن هذا الفصل أن التحولات الحداثية أعادت تشكيل مفهوم الحب والعلاقات العاطفية لدى الشباب في مجتمع البحث، حيث لم يعد الحب مجرد تجربة وجدانية فردية، بل أصبح نتاجًا لتداخل عوامل دينية وثقافية واقتصادية واجتماعية. فقد كشفت المعطيات الميدانية عن انتقال العلاقات من إطار القرابة والزواج التقليدي إلى فضاءات أكثر فردانية وحرية، مع بروز أنماط جديدة مثل العلاقات الافتراضية عبر وسائل التواصل الاجتماعي. كما أظهرت الدراسة أن تمثلات الشباب للحب تتأرجح بين التمسك بقيم الالتزام والوفاء والجدية.

من جهة أخرى، أبرز الفصل أن الأجيال السابقة كانت تنظر إلى الحب من زاوية الوفاء والخضوع للضوابط الأسرية والدينية، في حين يرى الجيل الحالي أن الحب يرتبط بالاختيار الحر والاعتراف المتبادل، حتى وإن ظل مؤطَّرًا في النهاية بمؤسسة الزواج. كما برزت إشكاليات ذات صلة بالحرية الجنسية وتعدد العلاقات، حيث ظل الشباب متأثرين بالمرجعيات الدينية والاجتماعية التي تقيّد السلوك الجنسي، رغم انفتاحهم على أنماط ثقافية بديلة بفعل العولمة. ويخلص الفصل إلى أن المجتمع يعيش حالة "حداثة هجينة"، تتجسد في تبني الحداثة التقنية والمادية دون تحقيق تحول موازٍ في البنية القيمية والثقافية، ما يجعل علاقات الحب مرآة لتناقضات المجتمع بين الثبات والتغير.

الفصل الثالث، الحداثة، الحب والسلطة:

تمهيد

يسعى هذا الفصل إلى دراسة تمظهرات الحب الرومانسي في سياق التحولات الاجتماعية والثقافية التي فرضتها الحداثة، مع التركيز على كيفية تفاعل الأفراد مع هذه التحولات وإعادة تشكيل علاقاتهم العاطفية وفقًا لها. ويأتي هذا التحليل في إطار فهم الأبعاد الاجتماعية والنفسية للحب، حيث لا يُنظر إلى الحب كظاهرة عاطفية بحتة، بل كمجال تتقاطع فيه القيم والمعايير الثقافية والأخلاقية مع التجارب الشخصية، ويظهر التوتر بين الموروث الاجتماعي من جهة، والانفتاح على التطلعات الفردية الجديدة من جهة أخرى. كما يركز الفصل على الدور الذي تلعبه القيم والمعايير الدينية والعرفية في ضبط الممارسات العاطفية، مقابل ظهور قيم حداثية ترتكز على الحرية الفردية والمساواة بين الجنسين، مما يجعل الحب الرومانسي حقلًا ديناميكيًا يعكس التفاعل المستمر بين التقاليد والتغير الاجتماعي.

في هذا السياق، يهدف الفصل إلى إبراز الصراعات والتناقضات التي يعيشها الشباب في فهمهم وممارستهم للعلاقات العاطفية، حيث تتقاطع التطلعات الفردية مع الضغوط الاجتماعية والثقافية، ويظهر الحب كمساحة تفاوضية بين الالتزام والتجربة الشخصية، وبين القيم المستقرة والرغبات المتغيرة. كما يعالج العلاقة بين العوامل الاجتماعية والثقافية المؤثرة على تصور الحب، ويفحص كيف تشكل هذه العوامل ممارسات الشباب وسلوكياتهم العاطفية في المجتمع المعاصر، مع التركيز على التأثيرات الناتجة عن العولمة ووسائل الإعلام الحديثة، وما تفرضه من إعادة تشكيل مستمرة للمعايير والقيم المرتبطة بالحب والعلاقات الرومانسية.

أولا، مظاهر الحداثة والانتقال من الحب الواقعي إلى الحب الافتراضي

1- تحولات المشاعر والأسس المرتبطة بتقوية رابط الحب

تعد الغيرة إحدى الظواهر العاطفية المعقدة التي تتجذر في التفاعلات الاجتماعية والثقافية، فهي لا تقتصر على الشعور الفردي وإنما تتداخل مع القيم والمعايير المجتمعية المرتبطة بالجنس والمظهر والمكانة الاجتماعية. وتتأثر الغيرة بالتحولات الثقافية الحديثة، حيث أصبح المظهر الخارجي واللباس من أبرز المؤشرات التي يُقاس من خلالها الالتزام الاجتماعي والقبول العاطفي، خصوصًا في المجتمعات التي

تولي اهتمامًا كبيرًا للموضة والظهور العام. صرّح المبحوثون على حضور مشاعر الغيرة وبقوة، وأجمعوا على أنّ الغيرة ترتبط في معظم الحالات بالمظهر الخارجي. فقد صرّحت المبحوثات بأنّ الطرف الثاني يُبدي غيرته على اللباس. ويمكن الاستشهاد بتصريح المبحوثة الثانية (أنثى 25 سنة)التي قالت :"الغيرة موجودة وبقوة، ينتقدني على لباسي، هو الذي ألبسني الحجاب، ألبسني لباسًا محتشمًا".

وتؤكد أيضاالمبحوثات أنهنّ غيّرن مظهرهن ولباسهن استجابة لغيرة الطرف الثاني. ففي سياق اجتماعي أصبحت فيه متابعة الموضة إحدى أبرز أولويات الشباب، وأصبح ينضر إلى المرأة بوجه خاص على أنها سلعة أكثر من كونها قيمة رمزية مرتبطة بجنس بشري، برزت الغيرة لدى الرجال بشكل أكبر، حيث يُنظر إلى لباس المرأة باعتباره جزءًا من حشمتها وعفّتها، بل وحتى تدينها. فقد حدّد الدين الإسلامي ضوابط للباس المرأة وربطه بالحجاب الذي لا يصف جسدها ويستره. غير أنّ الملاحظ في الوقت الراهن هو تحوّل مفهوم الحجاب نفسه، حيث بات يظهر بألوان وتصاميم مختلفة.

من جهة أخرى، تُكرّس الغيرة ممارسات الهيمنة الذكورية داخل العلاقة. إذ أظهرت تصريحات المبحوثين أنّ الغيرة تبدو أكثر حضورًا لدى الذكور، حيث يتحوّلون إلى متحكّمين في خروج المرأة ولباسها وعلاقاتها مع الرجال الآخرين. وإلى جانب مسألة الغيرة، أجمع المبحوثون على غياب علاقة الشك المباشر في الطرف الثاني. فقد صرّح المبحوث السابع (ذكر 18 سنة) قائلاً: "الإنسان يعيش في عصر يستطيع أن يشك في أي شيء، المحيط وليست هي، الشك في المحيط وليس فيها هي".

غير أنّ السياق المعاصر، مع تعدّد الاختيارات وكثرتها، وظهور الهاتف النقال كوسيلة شخصية، أتاح إمكانية إقامة علاقات خفية من كلا الطرفين دون علم الشريك. كما أنّ انتشار قصص الخيانة الزوجية، ولا سيما خيانة المرأة، في السنوات الأخيرة داخل المجتمع، عزّز هذا التصور، حيث زاد من حدّة غيرة الرجل وجعله يسعى لتقييد علاقة المرأة مع الرجال. وإذا امتنعت المرأة عن الانصياع لرغباته، قد يتحول الشك إلى معيار داخل العلاقة. ويُذكر أنّ المبحوثة الخامسة أقامت علاقة ثانية نتيجة الغيرة الشديدة للطرف الثاني.

أمّا فيما يخص العلاقة بين الغيرة والشك، فقد صرّح المبحوثون بأنّ مواقع التواصل الاجتماعي لم تكن سببًا مباشرًا في إثارة الغيرة أو الشك، وذلك لوجود عامل الثقة. غير أنّ هذه الثقة، بحسب أقوال العديد منهم، لم تتشكّل بصورة طبيعية، بل جاءت كنتيجة لتجارب اختبارية عبر إنشاء حسابات وهمية بغرض التواصل مع الشريك تحت اسم آخر واختبار وفائه. وفي هذا السياق، ذكرت المبحوثة الرابعة (انثى 20 سنة) أنّها انفصلت عن شريكها لفترة محددة بعدما طلب منها كلمة السر الخاصة بحسابها على الفايسبوك، الأمر الذي رفضته، مؤكدة أنّ منح هذه الصلاحية يكون من حق الزوج فقط بعد الزواج. وهو ما يوضح أن غياب الغيرة والشك الكبيرين يعود أساسًا إلى تجارب اختبار الثقة باستخدام وسائل التواصل الاجتماعي، أي أن الثقة لم تُبنَ على قناعة بقدر ما تأسست على ممارسة الشك ابتداءً. كما أنّ هذه الوسائل سهّلت أشكال الرقابة، حيث تجلّت في صورة غيرة مقنّعة ورغبة في السيطرة على خصوصية الآخر. وهو ما جعل المبحوثة الرابعة ترفض مشاركة كلمة السر بدافع الحفاظ على خصوصيتها، رغم إصرار الشريك على فرض هذه السلطة، التي تظلّ، في تصورها، مشروعة فقط بعد الزواج.

وعبّر المبحوثون أيضًا عن مشاعر الشوق، وهو ما يتعارض مع ما ذهب إليه أنتوني غيدنز حين تحدّث عن العولمة وما أنتجته من *"ديمقراطية العواطف"*، حيث أسفرت عن أحاسيس باردة بفعل الاتصال الرقمي. لكن من خلال تصريحات المبحوثين، يتبيّن أنّ الأحاسيس ما تزال حاضرة بقوة، حيث أبدوا شعورًا بالاشتياق لقلّة اللقاءات المباشرة، رغم وفرة تقنيات التواصل التي تتيح لهم التحدث بالصوت والصورة وفي أي وقت. ويُعزى ذلك، وفق تحليلنا، إلى أهمية الحضور الجسدي المباشر الذي لا يمكن أن يعوّضه التواصل عبر الهاتف أو الإنترنت. إذ أسهمت الشبكة العنكبوتية في إعادة تشكيل مفهومي المكان والزمان عبر إمكان اللقاء والتواصل عن بعد، لكنها في الوقت نفسه أنتجت نوعًا من المشاعر المتخيّلة أو غير الحقيقية المرتبطة باللهفة والاشتياق. ونرى أنّ هذه الوسائل خفّفت بالفعل من شدّة اللهفة، لكن اللقاء الجسدي المباشر وتبادل النظرات بين المتحابين يظلّ عنصرًا لا يعوّض. وهو ما تؤكده إيفا إيلوز بقولها:"تكنولوجيا الإنترنت تخلق المشاعر الوهمية، المشاعر التي تقوم على محفزات الحياة الحقيقية، ولكن موضوعها الفعلي غائب أو غير موجود"(إيلوز،إيفا، 2020: 411). فقد أتاح الإنترنت شكلًا جديدًا من الحضور

والغياب، حيث يمكن للشخص أن يقول: أنا غائب عنك، لكن يمكنني التواصل معك في أي لحظة ورؤيتك عبر الهاتف.

من جهة أخرى، تحدّث المبحوثون عن المقوّمات التي تساهم في تقوية رابط الحب، مثل الثقة والتفاهم، حيث عبّروا عن وجود ثقة وإخلاص متبادل بين طرفي العلاقة. أما فيما يتعلق بالصبر والتضحية، فقد أورد المبحوثون قصصًا متعددة تبرهن على تضحيتهم من أجل الطرف الثاني وصبرهم عليه، أو تضحيات هذا الأخير من أجلهم. وقد لخّصت المبحوثة الثانية(انثى 25 سنة) ذلك بقولها: "أنت تجدني في وقت الشدة وأنا أجدكَ"، في إشارة إلى فعل الصبر والتضحية وانتظار المعاملة بالمثل في الظروف الصعبة. تتشكل ممارسات الصبر والتضحية عبر التجارب والمواقف في إطار عامل الزمن، وهو ما عبّر عنه بعض المبحوثين في تعريفهم للحب بأنه أفعال ومواقف، حيث تعمل هذه الأخيرة على تقوية رابط الحب بين الطرفين، وقد تجسد ذلك في قصص المبحوثين وملاحظتنا لوجود لهفة في إجاباتهم.

وفيما يتعلق بالتوحد أو الاستقلالية، صرّح تسعة مبحوثين بأنهم والطرف الثاني يشكّلون ذاتًا واحدة، بينما عبّرت المبحوثة الرابعة عن موقف مغاير بقولها: "كل واحد ومجاله الخاص به"، موضحة أن النضج هو السمة الأبرز لعلاقتها مع الطرف الآخر. تشير بعض الدراسات النفسية إلى أن الحب الناجح يقوم على استقلالية غير مشروطة، بحيث يمنح كل طرف للآخر خصوصيته دون حرمانه منها بذريعة الحب. وقد جسدت المبحوثة الخامسة(أنثى 26 سنة) هذا التناقض من خلال تعبيرها عن كونها والطرف الآخر واحدًا، وفي الوقت نفسه رغبتها في الاستقلالية، مؤكدة أن: "تحمل العلاقات المعاصرة في عمقها تضاربًا في الأهداف مثل الحفاظ على الاستقلالية الذاتية وتقدير الذات من جهة، والبحث عن الارتباط من جهة أخرى" (أيلوز، إيفا، 2022: 276). وعبّرت المبحوثة أيضًا عن رفضها للقيود وهيمنة الطرف الآخر، معتبرة أن التوحد المفرط قد يؤدي إلى الاختناق والبحث عن متنفس. غير أننا لم نلحظ هذا التوجس في تصريحات باقي المبحوثين، ولا سيما المبحوثات.

أما بشأن العوامل التي تُسهم في تطور العلاقة، فقد ربطها المبحوثون بصفات أساسية، أبرزها الاهتمام، كما عبّرت المبحوثة الخامسة (أنثى 26 سنة) بقولها: "الاهتمام أحسن من الحب"، موضحة أن الاستماع يمثل أبرز أشكاله. كما عدّدوا

صفات أخرى مثل الاحترام، والثقة، والصدق، الوضوح، وصحية العلاقة الخالية من الشكوك، بالإضافة إلى النية الجادة لتحويل العلاقة إلى مشروع زواج. وقد شددت المبحوثات على أن الاهتمام والاحترام والوضوح تُترجم بالفعل أكثر من القول، معتبرات أن الأفعال والمواقف، مثل التضحية والتنازل والحضور، تفوق في أهميتها التصريحات العاطفية. ومع تعدد الاختيارات في ظل الحداثة، برزت أزمة الثقة، ما جعل الأفعال معيارًا لتأكيد الحب. وإلى جانب هذه الصفات، تتطلب العلاقة منظومة قيمية قائمة على الصدق والوفاء والاحترام، باعتبارها قيما راسخة في الأسرة والثقافة الجزائرية، إذ يُنظر إليها كمرتكز للمواطنة الصالحة من منظور الدين والمجتمع، وكذلك للشراكة العاطفية الناجحة من منظور المبحوثين. وتؤدي هذه القيم مجتمعة إلى بناء علاقة صحية، وهو ما يعكس وعي الشباب في معسكر، خاصة في ظل انتشار الخيانة، والطلاق، والعلاقات السامة. وقد اعتبروا أن أوضح علامة على نجاح العلاقة هي ارتكازها على مشروع الزواج، باعتباره المؤسسة التي تتوّج الصفات السابقة جميعها.

أما العوامل المؤدية إلى فشل العلاقة، فقد ربطها المبحوثون بصفات سلبية أبرزها: الخيانة، غياب الثقة، الكذب، الغموض، الإهمال، انعدام الاهتمام، الأنانية، والغيرة المفرطة. فقد أجمعوا على أن الخيانة تدمر العلاقة العاطفية، إذ تُعتبر في المخيال العربي صفة مذمومة تهدم الثقة وتدل على انعدام المسؤولية. ووفقًا لتصريحات المبحوثين، فإنهم لم يُقدموا يومًا على خيانة الطرف الآخر، ولا يقبلون أن يُخونوا بدورهم. كذلك، يُلغي الكذب مبدأ الوضوح، فيما يؤدي الإهمال إلى اختلال ميزان العلاقة. أما الأنانية، فهي تعكس غياب "النحن" الجماعية التي يفترض أن تدمج المتحابين في ذات واحدة بطموحات وهموم مشتركة. فإذا طغت "الأنا" الفردية، فقدت العلاقة روح المشاركة والحب، ما يفضي إلى تلاشيها. وأخيرًا، اعتبرت المبحوثات أن الغيرة المفرطة لدى الرجل تمثل عاملاً رئيسيًا في فشل العلاقة، مشيرات إلى قصص في الواقع انتهت بسببها. وترتبط الغيرة، في هذا السياق، ببعد جندري يضع المرأة في موقع الكائن الذي يجب بالضرورة مراقبته وحمايته من قبل الرجل.

2ـاستراتيجيات رابط الحب

يعود مفهوم الأبوية إلى المصطلح اليوناني القديم Patriarchy، المكوَّن من كلمتي pater(الأب) و arche(البداية)، بما يعني أن الرجل هو الأصل الذي تُبنى عليه الحياة. وقد أوضحت نوال باشا أن الثقافة الأبوية تُسند المسؤوليات الأساسية للأب في رعاية الأسرة ورفاهيتها، وأن "patriarche" هو رجل ذو نفوذ كبير داخل الأسرة والمجتمع، في حين أن الثقافة الأبويّة نتاج لهيمنة النظام الأبوي الذي ساد بعد انهيار النظام الأمومي (باشا، نوال، 2015: 77). ويعكس هذا التحليل الأبعاد التاريخية والثقافية للأبوية، حيث تتجلى سيطرة الرجل في تنظيم الموارد والمسؤوليات العائلية، ما يعزز فهم الاختلافات بين الأدوار الجندرية التقليدية والممارسات المعاصرة، ويتيح تفسير استمرار بعض التصورات التقليدية لدى الشباب على الرغم من التغيرات الاجتماعية والثقافية الحديثة.

ويُعد النظام الأبوي بنية اجتماعية وثقافية قائمة على أسس اقتصادية تُعيد إنتاج علاقة السلطة والخضوع بين الرجل والمرأة، حيث يتحول الرأسمال الاقتصادي إلى رأسمال رمزي يرتبط بالرجولة والقوة. وقد أشار بورديو إلى أن السلطة تخضع لنظام معقد تُسيّره آليات دقيقة، وأن من أبرز خصائص السلطة الرمزية أنها تعمل عبر الاختفاء. ورغم التحولات الثقافية التي مست أدوار المرأة ومكانتها بفضل التعليم وخروجها للعمل، لا يزال التفكير التقليدي قائمًا في بعض العلاقات الاجتماعية، ولا سيما تلك المبنية على الحب الرومانسي.

عبّر معظم المبحوثين عن خطاب جندري تقليدي تمثل في عبارات مثل: "الرجل هو الذي ينفق على المرأة"، و"ليست جيدة أن أنفق عليه أنا". تكشف هذه التصريحات عن الأثر العميق للتنشئة الاجتماعية في تشكيل المواقف والسلوكيات المرتبطة بالنوع الاجتماعي، حيث يُربّى الذكر منذ الصغر على أنه المسؤول الأساسي عن الإنفاق وتوفير الاحتياجات المادية، بينما لا تُطالب المرأة بممارسة هذا الدور، ما يرسخ فكرة التبعية المادية للمرأة تجاه الرجل وفق المخيال الثقافي الأبوي. ويعكس هذا الموقف استمرارية القيم والمعايير التي ينقلها المجتمع عبر الأسرة ومؤسساته الاجتماعية، وهو ما يجعل بعض المبحوثين يمارسون تصرفات متوافقة مع نموذج الأبوية التقليدي، حتى في سياق اجتماعي متغير.

من جهة أخرى، صرّح ثمانية من المبحوثين بأنّ كل طرف يقدّم الدعم المالي للطرف الآخر عند الحاجة، بغض النظر عن تبادل الهدايا بينهما، مؤكدين أنّ إنفاق المرأة على الرجل لا يترك أثرًا سلبيًا على العلاقة في بعض الأحيان، بل على العكس، يعزز من قوتها ويعمّق اتحاد الطرفين. وفي السياق نفسه، عبّر المبحوث التاسع (ذكر 19 سنة) عن هذا الموقف بقوله :"لا يؤثر سلبًا، بالعكس يقوي العلاقة، ليس من طرف واحد". ويدلّ هذا الطرح على ما يتعارض مع ما تمت الإشارة إليه في الفقرة الأولى، إذ يُظهر بعض المبحوثين عدم إيلائهم أهمية للأدوار الجندرية التقليدية، وهو ما يعكس تحوّلًا قيميًا لدى الشباب أفضى إلى نشوء علاقات عاطفية أكثر مرونة، قائمة على الحب. ويأتي هذا التحوّل في سياق عصر العولمة وهيمنة وسائل الإعلام وتغير عملية التنشئة الاجتماعية داخل الأسرة، التي تبدّلت أدوارها بفعل عوامل عدة أبرزها خروج المرأة إلى سوق العمل وظهور وسائل التواصل الاجتماعي كقنوات بديلة للتواصل. وفي هذا الإطار، يرى جورج بالانديه أنّ العيش في المدينة يجعل "الأسرة تتحرر من الضغوط وتتغير معها كل العلاقات، (فالمدينة) أو الحياة المعاصرة تسمح لأفرادها بالتخلي عن الالتزامات والضغوط والضوابط التقليدية وتسمح لهم بالاختيار، حيث يحقق الأفراد نوعًا من الاستقلالية، بل وتخف شدة المراقبة الاجتماعية المدعمة بالضغوط والعرف الاجتماعي والالتزام، وهذا ما ساهمت فيه ظاهرة الحداثة" (جودي حمزة، علي الطالب، مبارك، 2022: 310).

وقد أسهمت هذه العوامل مجتمعة في هيمنة قيم الحداثة على حساب القيم التقليدية. وحتى الآن، لم نلحظ وجود صراع مباشر بين القيم التقليدية وقيم الحداثة، وإنما طغيان الأخيرة؛ في حين سنجد ملامح هذا الصراع أكثر وضوحًا في مسألة الدين كما سيتم تناوله في المبحث اللاحق. وما لاحظناه عند المبحوثات هو أنهنّ لا يربطن الحب بوفرة المال لدى الشريك. وعلى عكس ما أنتجته المجتمعات الحديثة من علاقة توتر بين الحب والمال – حيث أصبحت الرومانسية في المجتمعات الغربية مرتبطة بمعايير معينة، مثل الجنس العرضي والمال – فإنّ المبحوثين، ذكورًا وإناثًا، لا ينظرون إلى المال كشرط مسبق لقيام الحب أو لاستمراره. ويعود ذلك، كما تمت الإشارة سابقًا، إلى غياب الفوارق في الأدوار الجندرية بفضل تكافؤ الفرص في التعليم والعمل بين الرجل والمرأة، الأمر الذي يجعل المال غير عامل حاسم في مسار العلاقة العاطفية.

وبرغم أنّ الثقافة الرومانسية تمنح المال أهمية كبرى في العلاقات العاطفية، كما يتجلى في المثل القائل: "عندما يدخل الفقر من الباب يخرج الحب من النافذة"، فقد روى المبحوثون تجارب شخصية – طويلة نسبيًا لا يتسع المجال لعرضها هنا – تشير جميعها إلى غياب الحسابات المادية بينهم، حيث يقوم كل طرف بتقديم الدعم المالي للآخر عند الحاجة. ومع ذلك، يبقى للمال دور مؤثر في العلاقات، إذ يتضح شراء الحب بالمال في أوضح صورة في العلاقة بين الجنسين، خاصة بين الرجل الذي يحاول لفت أنظار المرأة التي يريد خطبتها أو التي يريد الزواج بها، فإذا لم تتقبله أو تمنعت عن أن تبادله حبًا بحب، لجأ إلى سلاح المال لشراء هذا الحب. غير أنّ ما ظهر من خلال تصريحات المبحوثين أنّ الحب لم يكن حاضرًا منذ بداية العلاقة، بل تولّد لاحقًا عبر المواقف والتجارب المشتركة.

وفي إطار التحليل السوسيولوجي، يرى George Simmelأنّ الحداثة قد عظّمت من سلطة المال، باعتباره خاصية محورية في مختلف الخيارات الحياتية، مثل الزواج، السفر، والحب، إلى جانب أنماط الحياة المختلفة. بينما يذهب Talcott Parsons إلى أنّ المال يقع ضمن النمط "الاجتماعي، فالتبادل ليس ظاهرة اقتصادية خالصة، فهو يخضع للثقافة ومعايير الشرعية وأنماط الأفعال المتوقعة المتمثلة ثقافيًا، فالمال كوسيلة تواصل رمزية عامة يمكنه أن يشتري ما يشاء من أي مكان متى شاء ضمن شروط يمكن قبولها أو رفضها" (أوشان، جميلة، 2019: 957). أما ماكس فيبر، فيقدّم في كتابه الأخلاق *البروتستنتية وروح الرأسمالية*، طرحًا سوسيولوجيًا لمسائل متعددة، من بينها ارتباط المال بالقيم الناتجة عن الدين والتنشئة الاجتماعية، حيث يخلُص إلى أنّ "اختيار السلوك المالي هو نتيجة أخلاق وقيم خاصة بالفرد تلقّاها وتعلمها خلال مسار حياته" (أوشان، جميلة، 2019: 959).

وعليه، فإنّ عدم ارتباط استمرارية الحب عند المبحوثين بالتوفر الكبير للمال يؤكد فرضيتنا السابقة، مفادها أنّ الشاب العربي يسعى جاهدًا في ظل الظروف المعيشية الراهنة، لإيجاد الحب والحفاظ عليه، حتى لو كان ذلك مناقضًا لبعض قيم الحداثة، كما يظهر في عنصر اللايقين في رابط الحب والحرية الجنسية النسبية. وبالنظر إلى أعمار المبحوثين، فإنّ بعضهم لم يمر بتجارب تتضمن مجازفات أو صعوبات في علاقاتهم العاطفية، بينما صرّح آخرون بأنّهم واجهوا بالفعل صعابًا وتضحيات أثرت في مسارهم العاطفي. وقد عبّر المبحوث السابع، البالغ من العمر

ثمانية عشر عامًا، بإيماءة يديه المضمومتين عن قوة العلاقة بعد تجاوز هذه التحديات. ويُعدّ خوض المجازفات من أبرز سمات الحب الحديث، إذ يرفض الامتثال لشروط المجتمع وقيود الأسرة، ولا سيما بالنسبة للمرأة التي تبقى في المجتمعات العربية أكثر عرضة للمجازفة بحكم هويتها الجندرية المرتبطة بالحفاظ على الشرف والسمعة.

ومن جهة أخرى، ترى Helen Fisher أن هذه القيود والصعاب التي يمر بها الحب الرومانسي تسهم في تعزيزه، إذ إنّ عنصر الفجيعة يؤجج الهوى. وتوضح ذلك بقولها :"الفجيعة عادة ما تغذي اللهيب، أسمّي هذه الظاهرة المثيرة للفضول 'بجاذبية خيبة الأمل'، ولكن من الأفضل تسميتها 'بجاذبية روميو وجولييت'. تشعل الحواجز الاجتماعية أو الفيزيقية الغرام الرومانتيكي. إنها تمكن الشخص من أن يتجاهل الحقائق ويركز على السمات الاستثنائية في الآخر، حتى المشاحنات والانفصالات المؤقتة بوسعها أن تكون محفزات "(فيشر، هيلين، 2015: 35). وقد أكّد المبحوثون، حتى أولئك الذين لم يمروا بمجازفات وصعوبات كبرى، أنّهم عايشوا مشاحنات وانفصالات مؤقتة أسهمت بدورها في تقوية رابطة الحب.

ورغم أنّ الصراع غالبًا ما يفضي إلى الانفصال وانتهاء العلاقات، فإنّ الحب، وفقًا لتصريحات المبحوثين، يخضع لمنطق مغاير، حيث يظهر أن الصعوبات والصراعات التي تعترض سبيله لا تؤدي بالضرورة إلى تفكك العلاقة، بل على العكس، تعمل أحيانًا على تعزيز رسوخ الحب وتجذيره في نفوس أصحابه. ويشير هذا الرأي إلى أن الحب ليس مجرد تجربة عاطفية لحظية أو مشاعر مؤقتة، بل عملية ديناميكية تتشكل عبر مواجهة التحديات والتكيف معها، مما يعكس قدرة الأفراد على صيانة العلاقة وتطويرها رغم الصعوبات. كما يوحي هذا التحليل بأن الصراعات العاطفية قد تكون وسيلة لتعميق الفهم المتبادل بين الشريكين، حيث تؤدي إلى تعزيز الالتزام، وإعادة تقييم القيم المشتركة، والتمسك بالمكاسب العاطفية والنفسية الناتجة عن العلاقة، بما يجعل الحب ظاهرة معقدة تتجاوز مجرد الانجذاب العاطفي إلى مستوى أكثر استقرارًا وارتباطًا بالخبرة المشتركة والتفاعل الاجتماعي المستمر.

لا تعمل قصص الحب الكلاسيكية، سواء الغربية منها أو العربية، إلا على تكريس هذا التصور؛ فحكاية روميو وجولييت والصراع الناتج عن المشاحنات وسوء الفهم بين العائلتين لم تُضعف علاقتهما، بل عزّزتها، كما أنّ قصة قيس وليلى لم تُخلّد

إلا بسبب رفض والدها زواجهما.وعلى هذا المنوال، فإنّ الصراع – وفق ما صرّح به المبحوثون – لم يُفضِ إلى هشاشة العلاقة أو تآكلها، بل على العكس، كان عاملًا في تعزيز استمراريتها ومقاومتها للظروف. إذ إنّ مدة العلاقة بين المبحوثين لا تقل عن تسعة أشهر، وهو مؤشر على قوتها واستمراريتها.

إنّ صمود المتحابين في مواجهة الصعاب يمنحهم مكانة رمزية باعتبارهم نموذجًا للمقاومة، وهو ما يضفي على قصص الحب طابعًا أسطوريًا، إذ يرى كل ثنائي نفسه في موقع فريد جراء التحديات التي واجهها من أجل نجاح العلاقة. يضفي هذا الطابع الأسطوري على الحب صفة النموذج المثالي القادر على الصمود في وجه العقبات، كما يجعل التضحية والمجازفة معيارًا لصدق الحب وفق تمثلات الشباب، وهما سِمتان تمنحان العلاقات الرومانسية طابع الجدية.

إلى جانب ذلك، فإنّ الصعاب الاجتماعية على وجه الخصوص تساهم في تخليد الحب، إذ لم تُخلّد قصص الحب عبر التاريخ إلا بفضل معارضة المجتمع أو العائلة لها. ويظهر ذلك بوضوح في تمثلات المبحوثين الذين يربطون بين "الزواج عن طريق الحب" وبين وجود قصص وتجارب تُروى لاحقًا للأبناء والأحفاد، وكأن الزواج ذاته يخلو من مواقف مشابهة تُجسّد التضحيات والذكريات المشتركة. ومن هنا يتخذ الحب الرومانسي – خلافًا للزواج – بُعدًا تراجيديًا خياليًا، وهو البعد الذي يجعل الشباب يميلون إلى الافتتان بالطرف الآخر. يفسر ذلك سلوكيات خاصة عند المتحابين، مثل التضحية والمجازفة، وهي سمات لا نجدها بالضرورة في العلاقات الزوجية. ولا يعني ذلك أنّ الحب بين الأزواج أقلّ عمقًا، بل إنّ ارتفاع منسوب الفعل التراجيدي في العلاقات العاطفية غير الرسمية هو ما يميزها.

أما بخصوص التملّك، فقد شكّلت المبحوثة الرابعة (أنثى 20 سنة) استثناءً بقولها إنّها لا تشعر أنّها ملك للشريك ولا يثبت لها ذلك من خلال أفعاله، ووصفت العلاقة بأنها ناضجة. لكنّ ما لاحظناه عمومًا لدى تسعة من المبحوثين هو أنّ نزعة التملك لا تُعبر بالضرورة عن عدم نضج العلاقة. وإذا ما ربطنا هذه السمة بمسألة السن، فإنّ المبحوث التاسع البالغ 28 عامًا يصرّح قائلا: "أحس نفسي أنني ملك لها، هذه المرأة تغار كثيرًا وكانت تقول لي بأنني لها وحدها. أصلاً المرأة الجزائرية أو حتى الرجل يحب أن تكون عنده تلك الصفة المرتبطة بحب التملك، تجدها دائمًا تنسب

شيئًا يخصك بأنها لها، وأنت أكيد تتقبل لأنّه شعور متبادل، وهذا ما تعرفه من تصرفاتها. تصرفات تحب أن تتحكم في هاتفك، وبكونها عندها الرقم السري يعني تتصرف فيه، وأحيانًا تتدخل في أمور شخصية مثل اللباس أو طريقة قصة الشعر أو اللحية". ويُبرز هذا القول أنّ التملك يُعدّ سمة مشتركة بين الطرفين، حتى وإن كانا في أواخر العشرينيات، بما يعكس حضوره كأحد أهم مميزات العلاقة.

لقد أفضت الحداثة إلى تكريس الفردانية، كما سبقت الإشارة في الفصل المنهجي، غير أنّ ما استنتجناه من تصريحات المبحوثين يؤكد أنّ التملك يظل إحدى السمات الأساسية للحب لديهم؛ وبعبارات أخرى، "تحمل العلاقات المعاصرة في عمقها تضاربًا في الأهداف مثل الحفاظ على الاستقلالية الذاتية وتقدير الذات من جهة، والبحث عن الارتباط من جهة أخرى" (أيلوز، إيفا 2022: 276).

وقد صرّح بعض المبحوثين بأنّ الغيرة الشديدة تقيّدهم، إذ يرغبون من ناحية في الحرية، ومن ناحية أخرى في التملك، وهو ما يظهر في سلوكيات الطرف الآخر الهادفة إلى جعله ملكًا له. ومن هنا أعادت الحداثة صياغة التملك بأشكال جديدة، مثل: معرفة كلمة السر للهاتف وحسابات الفايسبوك أو الأنستغرام، وفرض التواصل المستمر والرد السريع، والتحكم في المظهر الخارجي... وهي سلوكيات ساعدت عليها وسائل التواصل الاجتماعي التي جعلت من أنشطة الفرد اليومية مرئية ومتاحة للآخرين عبر خاصيات الصور والمنشورات.

وينتج عن هذا التناقض الذي أفرزته الحداثة بين الحرية والتملك نوعا من عدم الاستقرار في العلاقة، وهو ما عكسته تجربة المبحوثة الخامسة (أنثى 26 سنة) حين قالت: "أنا أحب الحرية وهو يقيدني"، مشيرةً إلى أنّه يعاملها كما لو كانت زوجته، ما أدى إلى انفصال ثم عودة العلاقة. ومع ذلك، فإنّ سمة التملك لا تُزعج معظم المبحوثين، بل تمنحهم شعورًا بقيمتهم وأهميتهم لدى الطرف الآخر، الأمر الذي يجعلها في نظرهم نقيضًا للفردانية.

ويرتبط التملك في جانب منه بالهيمنة، حيث تدفع رغبة أحد الأطراف في السيطرة إلى ممارسات تعكس علاقة خضوع وهيمنة: "هو الذي ألبسني الحجاب"، "أنا الذي أتحكم في لبسها وخروجها"، "أستشيره قبل الخروج"... وتعبر هذه تصريحات عن استمرار سلطة الذكر في العلاقات العاطفية.

وعلى عكس ما أفرزته الحداثة من حرية شخصية وفردانية، ما تزال العلاقات الرومانسية – في مجتمع البحث – مبنية على ثنائية المهيمن والخاضع. فالهيمنة الذكورية لا تزال مكرّسة بفعل البنية الاجتماعية، كما أشار بيار بورديو، من خلال الفوارق الفيزيولوجية التي تمنح للعلاقة بين الجنسين طابعًا تراتبيًا. إذ ينظر إلى جسد المرأة بما يحمله من معايير على أنه دائم التعرض للخطر، خاصة عند ربطه بمفاهيم العذرية والشرف. ومن هنا فإنّ المجتمع، عبر التنشئة الاجتماعية، يضع الحدود بين الجنسين من خلال جملة من الضوابط والمعايير.

ويُنتظر من الرجل أن يكون قويًا معبّرًا عن الفحولة، بينما تُحصر المرأة في صورة الضعف والخضوع، وبذلك تُسهم في إعادة إنتاج نظام الهيمنة الذكورية. ويظهر ذلك جليًا في تقسيم العمل على أساس النوع الاجتماعي؛ حيث يُوكل للرجل العمل خارج البيت الذي يتطلب جهدًا بدنيًا، في حين تُكلّف المرأة بأعمال منزلية تحتاج مهارة اجتماعية أكثر من حاجتها إلى القوة الجسدية.

ظهر هذا التطبّع على الهيمنة في تصريحات المبحوثات، حيث لوحظ أن أغلبهن لم يظهرن أي انزعاج من الأمر، ما عدا المبحوثة الخامسة (أنثى 26 سنة) ، بل بدا أن هذه الهيمنة تتجلى وكأنها طواعية من المرأة غير مفروضة عليها، مما يشير إلى تشكّل نوع من "الهيمنة الناعمة" في العلاقات العاطفية. فقد صرّحت المبحوثة الرابعة (أنثى 20 سنة)

بقولها: "ليس تسلّطا، بكل ارتياحيه قبل أن أخرج أكلمه"، وهو ما يعكس إدراكها للعلاقة بطريقة تجعل ممارسة السلطة تبدو طبيعية ومقبولة، وليس كقيد أو إجبار. ويشير هذا الموقف إلى أن الهيمنة لا تظهر دائمًا في شكل صدام أو فرض صريح، بل يمكن أن تتخذ أبعادًا ضمنية تتداخل مع الطواعية والقبول الاجتماعي والثقافي، بحيث تصبح جزءًا من التفاعلات اليومية بين الشريكين. ومن هذا المنظور، يمكن اعتبار هذه "الهيمنة الناعمة" نتيجة لإعادة إنتاج القيم والمعايير الجندرية التقليدية داخل العلاقات العاطفية، حيث تُمارس السلطة بطريقة غير مباشرة، لكنها تظل مؤثرة في توجيه السلوك وضبط التفاعلات العاطفية، مما يعكس التعقيد الديناميكي للعلاقات بين الجنسين في السياقات المعاصرة.

لم تنتج الثورة التي قامت بها الحركة النسوية تحولًا ملحوظًا في أدوار كل من الرجل والمرأة داخل علاقة الحب الرومانسي، لأن التغير، حسب وجهة نظرنا، لا يكون بتغيير القوانين فحسب، بل يستدعي ذلك تغيرًا اجتماعيًا وثقافيًا يمسّ بنية المجتمع بشكل خاص. وفي هذا الصدد، إننا لا ندعو إلى حق المساواة بين الرجل والمرأة، طالما آمنا أن الاختلاف بين الجنسين ذو لذّة خاصة وله إيجابياته على الفرد والمجتمع، خاصة بعد أن أصبح يُنظر إلى المرأة على أنها سلعة في ظل الحداثة السائدة في المجتمعات الغربية بشكل كبير. ولكننا نشير إلى أن التغيير لا يتحقق بالشعارات، وإنما يكون بتغيير الرؤى والممارسات، إذ أننا لا ننكر ما أنتجته الحركة النسوية من تغييرات في تعزيز دور المرأة ومكانتها من خلال مزاولتها للدراسة والذهاب للعمل وتحقيق الاستقلال الاقتصادي، لكنها لم تنجح في تغيير الأدوار الجندرية في علاقة الحب الرومانسي، كونها علاقة متجذّرة ترتبط بالعاطفة، التي تتحكم فيها كل من البنى التقليدية الاجتماعية وكذا المشاعر النفسية.

3ـالغزل

لا يعتبر الغزل في علم الاجتماع مجرد كلام يقال بين طرفي العلاقة، بل يشكل "إطارا اجتماعيا مبنيا لاتخاذ قرار، سواء كان هذا القرار عاطفيًا (أتراني أحبه)، أو أوليًا (هل أرغب في الزواج منه) أو الاثنين معًا" (إيلوز، إيفا، 67:2022). وعليه، وكما ذكر المبحوثون، فإن كل طرف يتغزل بالآخر، ولكن الذكر أكثر غزلا من الأنثى. وهنا يدخل دور المغازلة في التصنيف الجندري؛ إذ أن الرجل منوط بوصف المرأة ومغازلتها وذكر محاسنها. كما أصبح الغزل أكثر رواجا وإتاحة في ظل الحداثة وانتشار وسائل التكنولوجيا، وهو ما ضيّق الفارق بين الذكر والأنثى في مسألة المغازلة، إذ أصبحت المرأة تكتب الشعر والخواطر لحبيبها، كما ذكرت المبحوثة الرابعة (أنثى 20 سنة) ، لكنها أضافت أنهما لا يتغزلان كثيرًا ببعضهما نظرًا لنضج علاقتهما، أي أنهم "كبروا على هذه الأمور" كما صرحت في كلامها. وأصبحت علاقتهما أكثر عقلانية وعملية، فهما يخططان للزواج الذي يأخذ أكبر مساحة من كلامهما - الذي لا يكون يوميًا.

تذكر إيفا إيلوز أن اختفاء الغزل يشكل سمة من الممارسات الرومانسية الحديثة؛ إذ كان الغزل في المجتمعات التقليدية طريقة للتعبير أو التلميح عن المشاعر

الرومانسية يحمل في أغلبه طابعًا شعريًا، أما في العلاقات الحديثة فقد أصبح أكثر وضوحًا، وهذا ما فهمناه من مقابلاتنا مع المبحوثين، فلم يعد الغزل طريقة مهمة للتعبير عندهم - إذ لم تكن إجاباتهم معمقة ومكثفة - فقد حَلَّ محله الهاتف (بما يوفّره من مكالمات عن طريق الرصيد أو عن طريق الإنترنت). وبذلك، خففت هذه الوسيلة المادية من تبادل الكلام الرومانسي بين طرف العلاقة لأنها تتيح إمكانية التواصل بشكل يومي وفي أي وقت.

ومن وجهة نظرنا، يرتبط الغزل أيضًا بالفقد والشوق اللذان يجعلان الغزل أكثر عنفوانًا وصدقًا. وبهذا، أثّر تحوّل أشكال التعارف واللقاء والتواصل على طريقة الغزل ودرجته، كما أنّ الطقوس القديمة - وأهمها الغزل - المرتبطة بالحب الرومانسي في مسارها للتآكل.

تتجلّى مفارقات لافتة في تمثلات عينة البحث؛ فمن جهة، توصّلنا إلى أنّ ثمة عناصر تجعل من الحبّ الرومانسي حاضرًا بقوة وحقيقة وفق تصوراتهم. فالعلاقة لديهم لا يؤسّسها الجنس ولا يضمن استمراريتها، كما أنّ تعدّد العلاقات وغيرها من المؤشّرات التي طُرحت لا تقود بالضرورة إلى القول بأن الحبّ الرومانسي قد تأثّر بسمات حداثية بشكل ملحوظ. غير أنّه، في المقابل، يبدو متأثرًا بسمات حداثية أخرى، لاسيما الانتشار الواسع للتكنولوجيا والإنترنت، وما نتج عنه من تحوّلات انعكست على واقع الحبّ الرومانسي وشكله.

فالغزل التقليدي بات في طريقه إلى التآكل، لتحلّ مكانه لغة سريعة تقوم على الردّ الفوري، وتستند إلى مفردات من قاموس شبابي يحاكي إيقاع الحياة المتسارع. وفي هذا السياق، يشير الطاهر لبيب في كتابه *سوسيولوجيا الغزل العربي: الشعر العذري نموذجًا* إلى أنّ الغزل التقليدي كان مرتبطًا ببنية ثقافية واجتماعية قبلية غالبًا ما حالت دون زواج المحبّين لأسباب ثقافية، مما جعل الغزل أحد أبرز السبل للوصول إلى المحبوبة، رغم أنّ أفق الوصال معها كان في الغالب أمرًا ممنوعًا.

ومع حلول التكنولوجيا محلّ الرسائل الورقية التي كانت وسيلة للتعبير عن إعجاب الرجل أو حبّه لامرأة، أصبح الغزل – وفق وجهة نظرنا – سمة فردية لا تعبّر بالضرورة عن قيم الجماعة وثقافتها، بقدر ما تقتصر على علاقة بين شخصين يتبادلان عبارات مقتضبة حول جمالهما أو فرادتهما، عبر وسيط تقني أو حضور

فعلي محدود. من قبيل: "أنت جميلة اليوم"، "لباسك جميل"، وغيرها من التعابير الجافة التي عبّر عنها المبحوثون.

ويُنظر إلى الجمال في علاقة الحب باعتباره منطلقًا أساسيًا لها. إذ ثمّة نظرة فلسفية ترى أنّ الحب لا يكون حبًا لذاته، بل لأنّنا نحبّ هيئة المحبوب ومظهره؛ فالعين هي التي تُدرك الجمال وتُقيم الصلة بين المحبّ والمحبوب. "هذا عن حب الإنسان للجمال، أي عن الجمال كوجه يدركه الإنسان ويلتذّ به. فيعشقه ويشتاق إليه. فماذا عن جمال الإنسان نفسه، فإن الإنسان يحب الجمال، ولكنه هو نفسه جميل، أي صورة من صور الجمال المحبوب والمعشوق. وإذا كان الجمال المحسوس هو أول ما تنجذب إليه النفس وتفتتن به فإن أشد ما يجذبها في الجمال المحسوس هو جمال الجسم الإنساني. ويتجلى هذا الجمال، بصورة أخص، في المرأة. فجمال المرأة هو المعشوق الأول عند الرجل" (حرب، علي، 2009: 127).

غير أنّ هذا الجمال الطبيعي عند المرأة، ومع تسارع وتيرة التكنولوجيا، وازدياد التطبيقات التي تغيّر ملامح الوجه، وكثرة أدوات التجميل وتنوعها، إلى جانب العمليات التجميلية، أصبح ينحرف عمّا هو طبيعي. وهو ما انعكس على الغزل وجعله أكثر اصطناعًا وأبعد عن الأصالة والواقعية.

4ـخيبة الأمل

تزايدت خيبة الأمل في الحبّ الرومانسي مع تسارع الحداثة وانتشار بعض سماتها في المجتمعات العربية. وتربط إيفا إيلوز بين هذه الخيبة والخيال الناتج عن التعرّض لوسائل الإعلام. ونشير في هذا الصدد أنّ انتشار الهاتف المحمول، وما أتاحه من تعزيز مشاهدة الأفلام والمسلسلات الأجنبية – وعلى وجه الخصوص التركية – التي غالبًا ما تُجسّد قصصًا عن الحبّ الرومانسي، قد أسهم في تشكيل تمثلات المرأة للحبّ، إذ تسعى إلى محاكاة تلك القصص في واقعها من خلال بناء قصة حبّ في مخيلتها، تتعلّق بالحبّ من النظرة الأولى، والتضحية الكبيرة في مواجهة المجتمع، وجاذبية الرجل أو الفتنة الطاغية للمرأة، وغيرها من الخصائص التي يقدّمها الإعلام بوصفها سمات للحبّ الرومانسي.

وبذلك، أضحى الخيال سمة أساسية للحبّ الرومانسي، حيث: "أصبحت خيبة الأمل رفيقة تجربة الحب، تمامًا كما تمت ممارسة الخيال داخل هذا المجال وأصبحت

علاقتها بالحياة اليومية أقوى" (إيلوز، إيفا، 2020: 380). غير أنّه، ومن خلال تصريحات المبحوثين، كانت المبحوثة الرابعة (أنثى 20 سنة) الوحيدةَ التي عَبّرت عن تجربة خيبة الأمل، التي ذكرت أنّها واجهت خيبة بسبب أمر لم يكشفه الطرف الآخر، الأمر الذي أدى إلى انتهاء العلاقة ثم عودتها إلى مسارها الطبيعي، بينما أفاد باقي المبحوثين بأنّهم لم يتعرضوا لخيبة أمل.

وعلى عكس ما أشارت إليه الباحثة إيفا إيلوز، فإنّ غياب خيبة الأمل لدى المبحوثين لا يرتبط بانعدام الخيال، إذ إنّهم، كغيرهم من الشباب والمراهقين، يتعرّضون بشكل مستمر لوسائل الإعلام ولمنصة يوتيوب بوجه خاص، والتي تعرض، كما ذكرنا، الأفلام والمسلسلات التي تحكي عن قصص الحب، إذ لم يعد المحتوى الأجنبي وحده هو الذي يعرض مثل هذا المحتوى، فالمحتوى العربي والجزائري هو الآخر يعرض الآن قصص الحب الرومانسي في المسلسلات والأفلام.

وعليه، فإنّ عدم وجود خيبة أمل لدى المبحوثين يرتبط – وفق رؤيتنا – بعدم هيمنة العقلانية على الحياة اليومية؛ إذ إنّ أبرز ما أنتجته الحداثة هو العقلانية، غير أنّها لا تزال غير مفعّلة بعمق في المجتمعات العربية، التي ما زالت محكومة بقوى الدين والعرف. وبذلك، فإنّ عاطفية الأفراد تُنتج عاطفية العلاقات، مما يجعل أطرافها يتوقّعون مستقبلًا ناجحًا يتوّج بالزواج.

وعلى النقيض من المجتمعات التي عرفت تجليات الحداثة بصورة مكثفة، حيث أن: "الحياة اليومية مبنية بطريقة لا تسمح بتنشيط شكل من أشكال الوعي الذي يحافظ على شدة العواطف ويحافظ على الصورة المثالية لشخص آخر" (إيلوز، إيفا، 2020: 396)، نجد أنّ المبحوثين قدّموا رؤى وأحاديث عكست صورة مثالية عن الطرف الآخر، بوصفه شخصًا رائعًا، محبًا، مخلصا، مضحيًا، ومحمّلًا بصفات إيجابية متخيَّلة.

وعليه، فإنّ الحياة اليومية العربية تتأرجح بين العقلانية والعاطفة، فلا هي ألغت العاطفة ولا اتّسمت بالعقلانية الخالصة، مما يجعل الفرد العربي يعيش ازدواجية ثقافية. وهذا ما ينعكس أيضًا على الحبّ الذي يبقى عاطفيًا بدرجة تفوق كونه عقلانيًا، بحيث تقلّ احتمالات خيبة الأمل كلما كانت علاقة الحبّ الرومانسي قائمة على العاطفة أكثر منها على العقلانية. وتتجلّى هذه العاطفية في النظرة إلى الطرف الآخر

باعتباره شريكًا لا مثيل له، وفي قيم التضحية والإخلاص ورفض الممارسة الجنسية، وغيرها من الأفعال التي تزيد من قوة العاطفة.

5-اللايقين في رابط الحب

لقد أسهمت عولمة شروط الحياة، وسيطرة التكنولوجيا، وانتشار تطبيقات المواعدة ووسائل التواصل الاجتماعي في الحياة الاجتماعية والعلاقات، في جعل اللايقين – أي عدم الاستقرار وعدم وضوح آفاق العلاقة العاطفية – السمة الأبرز التي تميّز هذه العلاقات، إذْ أنّ "اللايقين العاطفي الذي يسود في مجالات الحب والرومانسية والجنس هو نتيجة سوسيولوجية مباشرة للطرق التي أُدمج بها سوق الاستهلاك والصناعة العلاجية وتكنولوجيا الإنترنت من خلال إيديولوجيا الاختيار الفردي الذي بات الإطار الثقافي الرئيس للحرية الشخصية" (إيلوز، إيفا، 2022: 15).

وترى إيفا إيلوز أنّه "يمكن وصف اليقين بأنه يحيل إلى قدرة شخص على الوصف والتنبؤ وتفسير السلوك في مواقف اجتماعية، وعلى العكس من ذلك، كما عرّفته موسوعة بلاكويل لعلم الاجتماع، فإن عدم اليقين هو بناء معرفي غير واضح المعالم أو غامض أو متناقض، يتسبب في إثارة مشاعر عدم اليقين" (إيلوز، إيفا، 2022: 68-69). ويشير هذا التعريف إلى أن اليقين ليس مجرد شعور عابر بالطمأنينة، بل هو قدرة معرفية تمكن الفرد من فهم الأحداث والتنبؤ بسلوك الآخرين ضمن الإطار الاجتماعي، مما يمنحه درجة من التحكم والتوجيه في علاقاته وتفاعلاته. بالمقابل، فإن عدم اليقين يشكل حالة معرفية معقدة، تتسم بالغموض والتناقض، ويترتب عليها شعور بالارتباك والانزعاج النفسي، حيث يواجه الفرد صعوبة في تفسير السلوكيات والتنبؤ بالنتائج في المواقف الاجتماعية. ومن هذا المنظور، يصبح اليقين وعدم اليقين مفهومان متلازمان لفهم طبيعة العلاقات الإنسانية، إذ يؤثران مباشرة على كيفية تعامل الأفراد مع المواقف العاطفية والاجتماعية، وعلى قدرتهم على اتخاذ قرارات مستنيرة في سياق علاقاتهم، بما في ذلك ضبط التوقعات وإدارة المخاطر النفسية والاجتماعية المرتبطة بالحب والعلاقات الرومانسية.

غير أنّه، وبالنظر إلى تصريحات المبحوثين، تبدو آفاق العلاقة واضحة للغاية؛ فقد أكّد جميع المبحوثين أنهم صادقون في علاقاتهم، معتبرين أن الزواج هو هدف هذه العلاقات الأسمى، كما يرون أنه من الطبيعي أن تكون الغاية من العلاقة الزواجُ.

وتعبّر المبحوثة الرابعة (أنثى 20 سنة) عن ذلك بقولها: "أبواب استمرار العلاقة، بمفتاحها، هو الصدق والأمانة، ومستقبل العلاقة الزواج". وقد أشار بعض المبحوثين إلى أنّ العلاقة وصلت إلى درجة من الجدية دفعتهم إلى إقامة أحاديث شبه رسمية بين العائلات، حيث يتحدث صاحب العلاقة مع والد الفتاة، أو تتناول النساء الأمر في مجالسهنّ. وهو ما دفعنا إلى طرح تساؤل جوهري حول مدى جدية العلاقة في هذه السنّ المبكرة (حيث يتراوح سنّ المبحوثين بين 18 و28 سنة).

لقد سعينا عمدًا إلى البحث عن مبحوثين يعيشون علاقات حبّ صادقة، وليست مجرد علاقات عاطفية عابرة، غير أنّنا لم نتوقع هذا القدر من الجدية. فبالنظر إلى معطيات الحداثة، يُفترض أن يتّسم مستقبل العلاقة بالضبابية وعدم الجدية. بل إنّ إيفا إيلوز ترى أنّ السوسيولوجيا اليوم تحاول دراسة صنف جديد من المواضيع، أهمها غياب اليقين (إيلوز، إيفا، 2022: 49).

ومع ذلك، قد لا ينطبق هذا التصوّر على مجتمع بحثنا؛ فالشاب العربي يختلف عن نظيره الغربي في مسائل عديدة، وبرغم كونية العالم وعولمته، فلا يمكن تجاهل هذه الاختلافات التي تظهر بوضوح من خلال ملاحظتنا ليوميات هؤلاء الشباب. إذ أنّ حياتهم ترتبط بالمستقبل أكثر من الحاضر؛ (فنجد كثيرًا منهم مثلا يفتقر إلى وظيفة مستقرة، أو متوقفًا عن الدراسة، ومع ذلك يحلم بمستقبل أفضل).إنّ هذه الرؤية المستقبلية هي ما تجعل الشباب في مجتمعنا يأملون في مستقبل واعد للعلاقة التي تنتهي بالزواج، حتى وإن كان حاضرهم مثقلاً بالمتاعب والخلافات والأزمات بين الطرفين.

وتقسّم إيفا إيلوز اليقين إلى:

- **اليقين المعياري / اليقين الوجودي:** الذي يندرج في إطار الإجابة على أسئلة جوهرية مثل: من أنا؟ ومن هو الآخر بالنسبة لي في هذا الموقف؟ فاليقين المعياري يرتبط بالمعايير الاجتماعية، كمسألة تقسيم الأدوار الجندرية التي أخذت في التراجع مع صعود الحداثة، في حين يتصل اليقين الوجودي بالإجابة على أسئلة تخصّ وجود الفرد داخل العلاقة وفاعليته فيها.
- **اليقين الأنطولوجي:** والذي يتجلى في أنّ "المشاعر تنتظم في الإطار الملموس المادي لتبادل الهدايا، تكتسب المشاعر موضوعية أنطولوجية من واقع أن العلاقة

تُرجمت إلى أشياء، ما يجعل المشاعر ملموسة وموضوعية خارج الذات" (إيلوز، إيفا، 2022: 74). أي أنّ العلاقة لا تبقى محصورة في نطاق المشاعر الداخلية، بل تُترجم إلى أفعال وممارسات وتجليات مادية.

- **اليقين التقييمي**: الذي يُعرَّف على أنّه: "القدرة على جمع معلومات موثوقة أو معروفة، وكيفية تقييمها تبعًا لمعايير ومقاييس تقييم معمول بها" (إيلوز، إيفا، 2022: 75). وقد كان هذا النوع من اليقين قائمًا قبل المجتمعات الحديثة، حين كان الشركاء ينتمون إلى شبكة اجتماعية متقاربة ويعرفون بعضهم البعض جيدًا، بخلاف الوضع الراهن حيث تفرض الفردانية والخصوصية نفسها على العلاقات.
- **اليقين الإجرائي**: يتمثل في أنّ "الفاعلين يتصرفون كما لو أنهم يعرفون طبيعة وحدة عواطفهم، وأن بوسعهم أن يتيقنوا بسهولة من عواطف الآخرين" (إيلوز، إيفا، 2022: 79). وهنا يكون عنصر الثقة حاضرًا بنسبة كبيرة، والذي يتجسّد في معرفة الفرد بنفسه وكيفية تصرفه، وكذلك إدراكه لطرق تصرف الآخرين.

غير أنّ هذه الأنواع من اليقين تبدو غائبة إلى حد كبير مع الحداثة، إلا أنّه – كما أشرنا من خلال المبحوثين – يمكن القول إنّ هناك يقينًا قائمًا في العلاقات العاطفية، أساسه الحاضر والمستقبل معًا، ويتجلى في طريقة عيش الشاب العربي وتفكيره. ويرتبط هذا اليقين ارتباطًا وثيقًا بالمستقبل، وهو ما ينعكس بدوره على الحاضر. وقد لاحظنا ذلك في محاولات المبحوثين العشرة للقيام بأفعال ترمي إلى إنجاح العلاقة، كالتضحيات، وتفهّم الآخر، وتقديم التنازلات، إضافة إلى توافر العامل المادي، مثل المال والهدايا... إلخ. وهو ما يجعلنا نربط ذلك باليقين الأنطولوجي، حيث تُشكّل الممارسات والتجليات الملموسة سمة أساسية في هذه العلاقات.

وإلى جانب ذلك، لمسنا بعدًا معياريًا في علاقات المبحوثين وفي ملاحظاتنا لعلاقات أخرى، إذ إنّ الشاب العربي – رجلًا كان أو امرأة – يرتبط بالآخر وفق ما هو متعارف عليه اجتماعيًا، مثل اعتبارات الطبقة، والنسب، والالتزام الديني أو الاجتماعي، وغيرها من المعايير التي تُؤخذ في الحسبان عند التفكير في الزواج. فعلى سبيل المثال، صرّح المبحوث السابع (ذكر 18 سنة) – كما أشرنا سابقًا – أنّه استشار صديقته ليتأكد من مدى جديتها. وفي المقابل، فإنّ عدم استشارة المبحوثين لأفراد آخرين عند الدخول في العلاقة – كما أوضحنا – يكشف عن حضور الفردانية في هذه العلاقات، وهو ما يجعل هذا اليقين نسبيًا.

يثير ذلك تساؤلا محوريا حول مستقبل اليقين في علاقات الحب داخل المجتمعات العربية: هل سيشهد هذا اليقين تلاشيًا وتآكلًا، كما تشير بعض المؤشرات – مثل كثرة العلاقات العاطفية غير المبنية على الحب، أو تلك التي وإن تأسست على الحب لا يكون هدفها الزواج، حيث يُعبّر بعض الرجال عن قناعة مفادها أنّ "الحب شيء، والزواج شيء آخر"؟ أم أنّ هذا اليقين سيستمر، استنادًا إلى مؤشرات أخرى، ولعلّ واقع المبحوثين يشكّل الدليل الأوضح على ذلك؟

ثانيا، السلطة في سياق رابط الحب

1- سلطة الدين

يُعدّ الدين مفهومًا متشابكًا ومعقدًا، ذلك أنّ السلوك الديني – وهو ما يهمّنا كباحثين في مجال علم الاجتماع – يرتبط بالظاهرة الدينية في كلّيتها، وهي ظاهرة ينبغي ملاحظتها ودراستها بعمق، خصوصًا في المجتمعات المتديّنة والإسلامية على وجه التحديد، باعتبار أنّ الدين الإسلامي مرتبط بدرجة وثيقة بالنظام الاجتماعي، كما أنّه حافل بالقيم والتجارب والقواعد الإنسانية التي تحدد بـ:

أ. علاقة العبد بربه.
ب. علاقة الحاكم بالمحكوم.
ت. علاقة جماعة المسلمين بالجماعات الإنسانية الأخرى.
ث. الأسلوب الإسلامي في القضايا الاجتماعية.
ج.المنهج الإسلامي في نظام الأسرة والمعاملات والحدود.
ح.تكامل النظام الإسلامي وائتلافه مع الحاجات الإنسانية.

وما يهمّنا في هذا البحث هو البند الرابع والخامس، إذ سنسعى إلى مقاربة البعد الديني من خلال فهم تصورات المبحوثين الدينية لمسألة الحب الرومانسي والعلاقات العاطفية، مستندين في ذلك إلى موقف القرآن الكريم، وإلى الوازع الديني والأخلاقي.

وبالاستناد إلى ما كُتب حول مفهوم الدين، فإنّ هذا المفهوم يُقارب من الناحية اللغوية مفهوم الطاعة والعبادة، وقد سُمّي الدين بهذا الاسم لأنّ الجزاء يُنتظر منه. ولا يقف الاختلاف عند حدود تعريف الدين، بل يمتد إلى ماهيته ووظيفته. وهنا تبرز اختلافات في رؤى الباحثين؛ إذ يرى العديد منهم أنّ الظاهرة الدينية ظاهرة كونية،

اشتركت فيها جميع الحضارات والثقافات والأفراد، الأمر الذي يجعل التدين سلوكًا فطريًا، فرديًا وجماعيًا في الوقت ذاته.

أما بالنسبة إلى إميل دوركايم، فقد ارتبط الدين عنده بثنائية المقدس والمدنّس، حيث يمثّل المقدس مجموعة الرموز والممارسات التي تُعطي معنى وتوجه السلوك الجماعي، في حين يُشير المدنّس إلى كل ما هو دنيوي وعادي. وحدّد دوركايم وظائف الدين في كونه يخلق نوعًا من التضامن الاجتماعي بين أفراد الجماعة، ويعمل كوسيلة لفهم العالم وتنظيم التجربة الإنسانية ضمن إطار جماعي مشترك. ومن هذا المنطلق، تتشكل الهوية الدينية للفرد التي تُسهم بشكل مباشر أو غير مباشر في تكوين هويته الاجتماعية، إذ يمنح الانتماء إلى دين الجماعة الفرد شعورًا بالانتماء والارتباط بمجموعة أكبر، مما يوفر له مرجعية أخلاقية ومعيارية لتفسير الأحداث وضبط السلوكيات. وبذلك، يصبح الدين ليس مجرد معتقد شخصي، بل آلية لإنتاج الهويات الاجتماعية وتنظيم التفاعلات داخل المجتمع، حيث تؤثر الممارسات والرموز الدينية على العلاقات الفردية والجماعية، وتعكس الروابط بين الانتماء الديني والهوية الاجتماعية بشكل متشابك ومتبادل.

وفي هذا السياق، طوّرت الباحثة رحمة بورقية تعريفًا شاملاً لمفهوم الدين يتضمن الخصائص التالية:

أ- "الإيمان بحقائق ثابتة كوجود الله والآخرة والأرواح، سواء تعلّق الأمر بالإسلام أو المسيحية أو الديانات السماوية الأخرى، أو حتى بالديانات غير السماوية وبالأشكال الأولية للتدين.

ب ـ وجود طقوس دينية يتم عبرها التعبير عن عبادة الله في كل الديانات، وقد يتفرع دين معيّن إلى مذاهب لها طقوس خاصة، كما هو الحال بالنسبة للحضرة والذكر

ج ـ وجود الكتب المقدسة في كل الديانات السماوية.

د- وجود تجربة تاريخية تجمع الذين يؤمنون بنفس الدين وتشكل إطارًا للانتماء.

هـ ـ تضع كل الأديان، بما فيها غير السماوية، تمييزًا بين الحلال والحرام، والمباح وغير المباح.

و ـ إنتاج مؤسسات لتأطير التدين وتدبير الشأن الديني، في شكل هيئة علماء وجوامع وزوايا، أو كنائس ورهبان" (بورقية، رحمة، 2016: 309-310).

ويُضفي كل مجتمع على هذه الخصائص سماته ومميزاته الخاصة، والتي تتجسّد في التمثلات والممارسات اليومية. وهذا ما يعنينا في هذا البحث تحديدًا، أي الكيفية التي ينظر بها الأفراد المبحوثون إلى الحب الرومانسي والعلاقات العاطفية من منظور ديني، وكيف يترجمون هذه الرؤية على مستوى الممارسة والسلوك. وهنا قد يجرّنا الحديث إلى موضوع التدين بوصفه مفهومًا محوريًا في السوسيولوجيا بوجه عام. "فمن خلال الاشتغال على دلالة مفهوم التدين، أمكننا أن نستخلص أنّ التدين هو الكيفية التي يعيش بها الأفراد والجماعات تجربتهم الدينية، وذلك بالتفاهم مع أشكال الفهم والاستيعاب والتطبيق والتمثل للمكونات الأساسية في الدين. وقد سبق للعالم السوسيولوجي جورج زيمل أن ميّز بين الدين والتديّن، حيث يمثّل الدين الدافع الحيوي، بينما يجسّد التدين الشكل الاجتماعي الذي يسعى إلى الاستحواذ والسيطرة على الأول" (جرموني، رشيد، 2018: 31).

فالتدين هو الكيفية التي يفهم بها الأفراد الدين ويمارسونه ويعيشونه كتجربة شخصية خاصة، من خلال أربعة عناصر أساسية هي: فهم النصوص الدينية، استيعاب النص الديني، تطبيقه في سلوك الفرد، ثم علاقة التمثلات بالقيم الدينية من خلال السلوك أو غيابه. ويُعدّ الدين الإسلامي أحد المصادر المحورية في البنية الاجتماعية والثقافية للمجتمعات العربية، حيث ينعكس تأثيره على مختلف تفاصيل الحياة اليومية للأفراد، بدءًا من العلاقات الاجتماعية كالجوار والزواج والخلع والميراث، وصولًا إلى الأعراف والعادات والتقاليد، بل وحتى في أنماط الحياة مثل النوم والأكل والصوم وغيرها من الممارسات اليومية.

وفي إطار تناول الإسلام كمنظومة دينية أخلاقية، وعلاقته بالحداثة بوصفها مشروعًا غربيًا في بداياته، يفرض ذلك التطرقَ إلى عدة محاور أساسية من أهمها: وظيفيًا، إذْ ربط إميل دوركايم الدين بوظيفة تحقيق التلاحم والتضامن الاجتماعي، بينما ركز ماكس فيبر على العلاقة بين الدين من جهة، والنظامين الاقتصادي والسياسي من جهة أخرى. أما بيار بورديو فقد اعتبر أن الحقل الديني مستقل نسبيًا، يضمّ فاعلين أساسيين مثل علماء الدين، الدولة، والأفراد الذين يمتلكون "الرأسمال

الديني" أي المعرفة بالنصوص الدينية ومعانيها المتعددة. ويُنظر إلى الحقل الديني في هذا السياق بوصفه حقلًا ديناميكيًا يتأثّر بالمجالات الاجتماعية الأخرى ويؤثر فيها.

أما الحداثة، بما تنطوي عليه من مفاهيم كفصل الدين عن الدولة، والعقلانية، والفردانية، فقد أسهمت في إعادة تشكيل المجال الديني داخل المجتمعات العربية. ورغم أن الفصل التام بين الدين والدولة لم يتحقق بعد، إلا أن نوعًا من التلاقي ظهر بين المرجعيات الدينية التقليدية والحديثة، تجسّد في تراجع سلطة الفقهاء التقليديين لصالح وزارات الأوقاف، وبروز فاعلين جدد مثل الدعاة عبر الإنترنت، إضافة إلى نشوء نمط جديد من التدين يُعرف بـ "التدين الانتقائي"، حيث يقوم الفرد بانتقاء ما يتناسب مع مصالحه من التفاسير والفتاوى، ويرفض ما لا يخدمه.

وقد طرأ تحوّل واضح على أنماط التدين في المجتمعات المعاصرة، حيث أصبحت العلاقة بين الواجب الديني والمعيش اليومي أكثر مرونة، ولم يعد الدين يُمارس بالضرورة في إطار جماعي صارم كما كان عليه الحال في الماضي. وقد انعكس هذا التحول على طبيعة التجارب والطقوس الدينية، التي باتت تتسم بنوع من الفردية والخصوصية، إذ يمارسها الأفراد وفق ما يتناسب مع حياتهم اليومية وتجاربهم الشخصية. كما لم تعد الفتوى التقليدية المرجع الوحيد في اتخاذ القرارات اليومية، إذ ظهرت مصادر جديدة للفتوى عبر الإنترنت، مما منح الفرد حرية اختيار ما يلائمه من التوجيهات الدينية بما يتناسب مع احتياجاته وظروفه. ويشير هذا التحوّل إلى إعادة تعريف العلاقة بين الفرد والدين، حيث يصبح الالتزام الديني أكثر انعكاسًا للوعي الشخصي والتقدير الفردي، ويعكس قدرة الأفراد على التفاوض مع الموروث الديني والتكيف مع التحولات الاجتماعية والثقافية، بما يضمن استمرار الدين كمرجعية معنوية وأخلاقية، لكنه في نفس الوقت يخضع لتفسيرات فردية متغيرة حسب السياق الزمني والاجتماعي.

وفي مقابل ذلك، ازدادت الفجوة بين الدين الرسمي والممارسة الواقعية، خاصة فيما يتعلق بالحياة العاطفية؛ فبينما يحرّمها الدين، نجد أن الشباب يمارسونها في حياتهم اليومية. وهذا يوضّح أن الأفراد لا يتخلّون عن الدين، بل يتعاملون معه بمرونة، وهو ما ظهر في تصريحات المبحوثين من عينة الدراسة بعبارة "الله غالب"،

التي تكشف عن وعيهم بالحكم الديني المتعلق بالعلاقات العاطفية، مع عجزهم عن الالتزام الكامل به.

وقد ساهمت وسائل التواصل الاجتماعي في كسر احتكار المؤسسات الدينية للفتوى، مما أتاح بروز ما يُعرف بـ "الدين الرقمي"، حيث بات بإمكان أي فرد الاطلاع على المعلومات الدينية والفتاوى والقصص المرتبطة بالدين بسهولة. وأسهمت هذه التحولات في تراجع سلطة الدين التقليدي على مستوى البنية والتأثير، خاصة مع صعود قيم الحداثة مثل العقلانية، الفردانية، والتكنولوجيا. ومن بين الأسباب المؤثرة أيضًا انتشار التعليم بين الأفراد، الأمر الذي دفعهم إلى محاولة فهم الدين بأنفسهم، دون الحاجة دائمًا إلى وسيط ممثل في الفقيه أو المفتي. وقد تسبّب الأزمات الاقتصادية، كارتفاع معدلات البطالة، وانتشار ظاهرة الهجرة غير الشرعية، إلى جانب اضطراب الأوضاع السياسية في البلدان العربية، في فقدان الشعوب للثقة في الخطاب الديني، لعدم قدرته على تقديم حلول عملية ونافعة.

1-1-القرآن

يُعتبر النص القرآني من أبرز عناصر الدين، إذ يمثل مصدرًا رئيسيًا لتوجيه الفرد المسلم في حياته، حيث تناول موضوعات متنوعة، كالمجتمع، والسياسة، والمرأة، والأسرة، والزكاة، وغيرها من النظم والعلاقات الاجتماعية. ويُعد القرآن الوسيلة الأساسية التي يتعرّف من خلالها المسلم على دينه، إذ لا يُختزل في قوالب جامدة تعجز عن مواكبة الحياة البشرية، بل ينطوي على أبعاد اجتماعية وإنسانية خالصة، "هو يعالج النفس المفردة ويعالج الجماعة المتشابكة بالقوانين الملائمة للفطرة المتغلغلة في وشائجها ودروبها ومنحنياتها الكثيرة، يعالجها علاجًا متكاملًا، متناسق الخطوات في كل جانب، في الوقت الواحد، فلا يغيب عن حسابه احتمال من الاحتمالات الكبيرة ولا ملابسة من الملابسات المتعارضة في حياة الفرد وحياة الجماعة. لأن مشرّع هذه القوانين هو العليم بالفطرة في كل أحوالها وملابساتها المتشابكة." (درنيقة، محمد، أحمد، 1991: 07).

فالنص القرآني يُعد نصًا متكاملًا يعالج قضية الإنسان في أبعادها المختلفة، ويقدّم نموذجًا شاملًا للحياة الدنيا والآخرة، لأن واضع هذا النموذج هو الله سبحانه وتعالى. والمجتمع المسلم يقدّس القرآن الكريم ويرى فيه المصدر الأول في الشريعة، ويقرأه

بعضهم مع محاولة تطبيق ما جاء فيه. إذ تكمن الغاية من قراءة القرآن الكريم في التدبر والعمل بأحكامه، وليس مجرد قراءته قراءة سطحية.

لكن، ومن خلال مساءلتنا لعينة البحث، يتضح وعيهم برأي القرآن في الحب الرومانسي والعلاقة العاطفية خارج إطار الزواج، حيث يعتبرها محرّمة حسب تصريحاتهم. فالمبحوثة الخامسة (أنثى 26 سنة) تقول: "حتى لو توقظينه يصلي الفجر وحرام، يؤسفني وضعي من ناحية ربي". ويبيّن هذا الكلام إدراك المبحوثة بالفعل الحرام الذي تقوم به، كما يعكس شعورها بالأسف تجاه علاقتها مع الله التي تراها غير متينة حسب وجهة نظرها.

أما المبحوثة الثالثة (أنثى 20 سنة) فتستند إلى الآية "ولا تواعدوهنّ سرًا"، وتضيف قائلة: "نحن في علاقة هكذا وفقط، قلت له مكتوب ربي". ويستند المبحوث الثامن (ذكر 20 سنة) إلى نفس الآية ويضيف: "أكيد هي علاقة غير شرعية حرام، لكن الله غالب". تشير عبارة "الله غالب" إلى عدم القدرة على الالتزام بالنص الشرعي فيما يخص العلاقات العاطفية.

عبّر المبحوثون عن هذا التناقض بطرق متنوعة؛ إذ يصرّح المبحوث السابع (ذكر 18 سنة) على سبيل المثال قائلا: "حرام، ولكن نحاول ألا نقع في الحرام"، موضحًا أن الأشد حرامًا بالنسبة له هو العلاقة الجنسية، كما أشرنا في الفصل السابق.

وتحمل عبارة "الله غالب" أبعادًا سوسيولوجية مهمة؛ فهي أولًا تدل على اعتراف الفرد بخطئه وذنبه، وفي الوقت نفسه تعكس عجزه عن مقاومة ذلك الخطأ والذنب. فالخطاب الديني هنا يعمل كوسيلة لتخفيف وطأة الذنب على صاحبه، وتقديم مبرّر لعدم القدرة على مقاومة السلوك.

أما المبحوث العاشر(ذكر 28 سنة) فيصرح: "موقف القرآن أكيد حرام حتى الحب وحرام، لأنه الحب حلال في الحلال، لأنه عندما تحب واحدة في علاقة سرية لا يتقبلها لا الله ولا العبد، لهذا الإنسان لو يجد طريقة يترك الحب بعد الزواج"، ويضيف: "الإنسان مبتلى بالشهوات، والحب أعمى ولقد أصبت بالعمى". ويظهر هذا التصريح قوة العاطفة وقدرتها على التفوق على الشعور الديني، مما يؤدي إلى تشكّل صراع قيمي بين ما يجب القيام به وما يحدث فعلاً.

ويعود هذا الصراع القيمي عند الشباب، وبشكل خاص عند المبحوثين، إلى أسباب عدة، أبرزها عجز الخطاب الديني المؤسساتي عن الوصول إلى عقول الشباب، خاصة في ظل التحوّلات التكنولوجية السريعة وتأثيرها على القيم والمعتقدات لدى الشباب والمراهقين، إذ تجعلهم يتعاملون مع العالم الخارجي بطرق جديدة ومختلفة، وهو ما يؤدي إلى بروز قيم جديدة.

كما تنتظم القيم وفق نسق قيمي، أي "وضع الأشياء بعضها مع بعض في شكل منظم ومنسق، ولما كانت القيم تقتضي الاختيار والتفضيل فإن ذلك يقضي وضع القيم في مراتب بعضها أعلى من بعض، فالقيم تترتب هرمياً لهيمنة بعض القيم على بعض، وقد انبثقت فكرة النسق القيمي من تصور مؤداه أنه لا يمكن دراسة قيمة معينة أو فهمها بمعزل عن القيم الأخرى، فهناك نسق هرمي أو سلّم تنتظم به القيم مرتبة حسب أهميتها بالنسبة للفرد أو للجمع، وأنه مادام الناس يحكون على الأشياء أو الأفكار ويقبلونها أو يرفضونها فهم يستجيبون للنسق القيمي" (موساوي، سكندري، بوعطيط، سفيان، 2023: 140).

وما لاحظناه في مجتمع البحث فيما يتعلق بالقيم الدينية أو الدنيوية، خاصة تحريم الحب أو الدخول في علاقة عاطفية، هو أن الأفراد ينخرطون في علاقات عاطفية رغم وعيهم بالقيمة الدينية وأثرها. ويُشكّل هذا ما يمكن وصفه بـ "التمزق القيمي" لدى الشباب، وأحد أهم أسبابه هو الحداثة التكنولوجية التي سهّلت، كما أشرنا سابقًا، علاقات التعارف بين الرجل والمرأة، ودخولهم في علاقات عاطفية، سواء كانت مبنية على الحب أم لا.

ويعيش الشباب من هذا المنطلق حالة عدم توازن في النسق القيمي نتيجة التعارض مع القيم الاجتماعية السائدة، والتي خلّفتها الحداثة التكنولوجية بشكل خاص. ويحدث الصراع القيمي أيضًا عندما لا يتوافق ما يعتقده الفرد مع ما يتبناه من آراء تجاه موضوع معين، وسلوكه الفعلي تجاه هذا الموضوع. ويتجلى هذا التناقض في تصريحات المبحوثين، ويزداد حدّة عند المرأة التي تتبنى آراء تجاه شرفها اكتسبتها سواء من التنشئة الاجتماعية أو من مصادر أخرى.

فباعتبار أن المرأة في هذا السياق تتبنى آراء حول الحفاظ على شرفها وعدم هدم ثقة والديها بها، وبين ما تعيشه من قصة حب وعلاقة غرامية مع رجل غريب

عنها شرعًا، فإن ذلك يزيد من حدة الصراع لديها، وهو ما عبّرت عنه المبحوثة الخامسة (أنثى 26 سنة) بقولها: "يؤسفني وضعي من ناحية ربي". وبما أن دراستنا اعتمدت على نظرية الجندر، نؤكد أن الدين الإسلامي لم يميز بين المرأة والرجل في الأحكام أو الثواب والعقاب، كما يتضح من قوله تعالى: "إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات والصادقين والصادقات والصابرين والصابرات والخاشعين والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات والصائمين والصائمات والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيرا والذاكرات أعدّ الله لهم مغفرة وأجرا عظيما" (سورة الأحزاب: 35).

1-2-الوازع الديني والأخلاقي

لا تحظى النظم الأخلاقية، رغم أهميتهاعادة بالحراسة الكافية من العقل أو القانون أو الرأي العام، ومن هنا جاء الدين كدعامة للشؤون الخلقية، لأنه يعمل كرقابة للذات على نفسها، ويضفي على النظام الخلقي صفة القدسية، ويجعله فوق متناول الشك العاقل، ويخلق في نفس كل فرد وازعًا داخليًا – غير الضمير – يسيطر على كل خفقة من خلجات فكره، ويجعله يستشعر الخوف من خالقه .وقد عبّرالمبحوثون عن تأثير الوازع الديني والأخلاقي على علاقاتهم العاطفية. المبحوث السابع عن هذا التأثير بقوله: "يمنعني، نحن في بلاد زمن المعاصي بكثرة"، بينما أشارت المبحوثة الخامسة (أنثى 26 سنة) إلى ذلك بقولها: "حرام، هذا ما يسبب لي تأنيب الضمير بسبب أنني أغضب الله، أخاف أن تنقطع العلاقة، أقطع معه وأرجع له بسبب الشوق."

ويُفترض أن يكون الوازع الديني عاملاً أساسيًا في توجيه السلوك، وهذا ما تجلّى لدى خمسة من المبحوثين، إذ اعتبروا الدين مرجعًا لسلوكياتهم في عدم القيام بعلاقة جنسية أو محاولة التقليل من المكالمات. وأشارت المبحوثة الرابعة (أنثى 20 سنة) قائلة: "نعم، يؤثر عليّ الوازع الديني، في كثير من الأحيان أقول حرام، ربما أتوقف، أحسّ بتأنيب الضمير وأقول له: يا ليت ننقص من المكالمات الهاتفية". ويُمثل شعور تأنيب الضمير حالة من عدم الرضا عن الوضع الذي تعيشه هاتان المبحوثتان، ويزداد وضوحًا عند المرأة مقارنة بالرجل.

ورغم وضوح النصوص الدينية والفتاوى، ومعرفة المبحوثين بتحريم النص الديني، إلا أنهم يدخلون في علاقة عاطفية. وهنا يثار التساؤل حول مدى فعالية

الوازع الديني في توجيه سلوك المبحوثين. ويمكن تفسير ذلك بانتقاء الشباب من الدين ما يخدم مصالحهم، إذ قد نجد منهم من يؤدي الصلاة والصدقة ويقرأ القرآن، ولكنه في الوقت نفسه يدخل في علاقة عاطفية محرّمة. وهذا لا يعني بالضرورة النفاق، بقدر ما يعكس، وفق وجهة نظرنا، تأثير الحداثة على قيم ومعتقدات الشباب.

لم تتشكل الحداثة من داخل البنية الاجتماعية للمجتمعات العربية، وإنما فُرضت عليها من خلال الهجرة ووسائل التواصل والإعلام، مما أدى إلى امتلاك المجتمعات العربية لمرجعيتين: الأولى تراثية تقليدية دينية، والثانية حداثية. وقد انعكس هذا على الشباب العربي، فأصبحوا "تائهين" بين هاتين المرجعيتين، يؤدّون بعض الواجبات والفروض الدينية ويتخلّون عن البعض الآخر بذريعة التقدّم أو الحرية الشخصية، وهو ما ينعكس بشكل واضح على مسألة الدخول في علاقة عاطفية قبل الزواج.

يرجع ذلك أيضًا إلى وسائل الإعلام، التي تعرض قصص الحب الرومانسية كنموذج مثالي لتكوين العلاقة بين الرجل والمرأة، وهو ما يجعل مخيّلة الشباب تعمل على تشكيل هذه الصورة النموذجية وتوجيه سلوكياتهم. كما أن تراجع دور المؤسسات الدينية والتعليمية في توجيه سلوك الشباب، وضعف الخطاب الديني الذي لا يصل إلى الشباب ولا يقدّم إجابات عن الحياة العاطفية أو قصصًا دينية أسهم في تراجع سلطة الوازع الديني، لأنه يتأثّر بهذه العوامل والوقائع المستجد. وحسب تصور الشباب، فإن العلاقة العاطفية التي تحافظ على بعض المعايير، كعدم ممارسة الجنس أو التقليل من استخدام الهاتف النقال، قد لا تتعارض مع الدين الإسلامي. وبهذا يخضع الوازع الديني للمعايير الشخصية والتأويلية، وليس للدين المطلق.

لقد أعادت الحداثة تشكيل تمثلات الشباب وسلوكياتهم، فلم يعد الدين الموجه الوحيد لهم، بل يسعى الشباب للجمع بين مرجعيات متعددة: دينية، عقلانية، شخصية، وحتى علمانية. وتحولت الفردانية إلى عامل موجه للسلوك، ويتضح ذلك في خطاباتهم، خاصة في تصريحاتهم التي تقول: "حرام، لكن الله غالب"، وكأنهم بهذا المعنى ينفون عن أنفسهم الالتزام الحتمي بالنص الديني لأسباب خارجة عن نطاق سيطرتهم.

2- سلطة الأسرة

كانت الأسرة والأصدقاء في الماضييحتلون مكانة مهمة عند اتخاذ قرار الزواج، حيث شغلت سلطة الأسرة دورًا أساسيًا في تقوية الروابط الاجتماعية. أما اليوم، ومن خلال ما صرّح به المبحوثون، فإن أسرهم على علم بعلاقاتهم العاطفية؛ ففي الماضي لم تكن الأسرة تقبل بالعلنية لمثل هذه العلاقات التي كانت نادرة، أما اليوم، فالأبوين يعرفان بها. ومع الحداثة تغيّرت منظومة القيم تدريجيًا، وظهرت بنية جديدة للعلاقات داخل الأسرة، إذ منحت الفردانية الشباب مساحة أكبر للتعبير عن أنفسهم وفرض شخصياتهم، ولم تعد الأسرة المصدر الوحيد للموافقة على الروابط بين الجنسين. وفي المقابل، أصبحت الأسرة تعلم بهذه الروابط وتوافق عليها، خاصة من طرف الأمهات، كما أشار المبحوثون.

يضطلع تأثير الإعلام والتكنولوجيابدور في هذا التحول، إذ أصبحت العلاقات العاطفية منتشرة ومعلنة، وليست مستترة، مما سهّل معرفة الأسرة والأصدقاء بها وقبولهم لها، كما صرح المبحوثون. ويعد هذا مؤشرًا قويًا على التحوّل في بنية الجماعة وطبيعة العلاقات الاجتماعية تحت تأثيرات الحداثة. فالاعتراف بالعلاقات العاطفية وقبولها من الأسرة والأصدقاء دليل على هذا التحوّل الملحوظ، إذ كانت هذه العلاقات غالبًا مرتبطة بالرفض أو الوصم الاجتماعي، خاصة للمرأة. ووفقًا لتصريحات المبحوثات، فإن أمهاتهن على علم بهذه العلاقة.

يرتبط ذلك أيضا بالوسط البيئي؛ فالمدينة، التي تُعدّ مكان انتماء المبحوثين، تعتبر أكثر انفتاحًا مقارنة بالمناطق الريفية والمغلقة، حيث تتسارع فيها الحياة وتختلف العلاقات الاجتماعية عن الأماكن الريفية التي تفرض رقابة اجتماعية ترتبط بالعرف والعادات والتقاليد. بينما تتميز العلاقات في المدينة بضعف المراقبة الاجتماعية، ويصبح الفرد أكثر استقلالية وحرية في اتخاذ قراراته وعلاقاته. كما اعتُبرت الجامعة، بوصفها من أهم الأماكن الحضرية، مكانًا لتلاقي المبحوثين، حيث تُعيد إنتاج هذا الشكل من العلاقات الحداثية.

3-العادات والتقاليد والأعراف

تؤثر العادات والتقاليد والأعراف على الأفراد وتحدد السلوك المقبول والمرفوض، حيث "تشكل نوعًا من الممارسات والنشاطات ذات الطابع الاجتماعي

والثقافي التي تنتظم في السياق اليومي، والذي يشرح كيف تمارس الجماعة عاداتها وتقاليدها، وكيف ينظر هؤلاء إلى هذه الممارسات. وهنا نشير إلى مسألة (الخصوصية والانتماء)، بحيث إن العادات والتقاليد تُعبّر عن الخصوصية الثقافية التي تميّز جماعة دون غيرها، ومجتمعًا دون الآخر" (شيخ علي، زيادة هاجر، 2020: 36). كما تؤثر هذه العادات على جميع مجالات الحياة في المجتمعات العربية والمسلمة بشكل خاص، حيث تتقاطع مع الدين ليصبح لهما تأثير مزدوج على سلوك الفرد. وفي مجال العلاقات العاطفية، نلاحظ لدى المبحوثين توترًا بين الامتثال للعادات والتقاليد والأعراف ورفضها، إذ تُعد العلاقات العاطفية ميدانًا لتلاقي الجانب الشخصي للفرد مع المرجعيات الدينية والاجتماعية، مما يزيد من حدة التوتر وقد يتحول إلى صراع داخلي لدى الفرد وروح المجتمع.

صرّح المبحوثون العشرة بأنهم لا يعترفون بالعادات والتقاليد والأعراف ولا يولونها اهتمامًا، وهو ما دفعهم إلى الدخول في علاقات عاطفية دون الالتفات إلى نظرة الآخرين. ومع ذلك، أشار جميعهم إلى أنهم لا يستطيعون الالتقاء بالطرف الآخر في أماكن عامة خارج الجامعة أو مكان العمل. ويقول المبحوث الثامن (ذكر 20 سنة) : "العادات والتقاليد والأعراف يمنعونني، لا أحب أن أجلب لها الكلام". هنا، يُعتبر الخوف من الوصم ومن أحاديث الناس أهم عائق يحول دون اللقاءات في الأماكن العامة. أما المبحوثة الأولى فتقول: "تمنعني العادات والتقاليد لكي ألتقي به، شرف المرأة 'سكوت' يمنعها لكي تلتقي معه في الشارع، عندنا، حتى لو يخطبك لا يجب أن تخرجي معه". وهنا يظهر تمسّك واضح بالعادات والتقاليد والأعراف، غير أن المبحوثين صرّحوا بعدم اهتمامهم بها في الوقت نفسه.

تبقى مسألة الارتباط العاطفي، رغم كونها حالة فردية وشخصية، مرتبطة بنظرة الجماعة وآرائهم ورقابتهم، خاصة على المرأة، فهي لا تستطيع، كما صرحت المبحوثات، أن تمسك يد الطرف الآخر أمام العلن خوفًا من الوصم وكلام الناس. وهنا تتجاوز العلاقة حدود المسموح والمفترض اجتماعيًا؛ فالمجتمع يفترض عدم إقامة العلاقة أصلًا، فما بالك بالخروج العلني وإمساك اليد أو القيام بتصرفات أخرى محرّمة – حسب رأي المبحوثين.

أصبح الشباب، مع ظهور الحداثة والتغير الاجتماعي والثقافي الذي مسّ المجتمعات العربية، وانتشار فكرة الحرية الشخصية والفردانية، يفكّرون بطريقة مختلفة، خاصة في الأمور المتعلّقة بحياتهم ومستقبلهم. فقد أعلنوا أنهم لا يهتمون بما تفرضه العادات والتقاليد، ومع ذلك فإنهم لا يقومون بأفعال يرفضها المجتمع، بل يظهرون عدم التقبل ويخفون انصياعهم للعادات والتقاليد والأعراف، وفقًا لما صرح به المبحوثون.

ونفترض هنا أنهم إما في حالة صراع أو تفاوض بين ما هو حداثي وما هو اجتماعي. فهم لا يستطيعون رفض مستجدات الحداثة والتطور، وفي الوقت نفسه لا يمكنهم تجاهل ما تفرضه مجتمعاتهم من الانضباط لقوانينها. قد تؤثر هذه الثنائية على هوية الشباب وقراراتهم المستقبلية، لكن ما يجدر الإشارة إليه هو أن مجتمع البحث يتلقى دعمًا من الأسر، (كما أشرنا سابقًا في عنصر معرفة الأسر، وخاصة الأمهات، بالعلاقة العاطفية للمبحوثين، وهذا يُشكل نوعًا من الدعم والقبول)، مما يخفف من حدّة التوتر الذي قد يشعر به الشاب بين ثنائية قبول أو رفض العادات والتقاليد والأعراف.

4- السلطة الفردانية

إن "الفردانية هي نزعة أو سلوك يؤكد على الخصائص الذاتية للفرد وعلى سماته ومميزاته الخاصة، وذلك بما يتعارض مع ما هو جمعي وعام ومشترك. وهذا يعني أن الفردانية تؤكد ما هو خاص وشخصي ومتفرد، أي في النهاية، إن الفرد – وفقًا لمفهوم الفردانية – كائن إنساني يمتلك وحدته الداخلية ويؤدي وظيفته كنسق ونظام متكامل، ويمتلك استقلالية خاصة في دائرة الوسط الذي ينتمي إليه" (خروبي، مفيدة، 2023: 197). ويشير هذا التعريف إلى أن الفردانية لا تعكس فقط الميل للاختلاف والتفرد الشخصي، بل تتضمن أيضًا قدرة الفرد على تنظيم ذاته واتخاذ قراراته بشكل مستقل ضمن السياقات الاجتماعية التي ينتمي إليها. فهي تعبّر عن تصور متكامل للفرد ككائن فاعل يمتلك وعيًا بذاته وحقًا في تحديد مسار حياته وفق خصائصه الفردية، ما يمنحه القدرة على التفاعل مع الآخرين من موقع من الاستقلالية والتميّز الشخصي. ومن هذا المنظور، تصبح الفردانية عنصرًا محوريًا في فهم ديناميات العلاقات الاجتماعية والعاطفية، حيث تؤثر على سلوكيات الأفراد في

تفاعلاتهم اليومية، وتمثل إطارًا لفهم كيفية موازنة التطلعات الذاتية مع الالتزامات الاجتماعية والثقافية المحيطة بهم.

لا تعترف السلطة الفردانية بما أشرنا إليه من سلطة المجتمع كمرجعية في اتخاذ القرارات، حيث عبّر المبحوثون العشرة عن أنهم لم يعتمدوا على رأي أي فرد في اختيار الطرف الثاني. فرغم أهمية الأسرة ودورها في مثل هذه القرارات، إلا أن سلطتها قد اختفت تمامًا عند المبحوثين، برغم اعتبار اختيار شريك الحياة حدثًا اجتماعيًّا وليس فردانيًّا فقط.كما شهدت السلطة الأبوية تغيرات في العائلة الجزائرية، "حيث تفككت العائلة إلى أسر نووية تنازلت عن الكثير من وظائفها للمؤسسات الأخرى. استدعى هذا التحول الذي عرفته العائلة الجزائرية تحولًا في نظام السلطة وفي منظومة العلاقات، من أبوية إلى زَوجية، ومن مركزية إلى تفاوضية. فنجد أن المرأة قد أصبحت تقرر مثل الرجل أو أكثر، كما نجد الأبناء، خاصة الشباب، يتمتعون بحريات واسعة في اختيار اللباس واختيار شريك الحياة" (جقاوة الشيخ، بوكميش لعلى، 2017: 731).

إن السلطة الأبوية التي تعتمد على رمزية الأب والجماعة تختفي هنا أيضًا، وتصطدم بواقع ثقافي واجتماعي (حداثي) يريد أن يمجّد السلطة الفردانية، وينظر للحب والعلاقة العاطفية كحرية شخصية يُبرز فيها الشاب هويته وكيانه وقراراته المهمة، وليس كفعل مناوئ للعرف، والعادات، والتقاليد، والدين.لكن، يمكننا اعتبار هذه السلطة الفردانية سلطة نسبية، نظرًا لما قد يعترض الشباب من قوة الدين والعرف، كما أشرنا في السلطات المجتمعية والوازع الديني والأخلاقي؛ إذ هي حرية نسبية لا تزال في طور التشكّل وفق نمط الحداثة الهجين كما طرحناه سابقًا. فقرار الزواج أو الانفصال، بالنسبة للمبحوثين، لا يتم بطريقة فردانية بالكامل، وإنما يتم من خلال استشارة الشريك في ذلك. ولا يتم بضغط زر أو محو رقم، كما تقتضيه الحداثة، وإنما بفعل ثنائي، وهذا ما يجعل السلطة الفردانية أمرًا غير مكتمل، والحداثة مشروعًا غير مكتمل أيضًا.

خلاصة الفصل الثالث:

يظهر من خلال هذا الفصل أنّ الحب في المجتمع المحلي لم يعد محصورًا في بعده الوجداني أو الرمزي فحسب، بل أصبح ساحة تتجلى فيها التناقضات بين المرجعيات التقليدية والقيم الحداثية. فقد أبان الجزء الأولمنه أنّ المتخيل الاجتماعي حول الحب ما زال يتأرجح بين المثاليات المستوحاة من الثقافة والدين، وبين التجارب الواقعية التي تكشف هشاشة العلاقات المعاصرة وتعرضها للتفكك بفعل الفردانية والتحولات الاجتماعية. أما الجزء الثني فقد أظهر أن البعد القيمي يظل حاضرًا بقوة في تمثلات الشباب، إذ لا تزال الضوابط الدينية والعرفية تؤطر سلوكهم العاطفي، حتى وإن انفتحت بعض الفئات على أنماط جديدة من الحرية والمساواة بين الجنسين.

ويخلص هذا الفصل إلى أنّ الحداثة في هذا السياق لم تُلغِ المرجعيات التقليدية، بل أفرزت حالة من التعايش المتناقض، حيث تتداخل قيم الالتزام والزواج والوفاء مع قيم الفردانية والحرية الشخصية. وبذلك تصبح العلاقات العاطفية مرآة تعكس دينامية المجتمع بين الثبات والتغير، وبين المحافظة والانفتاح.

الفصل الرابع، تحليل ومناقشة الفرضيات:

تمهيد:

يتناول هذا الفصل الرابع "تحليل ومناقشة الفرضيات"، والتي تقوم على فرضيتين رئيسيتين تم تقسيمهما إلى معطيات سوسيو-مهنية أولية، شملت: رمز المبحوث، وجنسه، وعمره، ومستواه الدراسي، ثم حالته الاجتماعية، ومكان إقامته، ووضعه العاطفي الراهن (إن وُجد)، وأخيرًا مدة العلاقة. عقب ذلك، تم الانتقال إلى محاور الفرضيتين وعددها أربعة محاور؛ حيث تطرق المحور الأول إلى مفاهيم الحب والعلاقات العاطفية في سياق الحداثة، مستهدفًا فهم "سيولة الحب وتعدد أنماط العلاقات"، وقد انقسم هذا المحور إلى أبعاد تتعلق بمسار رابط الحب (البداية، والتطور، والنهاية)، وتعدد الاختيارات والعلاقات، وحرية الالتزام. أما المحور الثاني فقد تناول تأثير وسائط التواصل الرقمي، بهدف استيعاب "تشكّل أنماط جديدة للتعارف والتعبير عن الحب وتأثيرها في جودة التواصل"، وقد توزّع إلى أبعاد تخص التعارف والتعبير عبر الإنترنت، وجودة التواصل، وعمق العلاقة.

في حين خصص المحور الثالث لدراسة سلطة القوى الاجتماعية على الحب والعلاقات، مستهدفًا تحليل "سلطة الدين، المجتمع، والفردانية"، وقد تمحور حول سلطة الدين، وسلطة المجتمع والعرف، ثم سلطة الفردانية. وأخيرًا، جاء المحور الرابع متناولًا انعكاسات التحولات على تجربة الحب، من خلال طرح أسئلة عامة للتلخيص والتعمق. وقد أفضى تحليل المعطيات الميدانية والنظرية إلى بلورة فهم أكثر تركيبًا لتعقيدات العلاقات العاطفية في السياق الجزائري المعاصر، إذ كشفت نتائج الدراسة عن تحولات عميقة في تمثلات الحب وممارساته، تعكس تداخلًا بين ما تفرضه الحداثة من أنماط جديدة وبين ما تنتجه وسائل التواصل الاجتماعي من ديناميات تواصلية مغايرة.

1-مناقشة وتحليل الفرضية الأولى

تفضي الحداثة إلى سيولة في مفهوم الحب، وتعدّد في أنماط العلاقات العاطفية، مما يؤثر على استقرار هذه العلاقات.

1-1- عرض مستوى المحور الأول: مفاهيم الحب والعلاقات العاطفية في سياق الحداثة (يستهدف فهم "سيولة الحب وتعدد أنماط العلاقات")

البعد الأول:مسار رابط الحب (البداية، التطور، النهاية): إذ يتضح من خلال المعطيات أنّ العلاقات العاطفية لا يمكن اعتبارها مجرد تجارب فردية منعزلة، بل هي أشكال اجتماعية تتحدد ضمن أطر من القواعد والأعراف التي يكتسبها الأفراد في مسار التنشئة الاجتماعية. فحين يدخل الفرد في علاقة عاطفية، يقوم بأداء أدوار محددة، تُجسّد توقعاته الذاتية، كما تعكس في الوقت نفسه ما تفرضه عليه ثقافته ومحيطه الاجتماعي. وعليه، فإن مسار الحب، منذ بدايته وصولًا إلى تطوره وربما نهايته، يظل مرتبطًا بمدى انسجام هذا التفاعل بين الذات والآخر، وبين الرغبة الفردية والمعايير الاجتماعية.

البعد الثاني:تعدّد الاختيارات والعلاقات وحرية الالتزام: في هذا الإطار، يمكن الاستناد إلى ما طرحه أنتوني غيدنز الذي اعتبر أن أحد أبرز سمات الحب الحديث يتمثل في نشوء الحب من علاقة صداقة سابقة تتحول تدريجيًا إلى علاقة رومانسية. وقد تجسد هذا الطرح بوضوح في حالة المبحوثة الخامسة (أنثى 26 سنة) ، إذ أكدت أنها من خلال معرفتها السابقة بالطرف الآخر، استطاعت أن تكتشف وجود قدر كبير من التوافق والتشابه بينهما، وهو ما دفعها إلى تعزيز هذه العلاقة. ويُعزى هذا الأمر إلى ما تسميه هيلين فيشر "بالتماثل"، والذي يمثل –على حد تعبيرها– "تذوقًا بيولوجيًا آخر توارثناه من المملكة الحيوانية، ألا وهو ميلنا لاختيار الرفيق المتناسب" (فيشر،هيلين، 2015: 132).

وقد أظهرت نتائج المقابلات أنّ المبحوثين بشكل عام يربطون الاختيار العاطفي أساسًا بعوامل التناسب والتوافق، سواء على المستوى الفكري أو الأخلاقي، وهو ما يتوافق مع ما ذهب إليه إرفينغوفمان حين أكد أن المقولة الشعبية "الطيور على أشكالها تقع" ليست مجرد تعبير مجازي، بل قاعدة جوهرية تحكم طبيعة الارتباط العاطفي بين الأفراد.

2-1- عرضمستوى المحور الثالث:سلطة القوى الاجتماعية على الحب والعلاقات: (يستهدف فهم "سلطة الدين، المجتمع، الفردانية")

البعد الأول:سلطة الدين: كشفت نتائج الدراسة عن وجود تناقض بارز بين ما يمليه النص الديني وأوامره وبين الممارسات الفعلية التي يقوم بها الأفراد داخل العلاقات العاطفية. هذا التناقض، الذي أقرّ به معظم المبحوثين، يتجلى في إدراكهم

لحرمة بعض الأفعال وفق تصوراتهم الدينية، مع الاستمرار في ممارستها على أرض الواقع. ويمكن النظر إلى هذه الازدواجية باعتبارها "هابيتوس" –وفقًا لمفهوم بيير بورديو– أي نسقًا من السلوكيات والممارسات التي تُعاد إنتاجها بشكل تلقائي نتيجة التكرار والاعتياد، فتخرج عن دائرة التساؤل النقدي لتصبح جزءًا من الحياة اليومية.

وقد عبّر المبحوثون عن هذا التناقض بطرق متنوعة؛ حيث أشار المبحوث السابع (ذكر 18 سنة) مثلًا إلى أنه يدرك أن العلاقة العاطفية "حرام، ولكن نحاول ألا نقع في الحرام"، موضحًا أن ما يعدّه أكثر خطورة هو العلاقة الجنسية تحديدًا. غير أنّ هذا التناقض يكشف، في بعض الحالات، عن نوع من التشدد في فهم النص الديني، إذ يذهب بعض المبحوثين إلى تأويلات متطرفة، حيث صرّح أحدهم قائلًا: "موقف القرآن أكيد حرام حتى الحب وحرام، لأنه الحب حلال في الحلال، لأنه عندما تحب واحدة في علاقة سرية لا يتقبلها لا الله ولا العبد، لهذا الإنسان لو يجد طريقة يترك الحب بعد الزواج". وأضاف آخر: "الإنسان مبتلى بالشهوات، والحب أعمى ولقد أصبت بالعمى". تبرز هذه التصريحات بجلاء الصراع الداخلي الذي يعيشه الأفراد بين الرغبة الإنسانية الطبيعية في الارتباط العاطفي، وبين سلطة النصوص الدينية كما يفسرونها في ضوء محيطهم الاجتماعي والثقافي.

البعد الثاني:سلطة المجتمع: يمارس المجتمع سلطته على الأفراد عبر مجموعة من الآليات المترابطة التي تتجلى أساسًا في عملية التنشئة الاجتماعية بما تتضمنه من تربية على قيم الطاعة والامتثال، وكذلك عبر أشكال الرقابة المجتمعية التي تمارسها الجماعة على سلوكيات الأفراد، إضافة إلى النظام الباتريركي الذي يعيد إنتاج علاقات القوة بين الجنسين، فضلًا عن منظومة العادات والتقاليد والأعراف التي ترسم للفرد مسارات محددة في سلوكه العاطفي. شكّلت هذه العوامل مجتمعة إطارًا ضاغطًا وموجّهًا للعلاقة العاطفية، حيث أُدرجت في خانة "التجريم" و"التحريم" واعتُبرت خروجًا عن دائرة "المتعارف عليه" اجتماعيًا.

إنّ البنية التقليدية القائمة، في احتكاكها وصدامها مع حداثة لم تترسخ بعد، قد أسست لآليات ردع متواصلة جعلت من العلاقة العاطفية عنصرًا مثيرًا للجدل والريبة، وهو ما أدى إلى توليد حالة من الفصام الاجتماعي كما عبّر عن ذلك كلّ من "إرفينغوفمان" و"إيفا إيلوز"، حيث تصبح العلاقة العاطفية معلقة بين ما يفرضه الواقع الاجتماعي التقليدي من قيود صارمة وما تتيحه الحداثة من هامش محدود للحرية الفردية. غير أنّ الدراسات المستندة إلى نظرية الجندر تكشف أن وقع هذه

السلطة المجتمعية ليس متساويًا على الجنسين، إذ تتحمل الأنثى العبء الأكبر من هذه الرقابة والوصاية الاجتماعية، في حين يتمتع الذكر بهامش أوسع من الحرية في اختياراته وتجاربه العاطفية. ومن ثَمّ، يظهر أن البنية الاجتماعية تعيد إنتاج الفوارق الجندرية من خلال ضبطها للعلاقات العاطفية، بما يرسّخ اللامساواة في التجارب الوجدانية بين الرجل والمرأة.

البعد الثالث:العرف ثم السلطة الفردانية:يرتبط مفهوم العرف ارتباطًا وثيقًا بالبعد السابق أي "سلطة المجتمع"، غير أنّنا خصّصنا له معالجة خاصة هنا من أجل وضعه في مواجهة مفهوم "الفرد والفردانية"، حيث يبرز بوضوح ذلك "التمزق" الذي يعيشه الفرد المنخرط في علاقة حب، وهو تمزق قائم بين رغبته في ممارسة سلطته الفردية، بما ينسجم مع قيم الفردانية التي تطرحها الحداثة، وبين الخضوع لما يفرضه المجتمع من خلال سلطة العرف. هذا التوتر الثنائي بين الفردانية من جهة والعرف من جهة أخرى تجلّى بوضوح في شهادات المبحوثين، إذ عبّر جميع المبحوثين العشرة عن أنّهم لم يعتمدوا على رأي أي فرد في عملية اختيار الطرف الآخر في العلاقة العاطفية.

ورغم المكانة التقليدية للأسرة وأهميتها التاريخية في مثل هذه القرارات المصيرية، فإنّ نتائج الدراسة تشير إلى أنّ سلطتها قد تلاشت تقريبًا في هذا المجال عند المبحوثين. ويُظهر هذا الأمر تحوّلًا عميقًا في التصورات، حيث لم يعد اختيار شريك الحياة يُفهم بوصفه حدثًا جماعيًا صرفًا تحكمه الأعراف والسلطات الاجتماعية، بل صار يُنظر إليه باعتباره فعلًا فردانيًا يعبّر عن استقلالية الذات وحقها في تقرير مصيرها العاطفي، حتى وإن بقيت بعض الأصداء الثقافية للعُرف حاضرة في وعي الأفراد بشكل غير مباشر.

وقد خلصت الدراسة في هذا السياق إلى أنّ العلاقات العاطفية في المجتمع الجزائري المعاصر تخضع لتأثيرات مركّبة ومعقّدة، تنبع بالأساس من التحولات التي فرضتها الحداثة من جهة، ومن التطورات التي أنتجتها وسائط التواصل الاجتماعي من جهة أخرى. فقد أظهرت النتائج أنّ الحداثة أدّت إلى بروز سيولة في مفهوم الحب وتعدّد في أنماط العلاقات العاطفية، بحيث لم تعد العلاقات محكومة بنموذج تقليدي ثابت، بل باتت مفتوحة على أشكال جديدة من الارتباط، وهو ما انعكس بصورة واضحة على استقرار هذه العلاقات.

وتؤكد هذه المعطيات ما ذهبت إليه الفرضية الأولى، حيث اتضح أنّ قيم الفردانية وما تتيحه من حرية أوسع للخيارات الشخصية، إضافة إلى الطابع السائل للالتزامات في ظل الحداثة، قد ساهمت في تعدّد أشكال العلاقات العاطفية وتنوّعها، الأمر الذي انعكس في كثير من الحالات على هشاشة هذه العلاقات وعدم قدرتها على الاستمرار بالمتانة نفسها التي كانت تميّز العلاقات في السياق التقليدي. وهكذا جاءت نتائج الدراسة لتدعم الطرح النظري للفرضية الأولى، مؤكدة أن التحولات الاجتماعية والثقافية الراهنة أنتجت واقعًا جديدًا للحب في المجتمع الجزائري، واقعًا يتأرجح بين قيم الفردانية وموروثات العرف، وبين حرية الاختيار وضغط التقاليد.

2-مناقشة وتحليل الفرضية الثانية

يساهم تزايد استخدام وسائل التواصل الاجتماعي في تشكيلأنماط جديدة للتعارف والتعبير عن الحب، لكنه قد يزيد من التوقعات غير الواقعية، ويؤثر على جودة وعمق العلاقات.

2-1- عرض مستوى المحور الثاني: تأثير وسيط التواصل الرقمي (يستهدف فهم "تشكيل أنماط جديدة للتعارف والتعبير عن الحب وتأثيرها على جودة التواصل")

البعد الأول:التعارف والتعبير عبر الإنترنت: اتفق جميع المبحوثين على أنّهم يلجؤون إلى الأنترنت كوسيلة أساسية في التعارف في المقام الأول، ثم في استمرار التواصل لاحقًا، مع تسجيل اختلافات في وتيرة هذا الاستخدام بين ثنائي وآخر. فهناك من يواظب على استعمالها بشكل يومي ومتكرر لعدة مرات في اليوم، بينما يكتفي آخرون باستخدامها بوتيرة أقل انتظامًا، تبعًا لظروفهم الشخصية والاجتماعية. وقد أشار المبحوثون بوضوح إلى أنّ أبرز المنصات التي يعتمدون عليها في هذا السياق هي وسائل التواصل الاجتماعي، وعلى رأسها "الفايسبوك" و"الواتساب"، واللذان يُعدّان الأكثر انتشارًا واستخدامًا بينهم. كما صرّحوا بأنهم يلجؤون إلى هذه الوسائل ليس فقط للتواصل، وإنما أيضًا للتعارف المبدئي، من خلال إرسال الدعوات وفتح قنوات الاتصال الأولى، وذلك إلى جانب قنوات التعارف التقليدية التي مازالت حاضرة، مثل الوسط الدراسي، أو مكان العمل، أو الفضاءات العمومية كالحدائق والشواطئ، فضلًا عن المناسبات العائلية التي لا تزال تشكّل فرصًا معتبرة لتأسيس علاقات جديدة.

ويؤكد هذا ما ذهبت إليه نورة قنيفة حين أشارت إلى أنّ "الإقبال الكبير على مواقع التواصل الاجتماعي، لا سيما الفايسبوك الذي عرف انتشارًا كبيرًا في وسط المراهقات وفتح أبوابًا لا حدود لها لإقامة علاقات افتراضية وتأسيس حرية مطلقة في التفاعل مع استمرارية الاتصال في أي وقت ومع أي شخص دون أدنى التزام بقواعد الضبط والمعايير الاجتماعية" (قنيفة، 2017: 150-151). ومن ثَمّ، يمكن القول إنّ وسائل التواصل الاجتماعي قد أدّت دورًا محوريًا ومزدوجًا في آن واحد، فهي من جهة أسهمت في بناء وتعزيز علاقات الحب، عبر توفير فضاءات جديدة للتقارب والتعبير عن المشاعر، ومن جهة أخرى ساهمت أحيانًا في هدم هذه العلاقات بسبب طبيعتها الافتراضية المفتوحة التي تتيح إمكانيات واسعة للتعارف والانفتاح على بدائل متعددة.

ويظهر من خلال الشهادات الميدانية أنّ المحب، عبر مختلف الأزمنة والوسائط، كان يسعى دائمًا إلى البحث عن وسيلة تُمكّنه من الوصال مع الطرف الآخر، سواء كانت هذه الوسيلة معقدة وصعبة المنال أو بسيطة ومباشرة، لكنّ المستجد في السياق الراهن هو أنّ الأنترنت قد وفّرت له هذه الوسيلة بيسر غير مسبوق، ما جعلها تُشكّل أداة مركزية في إعادة صياغة طبيعة العلاقات العاطفية وحدودها في المجتمع المعاصر.

البعد الثاني:جودة التواصل وعمق العلاقة: تختلف جودة التواصل وعمق العلاقة من مبحوث لآخر، حيث تتدخل في ذلك عوامل فردية واجتماعية وحتى تقنية. فالتواصل الافتراضي، على الرغم من انتشاره، يبقى مختلفًا في شكله وعمقه عن التواصل المباشر ولا يمكن أن يغني عنه. ومن منظور التفاعلية الرمزية، تمثل اللقاءات الواقعية عنصرًا أساسيًا في بناء التفاعلات وتشكيل المشاعر، على نحو مغاير لما ينتج عن التوقعات أو اللقاءات الافتراضية. وفي هذا السياق، يبرز مفهوما هابرماس المركزيان، وهما "العقل الأداتي" و"العقل التواصلي"، باعتبارهما إطارين نظريين يساعدان على فهم طبيعة هذا النمط من التواصل وتحولاته.

كما أن الاستخدام المتزايد لوسائل التواصل الاجتماعي أسهم في إنتاج أنماط جديدة من التعارف والتعبير عن الحب، غير أنه أوجد في الوقت نفسه توقعات غير واقعية انعكست سلبًا على جودة وعمق العلاقات، وهو ما يتوافق مع الفرضية الثانية. وقد أظهرت المقابلات الميدانية أنّ هذا الاستخدام المتزايد أحدث تحولات جوهرية في

طرائق التعبير عن الحب والتعارف، محدثًا في الآن ذاته فجوة واضحة بين التوقعات المثالية والواقع العاطفي المعيش، وهو ما يؤكد مرة أخرى صلاحية الفرضية الثانية.

2-2- عرض مستوى المحور الرابع: انعكاسات التحوّلات على تجربة الحب (أسئلة عامة للتلخيص والتعمق).

انطبعت علاقات الحب في عصر التحولات بطابع العصر نفسه، حيث السرعة والسطحية، وهو ما أدخل الفرد في حالة من الفصام الاجتماعي، نتيجة صراع متواصل بين منظومته القيمية والاجتماعية من جهة ورغباته الآنية من جهة أخرى. لقد أصبح الحب في كثير من السياقات المعاصرة قائمًا على التوافق اللحظي والرغبة العابرة، متأثرًا بشكل واضح بمنطق السوق وثقافة الأداء السريع، إذ أضحى مسرحًا لتجسيد قيم الاستهلاك والتبادل المؤقت أكثر من كونه تجربة إنسانية عميقة. إن النزعة الفردية الحديثة، التي تقوم على تمجيد الذات واعتبار الحرية الشخصية أساسًا لكل اختيار، أسهمت في صياغة أنماط من العلاقات العاطفية المشروطة بعدد لا متناهٍ من التوقعات، ما جعلها أكثر هشاشة، وأكثر عرضة للفشل العاطفي وعدم الاستقرار.

وهكذا، أصبح الإشباع العاطفي أقل دوامًا، بينما تضاعفت احتمالات الخيبة والفشل في خوض التجربة العاطفية. إن ما نشهده اليوم هو أزمة حقيقية في مفهوم الحب وممارسته، أزمة ولّدتها التحولات المجتمعية الحداثية نفسها التي سعت إلى تحرير الفرد، لكنها بالمقابل أضعفت عمق التجربة العاطفية وجعلتها محكومة بسطوة اللحظة والانتظار غير الواقعي. ولعل ما يزيد من تعقيد هذه الأزمة غياب الدعوات الجادة إلى مراجعة الذات ومساءلة أنماطنا في العيش العاطفي، فضلًا عن ندرة الدراسات السوسيولوجية الرصينة القادرة على تفكيك هذه الإشكالية واقتراح حلول واقعية لها، وهو ما يجعل الحب في زمننا الراهن يظل معلقًا بين طموح الإنسان للمعنى وواقع يفرض عليه سطوة المؤقت والهشاشة.

3- خلاصة تحليل ومناقشة الفرضيات

نلاحظ من خلال ما سبق، وبالنظر إلى الأجوبة والنتائج المتحصّل عليها، أن الفرضيتين قد تحققتا، وهو ما يسمح بالقول إن الظاهرة العاطفية في الوقت الراهن تخضع لعملية إعادة تشكيل مستمرة بفعل عوامل حداثية وتكنولوجية، تجعل من الحب الرومانسي تجربة أقل استقرارًا مقارنة بالماضي، لكنها في المقابل أكثر تنوعًا وتعددًا

في أشكالها، وهو ما يفتح المجال أمام دراسات مستقبلية متعمقة لاستكشاف كيفية إعادة بناء الروابط العاطفية في ظل هذا التغير البنيوي المتسارع والمتداخل مع وسائل التواصل الحديثة والتغيرات الثقافية والاجتماعية.

هذا وقد أظهرت نتائج الفصل الرابع أن العلاقات العاطفية في السياق الجزائري المعاصر تعيش توتّرًا واضحًا بين البُنى الاجتماعية التقليدية والتحولات الحداثية التي أعادت تشكيل معنى الحب وممارساته. وقد أكدت المعطيات الميدانية صحة الفرضية الأولى، التي ترى أن الحداثة أدّت إلى ما يمكن تسميته بـ"سيولة الحب" وتعدد أنماط العلاقات العاطفية، على نحو يهدّد استقرار هذه العلاقات. فبدلًا من أن يكون الحب التزامًا طويل الأمد، مبنيًا على أطر اجتماعية واضحة ومحددة، أصبح أكثر فردانية وهشاشة، محكومًا بمنطق التفاوض اللحظي والتجربة العابرة، حيث يُصبح التوافق اللحظي والرغبة العابرة محركًا رئيسيًا للعلاقات، متأثرًا بثقافة السوق ومنطق الأداء السريع.

علاوة على ذلك، يبرز مفهوم "العاطفة المؤسّسة" لدى إيفا إيلوز، والذي يشير إلى كيفية ارتباط الحب في المجتمعات التقليدية ببُنى مؤسّسية مستقرة مثل الزواج والأسرة، في حين تفكّكت هذه البُنى تدريجيًا تحت تأثير الحداثة، وأصبح الحب مشروطًا بتحقيق الذات والمتعة الشخصية، ما أدّى إلى علاقات غير مستقرة، تُستهلك كما تُستهلك السلع، وهو ما انعكس بوضوح في نتائج الدراسة من خلال تعدد نماذج الحب القائمة على التوافق المؤقت، والتجريب العاطفي، وحرية الاختيار، وهو ما تطلق عليه إيلوز اسم "سوق العلاقات العاطفية."

أما الفرضية الثانية، المتعلقة بتأثير وسائل التواصل الاجتماعي، فقد أظهرت الدراسة أن هذه الوسائط الرقمية أنتجت أنماطًا جديدة من التعارف والتواصل، لكنها في الوقت ذاته أفرزت توقعات غير واقعية أسهمت في هشاشة العلاقات وضعف عمقها. وهنا يمكن ربط النتائج بمفهوم "الرأسمالية العاطفية" عند إيلوز، والتي توضح كيف أصبح الحب يخضع لآليات السوق والترويج، حيث يتم صياغة الخطاب العاطفي بلغة الكفاءة والاختيار، وبآليات العرض والطلب، مما يؤثر على عمق التجربة العاطفية ويجعلها أكثر استهلاكًا وأقل أصالة.

كما يعكس المحور الرابع من الدراسة، المخصص للأسئلة التأملية، الأثر النفسي والاجتماعي العميق لما تسميه إيلوز بـ"الفصام العاطفي"، وهو التمزق الذي يعيشه الأفراد بين قيم دينية واجتماعية راسخة من جهة، وخطاب حداثي فرداني متحرر من جهة أخرى. وقد عبّر المبحوثون عن هذا الفصام من خلال إدراكهم للتناقض بين معتقداتهم الدينية وسلوكهم العاطفي، وهو ما يعكس –بلغة إيلوز– كيف يتحول الحب إلى ساحة توتر بين الحلال والحرام، بين الرغبة الذاتية والإملاءات الأخلاقية والاجتماعية.

وفي ظل هذا الواقع، لم يعد الحب مجرد علاقة ثنائية بين شخصين، بل أصبح "فضاء للصراع الرمزي" بين قوى متعددة: الدين، المجتمع، الفرد، السوق، والتكنولوجيا. وبهذا، تتقاطع الفرضيتان في التأكيد على أن تجربة الحب اليوم محمّلة بتعقيدات بنيوية وثقافية، تعكس تحوّلات عميقة في تمثلات الأفراد للعاطفة والارتباط، وتجعل العلاقات العاطفية ميدانًا لتجاذب متواصل بين التقاليد والتحديث، بين القيود الاجتماعية والانفتاح الفرداني.

تؤكد هذه النتائج ما ذهبت إليه إيلوز في مجمل أعمالها، لا سيما في كتابها "لماذا يؤلم الحب؟"، من أن الحب في مجتمعات الحداثة المتأخرة لم يعد مجرد شعور طبيعي، بل تجربة اجتماعية مركّبة، تُنتَج وتُشكّل وفق تحولات ثقافية واقتصادية عميقة، وهو ما عبّر عنه المبحوثون بطرقهم المختلفة، عندما صاغوا تجاربهم بين الرغبة والتردد والضغط والتناقض.

الخاتمة:

الخاتمة

توصّلت هذه الدراسة، التي خُصصت لدراسة الحب الرومانسي لدى الشباب الجزائري في مدينة معسكر، إلى أنّ الظاهرة العاطفية لا يمكن اختزالها في كونها مجرد تجربة وجدانية فردية، بل هي نتاج معقد لبناء اجتماعي يتشابك فيه الديني مع الثقافي والاجتماعي، ويتقاطع فيه التقليدي مع الحداثي. فقد أظهرت نتائج المقابلات الميدانية مع عينة البحث، والمكوّنة من عشرة مبحوثين، أن العلاقات العاطفية تعكس حالة من التوتر البنيوي بين المرجعيات التقليدية (الدين، العرف، التقاليد) من جهة، وما أفرزته الحداثة من قيم وأنماط جديدة في التفاعل الإنساني من جهة أخرى، الأمر الذي يجعل من الحب الرومانسي ميدانًا للتفاوض المستمر بين هذين البعدين داخل المجتمع الجزائري المعاصر.

لقد أظهرت النتائج أنّ ممارسة الجنس بين المبحوثين، رغم وجودها في بعض الحالات، تتسم بقدر من البساطة والنسبية، مع غياب واضح للجنس العرضي، الأمر الذي يعكس نوعًا من التوازن بين الرغبة الفردية والقيود الاجتماعية والدينية. يكشف هذا المعطى أن التجربة العاطفية، وإن تميزت بالتحرر النسبي، لا تزال خاضعة لمنطق الضبط والرقابة، سواء من طرف الذات أو من طرف المحيط الاجتماعي. كما أظهرت الدراسة تباينًا في المواقف بشأن مسألة الاستشارة مع الشريك في بداية العلاقة، وهو ما يعكس حالة الانقسام القيمي التي يعيشها الشباب بين التمسك بالموروثات التقليدية والسعي نحو بناء ذات حديثة أكثر استقلالية.

يتضح من خلال هذه المواقف أن الشباب يعيشون حالة من التمزق القيمي، إذ رغم إدراكهم للضوابط الدينية والاجتماعية التي تحكم العلاقات العاطفية، فإنهم لا يترددون في خوضها. ويمكن تفسير ذلك بالتحولات القيمية العميقة التي فرضتها وسائل الإعلام والحداثة التكنولوجية، حيث أضحت هذه الأخيرة فضاءً بديلًا لتشكيل العلاقات والتعبير عن المشاعر. وبذلك، تُعيد التكنولوجيا تشكيل أنماط التفاعل الاجتماعي والعاطفي، حيث لم يعد الغزل التقليدي الوسيلة الأساسية للتعبير عن الحب، بل حلت محله وسائل التواصل الاجتماعي والاتصال الرقمي، التي يسّرت من جهة بناء العلاقات، لكنها زادت من جهة أخرى من منسوب الشك والغيرة بفعل سهولة المراقبة وتعدد قنوات الاتصال.

من جهة أخرى، أظهرت الدراسة أن غياب اليقين بشأن جدية العلاقة أو مصيرها المربوط بالزواج يُعدّ سمة بارزة في وعي المبحوثين. فبالنسبة لهم، يظل الزواج الإطار الوحيد الذي يضفي على الحب مشروعية اجتماعية ودينية. ورغم انفتاحهم النسبي على العلاقات العاطفية قبل الزواج، فإنهم يرفضون فكرة إنهاء العلاقة بشكل اعتباطي أو الدخول في علاقات متوازية، وهو ما يعكس استمرار حضور قيم الالتزام والثنائية العاطفية في وعيهم، رغم الانفتاح على الحداثة.

وأبرزت النتائج أنّ العادات والتقاليد، رغم إعلان المبحوثين عدم الاعتراف بها أو إعطائها مكانة كبيرة، لا تزال تؤثر في ممارساتهم، خاصة فيما يتعلق باللقاءات في الأماكن العامة. فالمبحوثون، وبخاصة المبحوثات، عبروا عن تحفظهم في الالتقاء بالشريك خارج الجامعة أو مكان العمل، وهو ما يشير إلى أن التحرر المعلن لا يترجم بالضرورة إلى ممارسة كاملة، بل يبقى مقيدًا باعتبارات السمعة والخوف من الوصم الاجتماعي. وبذلك يمكن القول إن الشباب يعيشون "حرية نسبية" لا ترقى إلى مستوى القطيعة مع المرجعيات التقليدية، بل تعكس نمطًا من "الحداثة الهجينة" التي تمزج بين الجديد والقديم.

وعلى مستوى القرارات المصيرية مثل الزواج أو الانفصال، بيّنت الدراسة أن المبحوثين لا يتخذون قراراتهم بطريقة فردانية خالصة، بل بالتشاور مع الشريك، وهو ما يتناقض مع التصورات الحداثية التي تمجد الفردانية المطلقة. تعكس هذه الثنائية في اتخاذ القرار بدورها حالة المشروع غير المكتمل للحداثة في السياق العربي، حيث يتبنى الشباب بعض قيمها (الحرية، المساواة، الفردانية)، لكنهم يظلون في الآن نفسه خاضعين لمقتضيات السياق الاجتماعي والثقافي.

أما على الصعيد الجندري، فقد كشفت الدراسة عن استمرار بعض التفاوتات بين الجنسين. فعلى الرغم من المساواة الملحوظة في مسألة الاختيار والدخول في العلاقة، إلا أنّ المبادرة في الغزل والتعبير المباشر عن المشاعر لا تزال أكثر شيوعًا لدى الرجل. كما أن الممارسة الجنسية تمثل نقطة توتر أكبر بالنسبة للمرأة مقارنة بالرجل، حيث ترتبط لديها بمشاعر القلق وتأنيب الضمير الناتج عن ضغط اجتماعي وديني مضاعف، في حين يحظى الرجل بهامش أوسع من التسامح في هذا المجال. وهذا

يعكس استمرار الهيمنة الذكورية في البنية الاجتماعية، وإن كانت قد تراجعت نسبيًا بفعل التحولات الحداثية.

أبرزت الدراسة أيضا أنّ الحب بالنسبة للشباب لا يمثل مجرد علاقة عاطفية، بل هو تجربة تعزز من ثقتهم بأنفسهم وتدعم صورتهم الذاتية، إذ يمنحهم الإحساس بالقيمة والاعتراف من الطرف الآخر. وهو ما يشير إلى أن الحب الرومانسي يضطلع بدور مهم في إعادة تشكيل الهوية الفردية والجندرية، إذ يسمح للشباب والنساء خصوصًا بفرض ذواتهم والتعبير عن رغباتهم في مجتمع لا يزال يقيّد هذه الرغبات.

ومن منظور التفاعلية الرمزية، بينت النتائج أن اللقاءات الحقيقية، وليس الافتراضية فقط، تظل ذات أهمية قصوى في بناء التفاعلات والمشاعر. فالمبحوثون أكدوا أن اللقاء المباشر يخلق ديناميكيات خاصة تختلف عن تلك التي تنشأ عبر الوسائط الرقمية. وهذا يعكس أن التفاعلات الرمزية التي تشكل العلاقة العاطفية لا تُختزل في التكنولوجيا وحدها، بل تبقى مشروطة بلحظة التواجد المادي المشترك.

في النهاية، تكشف هذه الدراسة أن الحب الرومانسي في المجتمع الجزائري يمثل ظاهرة مركبة تتأرجح بين الامتثال للموروث والتطلع إلى الحداثة. فهو من جهة يعكس استمرار حضور الدين والعرف والعائلة كمرجعيات قوية، ومن جهة أخرى يظهر انفتاح الشباب على الفردانية وقيم الحرية والمساواة. أنتجت هذه الثنائية نمطًا من "الحداثة الهجينة"، التي لا تُلغي القديم ولا تُرسخ الجديد بالكامل، بل تضع الأفراد في حالة تفاوض مستمر بين المرجعيات المختلفة. وبذلك، تقدّم هذه الدراسة إسهامًا معرفيًا في السوسيولوجيا العربية من خلال تسليط الضوء على الحب كظاهرة اجتماعية تستحق الدراسة، بعيدًا عن التصورات الرومانسية أو الأدبية المحضة، وضمن أفق نقدي يسعى إلى فهم التحولات العميقة التي يشهدها الشباب في علاقتهم بالحب والحداثة.

توصيات واقتراحات:

توصيات واقتراحات

انطلاقًا من النتائج التي توصّلت إليها هذه الدراسة، نرى من المستحسن تقديم بعض التوصيات والاقتراحات نجملها فيما يلي:

- تشجيع الدراسات الكيفية التي تركز على التجارب العاطفية للشباب في بيئات حضرية وقروية مختلفة، لفهم أثر السياقات الاجتماعية والاقتصادية على أنماط الحب والعلاقات.

- تحليل الدور المتزايد للوسائط الرقمية في تشكيل تصورات الأفراد عن العلاقات، مع التركيز على منصات معينة (مثل إنستغرام أو تيك توك) وتأثيرها على المعايير الجمالية والعاطفية.

- دراسة الأبعاد النفسية والاجتماعية للتوقعات العاطفية الناتجة عن الاستخدام المفرط لوسائل التواصل، ومدى تأثيرها على الاستقرار العاطفي والصحة النفسية للشباب.

- اقتراح تدخلات تربوية وتوعوية تساهم في ترسيخ وعي نقدي لدى فئة الشباب حول تمثلات الحب والعلاقات، خاصة في ظل تضارب المرجعيات بين التقليدي والحديث.

- في ضوء التحولات الاجتماعية والتكنولوجية المتسارعة، تبرز الحاجة إلى دراسات متعددة التخصصات تجمع بين السوسيولوجيا، علم النفس، ودراسات الإعلام، بهدف فهم أعمق لكيفية إعادة تشكيل المفاهيم العاطفية في زمن السيولة القيمية والتواصل الافتراضي، مما يسهم في تطوير استراتيجيات تدعم بناء علاقات أكثر استقرارًا وعمقًا في المجتمع.

وأخيرا، نوصي بإيلاء عناية سوسيولوجية بمجهودات الباحثة في علم اجتماع الحب –إن صحّ التعبير- إيفا إيلوز، وترجمة أعمالها إلى لغة الضاد، لأن في ذلك إسهاما أكاديميا مهما، وتراكما معرفيا سيخدم بكل تأكيد البحث العلمي في بلادنا.

قائمة المصادر والمراجع:

قائمة المصادر والمراجع

المراجع العربية:

القرآن الكريم

أوشان، جميلة (2019). **اتجاهات الشباب الجامعي نحو المال من منظور سوسيولوجي**، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، جامعة غرداية، المجلد 12، العدد 02، ص ص 953 – 985.

إيلوز، إيفا (2020). **لماذا يجرح الحب: تجربة الحب في زمن الحداثة**، ترجمة: خالد حافظي، المملكة العربية السعودية: صفحة سبعة للنشر والتوزيع.

إيلوز، إيفا (2022). **نهاية الحب: سوسيولوجيا العلاقات السلبية**، ترجمة: جلال العاطي ربي، المملكة العربية السعودية: صفحة سبعة للنشر والتوزيع.

باديو، ألان (2014). **في مدح الحب**، ترجمة: غادة الحلواني، بيروت: دار التنوير.

باشا، نوال (2015). **دور المرأة في محاربة الثقافة الأبوية: قراءة سوسيوتاريخية حول تحرر النساء في العالم والمرأة الجزائرية من الثقافة الأبوية**، مجلة دفاتر، جامعة الجزائر 02، المجلد 03، العدد 02، ص ص 77–98.

باشة، مهور، عبد الحليم، (2018). **الحداثة الغربية وأنماط الوعي بها في الفكر العربي المعاصر، مجلة تبيّن للدراسات الفلسفية والنظريات النقدية**، المجلد 06، العدد 23، ص ص125–103

بلمادي، أحلام (2016). **سوسيولوجية القيم والتغير القيمي في المجتمع الجزائري**، مجلة الحكمة للدراسات الاجتماعية، جامعة لونيس علي البليدة، المجلد 04، العدد 07، 02، ص ص 102–121.

بن تامي، رضا (2013). **سوسيولوجية تسيير الوقت، مجلة أنثروبولوجيا الأديان**، جامعة أبو بكر بلقايد تلمسان، المجلد 09، العدد 02، ص ص 75–99.

بوترعة، سعد (2018). الحداثة: **مفهومها وظهور الدعوة لها في الفكر العربي المعاصر**، مجلة المدوّنة، جامعة البليدة، المجلد 05، العدد 01، ص ص 393–410.

بوحناش، عائشة (2021). **الجندر في النظرية النسوية: قراءة في المفهوم وآليات اشتغاله**، مجلة مدرات للعلوم الاجتماعية والإنسانية، المركز الجامعي غليزان، المجلد 01، العدد 03، ص ص 453–494.

بورقية، رحمة (2016). **الظاهرة الدينية من منظور العلوم الاجتماعية، مجلة الأكاديمية،** المغرب، العدد 23، ص ص 307–320.

بينيت، طوني، غروسبيرغ، لورانس، موريس، ميغان (2010). **مفاتيح اصطلاحية جديدة**: معجم مصطلحات الثقافة والمجتمع، ترجمة: سعيد الغانمي، بيروت: المنظمة العربية للترجمة.

تلجة، لموفق (2018). **العلاقات العاطفية خارج إطار الزواج لدى عينة من الشباب الجامعيين العازبين،** مجلة العلوم الإنسانية، جامعة أم البواقي، المجلد 05، العدد 09، ص ص 544–556.

تورين، ألان (1997). **نقد الحداثة،** ترجمة: مغيث أنور، بيروت: المركز الثقافي العربي.

جرموني، رشيد (2018). **سوسيولوجيا الدين والجدل الإبستمولوجي: أسئلة حول النظريات والنماذج التفسيرية،** المغرب: مركز نهوض للدراسات والنشر.

جقاوة، الشيخ، بوكميش لعلا (2017). **السلطة الأبوية داخل العائلة الجزائرية،** مجلة الحقيقة، جامعة أحمد دراية أدرار، المجلد 16، العدد 04، ص ص 730–758.

جودي، حمزة، علي الطالب، مبارك (2022). **الشباب والتحول القيمي في المجتمع الجزائري، مجلة آفاق علمية،** جامعة تمنراست، المجلد 14، العدد 01، ص ص 307 – 321.

جوديث، بتلر (2022). **قلق الجندر: النسوية وتخريب الهوية،** ترجمة: فتحي المسكيني، لبنان: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات.

حتامة، العيد (2021). **الزواج والعلاقات العاطفية في الوسط الطلابي،** مجلة معارف، جامعة البويرة المجلد 16، العدد 02، ص ص 1123 – 1142.

حرب، علي (2009). **الحب والفناء: المرأة، السكينة، العداوة،** بيروت: الدار العربية للعلوم ناشرون/منشورات الاختلاف.

حمادي، هواري (2014). **إشكالية الحداثة في الفكر العربي المعاصر من التأسيس إلى النقد،** مجلة الحوار الثقافي، جامعة معسكر، المجلد 03، العدد 01، ص ص 98–104.

الحوراني، محمد، عبد الكريم (2008). **النظرية المعاصرة في علم الاجتماع: التوازن التفاضلي صيغة توليفية بين الوظيفية والصراع،** عمان: دار مدلاوي للنشر والتوزيع.

الحيدري، إبراهيم (2016). **الهيمنة الأبوية الذكورية في المجتمع والسلطة،** أوراق سوسيولوجية، شبكة الاقتصاديين العراقيين.

الحيدري، إبراهيم (د.س). **الهيمنة الأبوية الذكورية في المجتمع والسلطة، أوراق سوسيولوجية**، ص ص 1–13.

حيرش، بغداد، ليلى، أمال (2018). **مفهوم الجندر في الأطر النظرية، مجلة التدوين**، جامعة عبد الحميد بن باديس، المجلد 10، العدد 2، ص ص 176–181.

خروبي، مفيدة (2023). **الفردانية: قراءة في المفهوم والتمظهرات**، مجلة مجتمع تربية عمل، جامعة مولود معمري تيزي وزو، المجلد 08، العدد 01، ص ص 195 – 217.

خطاب، عبد، الحميد (2004). **إشكالية الحب في الحياة الفكرية والروحية في الإسلام**، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.

درنيقة، محمد، أحمد (1991). **قبس قرآني على المجتمع**، بيروت: دار الإيمان.

دوركهايم، إيميل (2019). **الأشكال الأولية للحياة الدينية، المنظومة الطوطمية في أستراليا**، ترجمة: رندة بعث، قطر: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات.

الرافعي، مصطفى، صادق (1958). **الإسلام نظام إنساني**، ط 2، بيروت: منشورات دار مكتبة الحياة.

زموري، زينب، بغدادي، خيرة (2011). **العلاقات العاطفية بين الجنسين باستخدام الوسائل الإلكترونية بين المجتمع الافتراضي والمجتمع الحقيقي**، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة ورقلة، المجلد 03، العدد 05، ص ص 189–230.

زيجمونت، باومان (2016). **الحب السائل: عن هشاشة الروابط الإنسانية**، ترجمة: حجاج أبو جبر، بيروت: الشبكة العربية للأبحاث والنشر.

سكوت، جون (2009). **خمسون عالماً اجتماعياً أساسياً: المنظّرون المعاصرون**، ترجمة: حلمي محمود محمد، لبنان: الشبكة العربية للأبحاث والنشر.

سيدي موسى، ليلى (2018). **التنشئة الاجتماعية والحفاظ على معايير الفصل بين الجنسين في المجتمع: العلاقات العاطفية نموذجاً**، مجلة العلوم الاجتماعية، جامعة عبد الحميد بن باديس، المجلد 04، العدد 08، ص ص 89–107.

سيناك، مونكو (2010). **تاريخ الحب، ترجمة: محمد الرحموني**، أبو ظبي: هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث.

شيخ، علي، زيادة، هاجر (2020). **رمزية العادات والتقاليد، مجلة أنثروبولوجيا**، مركز فاعلون للبحث في الأنثروبولوجيا والعلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد 06، العدد 02، ص ص 33–52.

عبد الإله، فرح (2019). **الحب الافتراضي: مقاربة سوسيولوجية**، مركز نهوض للدراسات والنشر، ص ص 01–21.

عبد العزيز، محمد، همست، بسيوني (2022). **تغير مفهوم الحب في ظل الحداثة السائلة: دراسة من منظور البنيوية التكوينية عند لوسيان جولدمان**، مجلة الدراسات الإنسانية والأدبية، جامعة كفر الشيخ، المجلد 26، العدد 04، ص ص 489–529.

عجابي، أسماء (2022). **مقابلة البحث العلمي: من البناء إلى التحليل الكيفي**، مجلة التكامل، جامعة باجي مختار عنابة، المجلد 06، العدد 14، ص ص 116.

العظم، صادق جلال (2002). **في الحب والحب العذري**، دمشق: دار المدى للثقافة والنشر.

علي، السيد، سليمان (2000). **الحب بين الفلسفة والعلم: دراسات في النفس والمجتمع**، الرياض: مكتبة الصفحات الذهبية.

غلوفر، ديفيد، كابلان كورا (2008). **الجنوسة: الجندر**، ترجمة: عدنان حسن، سورية: دار الحوار للنشر والتوزيع.

غلوفر، ديفيد، كابلان، كورا (2008). **الجنوسة،ترجمة: فايز الصياغ**، بيروت: المنظمة العربية للترجمة.

فروم، إريك (2000). **بحث في طبيعة الحب وأشكاله**، ترجمة: مجاهد عبد المنعم مجاهد، بيروت: دار العودة.

فكرة، عبد العزيز (2017). **العلاقات الاجتماعية من منظور سوسيولوجي**، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة باتنة، المجلد 10، العدد 13، ص ص 493–508.

فيبر، ماكس (2011). **الاقتصاد والمجتمع: الأطر التفسيرية في السوسيولوجيا**، ترجمة: فؤاد زكريا وآخرون، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

فيشر، هيلين (2015). **لماذا نحب؟ طبيعة الحب وكيمياؤه**، ترجمة: فاطمة ناعوت، أيمن حامد، القاهرة: المركز القومي للترجمة.

قنيفة، نورة (2017). **البيت الصامت وإفرازاته الانحرافية الأنثوية: العلاقات العاطفية لدى الفتاة المراهقة نموذجاً (دراسة ميدانية)**، مجلة التغير الاجتماعي، جامعة محمد خيضر بسكرة، المجلد 02، العدد 01، ص ص 143–158.

لعريني، صلاح الدين (2014). **مفهوم الهابيتوس عند بيار بورديو**، مجلة العلوم الاجتماعية، جامعة عمار ثليجي الأغواط، المجلد 08، العدد 04، ص ص 43–61.

مبروك، مهدي (1996-1997). **سوسيولوجيا الحداثة: تحليل نقدي مقارن في مضامين الحداثة وممارساتها**، أطروحة دكتوراه، جامعة تونس الأولى.

مختار، عمر، عبد السلام (2018). **معجم لسان العرب المعاصر**، القاهرة: عالم الكتب.

مرام بنت سعد بن عبد العزيز السالم (2023). **أنماط الحب المعاصرة في العلاقات الزوجية من منظور بعض علماء اجتماع العواطف: دراسة نظرية**، مجلة مستقبل العلوم الاجتماعية، الرياض، المجلد 13، العدد 01، ص ص 105–133.

مسرد مفاهيم ومصطلحات النوع الاجتماعي (2006). المبادرة الفلسطينية لتعميق الحوار العالمي والديمقراطية "مفتاح"، القدس.

المسكيني، فتحي (2023). **الجندر الحزين**، المملكة المتحدة: مؤسسة هنداوي.

مقورة، جلول (2018). **من الحداثة إلى ما بعد الحداثة**، مجلة الدراسات والبحوث الاجتماعية، جامعة الشهيد حمة لخضر الوادي، المجلد 06، العدد 04، ص ص 302–315.

ميلاني، كلاين، جون ريفير (1993). **الحب والكراهية**، ترجمة: وجيه أسعد، بيروت: دار البشائر.

نظمي، فارس كمال (2007). **الحب الرومانسي بين الفلسفة وعلم النفس**، العراق: دار ئاراس للنشر.

هارتموت روزا، (2024)، **ما التسارع الاجتماعي؟**، ترجمة: معافة، هشام، مجلة معالم، المجلس الأعلى للغة العربية، المجلد 17، العدد 01، ص ص 75–88.

المراجع الأجنبية:

Blumer, Herbert &Riot, Laurent (2004). **Les problèmes sociaux comme comportements collectifs**, Politix, Vol. 17, n°67, pp. 185 -199.

Blumer, Herbert (2004). "**Social Problems as Collective Behavior**"In:Riot, Laurent (dir.), Les problèmes sociaux. Paris: La Découverte, pp. 185-199.

Coulon, Alain (1999). **L'école de Chicago. Que sais-je ?**, Paris: PUF.

Digneffe,Françoise (1993). **Sociologie de la déviance**. Bruxelles: De Boeck Université.

Etin, Anwarn(2006). **Gender and self in Islam**, London: Routledge.

Grawitz, Madeleine (1993). **Méthodes des sciences sociales**, Paris: Dalloz.

Paugam, Serge (2015). **Vivre ensemble dans un monde incertain**, France : l'Aube.

Wharton, Amy S. (2005). **The Sociology of Gender: An Introduction to Theory and Research**, Oxford: Blackwell Publishing.

الملاحق

الملحق رقم 01

دلـيــل المقابـلة

معلومات سوسيومهنية أولية:

- **رمز المبحوث:** للحفاظ على السرية: مثلاً، مبحوث رقم 1، مبحوث رقم 2...
- **الجنس:** ذكر / أنثى
- **العمر:**
- **المستوى الدراسي/التخصص:**
- **الحالة الاجتماعية:** أعزب/أعزب في علاقة/متزوج/مطلق/أرمل
- **مكان الإقامة (المدينة/الريف):**
- **وضع العلاقة العاطفية الحالية (إن وجدت):** نشطة / سابقة / لا توجد حالياً.

مدة العلاقة:

المحور الأول: مفاهيم الحب والعلاقات العاطفية في سياق الحداثة (يستهدف فهم "سيولة الحب وتعدد أنماط العلاقات")

1- المفاهيم العامة:

- هل تحب الطرف الآخر أم تعتبرها علاقة عابرة؟
- كيف تعرف/ين "الحب" من وجهة نظرك الشخصية؟ وما هي دلالاته بالنسبة لك في عصرنا الحالي؟
- كيف تختلف نظرتك للحب عن نظرة الأجيال السابقة (الآباء، الأجداد)؟

- ماذا تعني لك "العلاقة العاطفية"؟ وهل تختلف عن مفهوم "الزواج"؟
- هل العلاقة العاطفية هي نفسها الحب في رأيك؟

ـ هل تلاحظ/ين تغيرات في طريقة عيش الحب والعلاقات العاطفية لدى الشباب اليوم مقارنة بما كنت تتصوره سابقاً أو بما يرويه الكبار؟ ما هي هذه التغيرات؟

- هل استشرت أحدا قبل انشاء العلاقة؟
- **2ـ مسار رابط الحب (البداية، التطور، النهاية):**

- كيف تبدأ العلاقات العاطفية عادة في محيطك أو تجربتك الشخصية؟ ما هي الأماكن أو الوسائل التي يتم من خلالها التعارف؟
- ما هي العوامل التي تجعل العلاقة العاطفية تتطور وتتعمق برأيك؟ وما الذي يجعلها تضعف أو تنتهي؟
- هل مررت/ين بتجربة علاقة عاطفية انتهت؟ ما هي الأسباب التي أدت إلى ذلك؟ وكيف كان شعورك تجاه الانفصال؟
- هل لديك/لكِ عدد معين من العلاقات العاطفية السابقة؟ وكيف أثرت هذه التجارب على نظرتك للحب والعلاقات؟
- هل حدث وأن تعرضتما لمثل هته المواقف (المجازفات والمتاعب والصعاب) ماذا كان دورها على علاقة الحب؟

3ـ تعدد الاختيارات والعلاقات وحرية الالتزام:

ـ هل تعتقد/ين أن الشباب اليوم لديهم خيارات متعددة جداً في العلاقات العاطفية؟ وما تأثير ذلك على طبيعة العلاقة؟

ـ هل من المقبول أن يكون الشخص في علاقات متعددة في نفس الوقت؟ ولماذا؟

ـ هل تفضل/ين العلاقات طويلة الأمد والالتزام، أم العلاقات الأقل جدّية والأكثر مرونة؟ ولماذا؟

ـ هل تشعر/ين بالخوف من الالتزام في العلاقات العاطفية؟ وما سبب هذا الخوف، إن وجد؟

- هل تحس أنك صادق في علاقة الحب؟
- ما هو مستقبل العلاقة حسب رأيك؟
- ما رأيك في العلاقة الجنسية؟ هل تحدثت مع الطرف الآخر حولها؟ هل مارستما سابقا؟

المحور الثاني: تأثير وسيط التواصل الرقمي (يستهدف فهم "تشكيل أنماط جديدة للتعارف والتعبير عن الحب وتأثيرها على جودة التواصل")

1- التعارف والتعبير عبر الإنترنت:

ـ ما هو الدور الذي تضطلع به وسائل التواصل الاجتماعي والإنترنت في حياتك العاطفية؟ (مثلاً: التعارف، التواصل، الحفاظ على العلاقة).

ـ هل سبق لك/لكِ التعرف على شريك عاطفي عبر الإنترنت؟ كيف كانت هذه التجربة مقارنة بالتعارف التقليدي؟

ـ كيف تعبر/ين عن مشاعرك لشريكك العاطفي عبر الإنترنت؟ وما هي الوسائل المفضلة (رسائل نصية، مكالمات صوتية/مرئية، رموز تعبيرية)؟

ـ هل تختلف طريقة التعبير عن الحب عبر الإنترنت عن الطريقة في الواقع؟ كيف؟

2ـ جودة التواصل وعمق العلاقة:

ـ هل تعتقد/ين أن التواصل عبر الإنترنت يساهم في تعميق العلاقة العاطفية أم يجعلها أكثر سطحية؟ ولماذا؟

ـ هل تشعر/ين أحياناً أن التواصل الرقمي يخلق توقّعات غير واقعية عن الشريك أو العلاقة؟ أعطِ أمثلة إن أمكن.

ـ ما هي أهمية اللقاءات الحضورية (الواقعية) في علاقتك العاطفية مقارنة بالتواصل الرقمي؟

ـ هل تؤثر الغيرة أو الشك على علاقاتك بسبب استخدام وسائل التواصل الاجتماعي (مثل مراقبة حسابات الشريك)؟

المحور الثالث: سلطة القوى الاجتماعية على الحب والعلاقات (يستهدف فهم "سلطة الدين، المجتمع، الفردانية")

1ـ سلطة الدين:

ـ كيف ترى/ين موقف الدين (الإسلامي) من العلاقات العاطفية بين الشباب خارج إطار الزواج؟ وهل يؤثر هذا الموقف على سلوكك أو خياراتك؟

ـ إلى أي مدى يلعب الوازع الديني أو الأخلاقي دوراً في تحديد طريقة تعاملك مع الحب والعلاقات؟

ـ هل واجهت/ين صراعاً بين قناعاتك الدينية وتجربتك في العلاقات العاطفية؟

2ـ سلطة المجتمع والعرف:

- إلى أي مدى تؤثر آراء أسرتك أو أقاربك على قراراتك المتعلقة بالحب والزواج؟
- هل تشعر/ين بوجود ضغوط اجتماعية (من المجتمع، الأصدقاء، الأقارب) فيما يتعلق بالعلاقات العاطفية؟ وما هي هذه الضغوط؟
- هل تأخذ/ين في الاعتبار نظرة المجتمع أو العادات والتقاليد عند اتخاذ قراراتك المتعلقة بالعلاقة؟ كيف يؤثر ذلك؟
- هل مررت/ين بموقف شعرت/ين فيه بـ "الوصمة الاجتماعية" بسبب علاقة عاطفية؟

3ـ السلطة الفردانية:

- إلى أي مدى تعتقد/ين أنك حر/ة في اتخاذ قراراتك العاطفية (اختيار الشريك، قرار الزواج، قرار الانفصال) بعيداً عن تدخلات الآخرين؟
- هل ترى/ين نفسك ككيان مستقل بذاته في علاقاتك، أم أنك تفضل/ين الاندماج الكامل مع الشريك؟
- هل تعتقد/ين أن المصلحة الشخصية (مادية أو معنوية) تلعب دوراً في استمرارية أو إنهاء بعض العلاقات العاطفية في مجتمعنا؟
- كيف توازن/ين بين رغباتك الشخصية الفردية ومتطلبات العلاقة العاطفية؟

- من ينفق على الآخر(المال، هدايا ...الخ) ولماذا في رأيك؟ وهل ترى أن ذلك يؤثر على العلاقة؟ كيف ذلك؟

المحور الرابع: انعكاسات التحوّلات على تجربة الحب (أسئلة عامة للتلخيص والتعمق)

1. بشكل عام، هل ترى/ين أن الحداثة جعلت تجربة الحب أكثر تعقيداً أم أكثر حرية؟ ولماذا؟
2. ما هي أهم التحديات التي تواجه الشباب اليوم في بناء علاقات عاطفية مستقرة وناجحة؟
3. ما هي نصيحتك للشباب الآخرين فيما يخص العلاقات العاطفية في هذا العصر؟

شكر المبحوث: في نهاية المقابلة، تمّ شكر المبحوث على وقته وتعاونه، كما تم تذكيره بأن البيانات ستستخدم لأغراض البحث العلمي فقط مع الحفاظ على السرية التامة.

الملحق رقم 02

جدول التعريف بالمبحوثين

	01	02	03	04	05	06	07	08	09	10
الجنس	أنثى	أنثى	أنثى	أنثى	أنثى	ذكر	ذكر	ذكر	ذكر	ذكر
السن	21	25	20	20	26	21	18	20	19	28
المستوى الدراسي	طالبة- سنة ثانية علم الاجتماع	عاملة- ماستر علم الاجتماع	طالبة أدب عربي	طالبة سنة ثالثة علم الاجتماع	طالبة سنة ثانية ماستر علم الاجتماع	طالب سنة ثانية علم الاجتماع	طالب سنة أولى علوم اجتماعية	طالب بمعهد	طالب سنة أولى علوم اجتماعية	عامل- سنة ثانية ماستر علم الاجتماع
الحالة الاجتماعية	عزباء	عزباء	عزباء	عزباء	عزباء	أعزب	أعزب	أعزب	أعزب	أعزب
مكان الإقامة	المدينة	المدينة	المدينة	المدينة	المدينة	المدينة	المدينة	المدينة	المدينة	المدينة
وضع العلاقة	نشطة	نشطة	نشطة	نشطة	نشطة	نشطة	نشطة	نشطة	نشطة	نشطة
مدة العلاقة	03 سنوات	07 أشهر	سنة ونصف	ستة سنوات	11 سنة	06 سنوات	03 سنوات	05 سنوات	04 سنوات	06 سنوات

الملخص:

يمثل موضوع الحب الرومانسي اليوم، في ظل التحولات الاجتماعية والثقافية المتسارعة، مجالاً خصباً للتساؤل السوسيولوجي. ذلك أن العلاقة العاطفية لم تعد تنحصر في بعدها الوجداني أو الحميمي فقط، بل أصبحت نقطة تقاطع بين مختلف البنى المؤسِّسة للمجتمع: الدين، العرف، الأسرة، القيم الحديثة، وسائل الإعلام، وشبكات التواصل الاجتماعي. في هذا السياق المركّب، تفرض مسألة الحب نفسها كإشكالية اجتماعية بامتياز، ترتبط بإعادة تشكيل تمثلات الأفراد لأنفسهم وللآخر، ولما يُفترض أن تكون عليه العلاقة العاطفية داخل المجتمع.

وإذا كانت هذه الدراسة قد حاولت أن تفتح كوة في جدار المسكوت عنه، فإن الأمل معقود على دراسات لاحقة تُكمل هذا الجهد، وتسهم في بناء تقاليد بحثية رصينة تُعيد للعاطفة مكانتها في فهم العالم الاجتماعي. فالتمثلات العاطفية، وإن بدت في ظاهرها شخصية، فإنها تحمل في طياتها تاريخًا ثقافيًا، وذاكرة جماعية، وتحولات اجتماعية لا يمكن إغفالها في تحليل المجتمع المعاصر.

Abstract:

In the context of rapid social and cultural transformations, the subject of romantic love has emerged as a particularly rich field for sociological investigation. This is due to the fact that love relationships today extend beyond their purely intimate or affective dimensions, functioning instead as a nexus where various institutional structures—such as religion, tradition, family, modern value systems, media, and digital social networks—intersect and interact. Within this intricate framework, love presents itself as a quintessentially social phenomenon, intimately tied to evolving individual and collective understandings of identity, alterity, and the normative expectations surrounding romantic relationships in contemporary society.

This study has sought to breach the silence surrounding such a topic in the hope that future research will further this endeavour, thereby contributing to the establishment of a robust scholarly tradition that reintegrates emotion into the sociological analysis of the social world. Emotional imaginaries, though often perceived as private or subjective, are in fact imbued with cultural histories, collective memories, and social shifts that are indispensable to any comprehensive understanding of modern society.